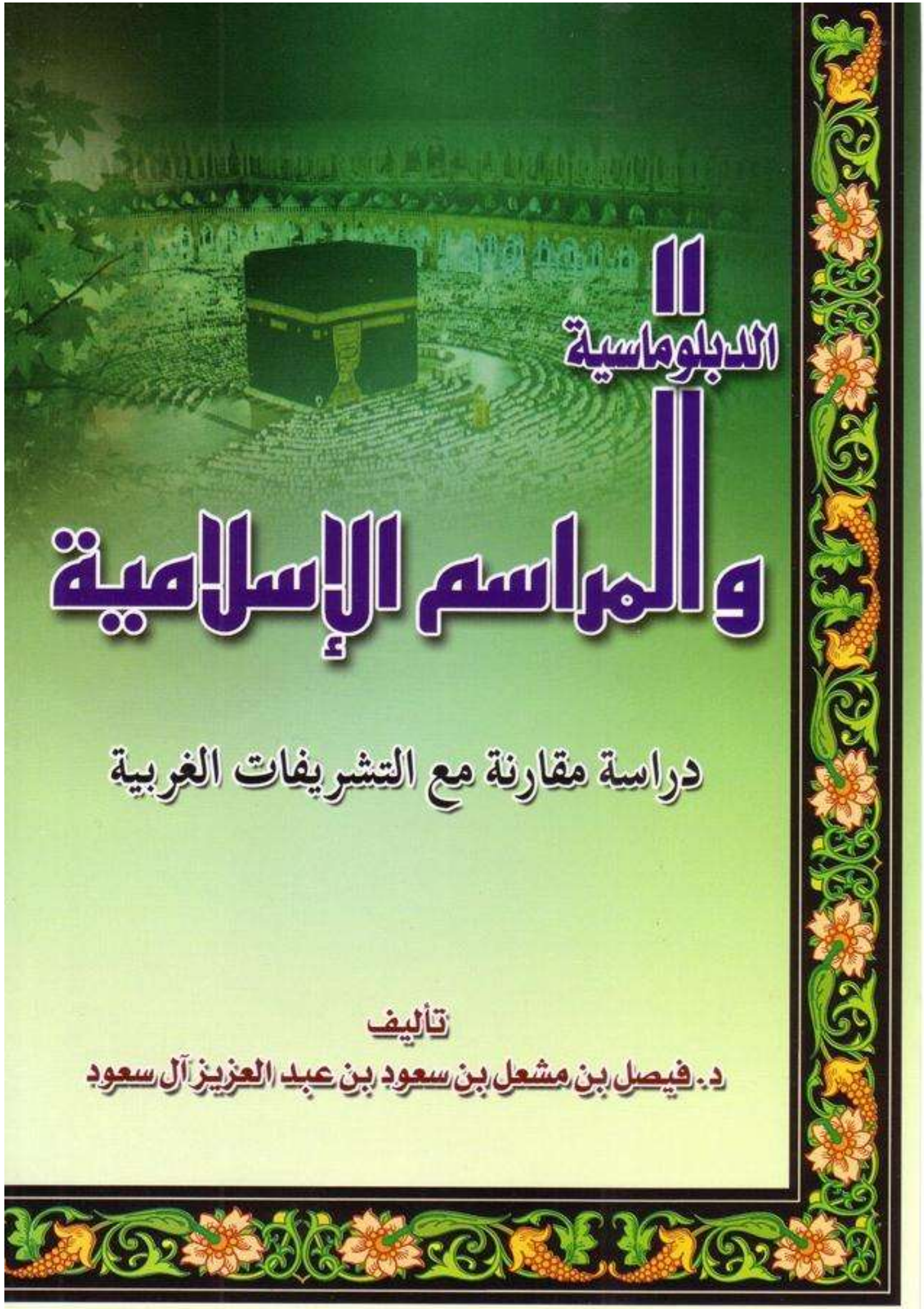

الدبلوماسية والمراسم الإسلامية

دراسة مقارنة مع التشريفات الغربية

تأليف

د. فيصل بن مشعل بن سعود بن عبد العزيز آل سعود

الدبلوماسية والمراسم الإسلامية

دراسة مقارنة مع التشريعات الغربية

تأليف

الدكتور / فيصل بن مشعل بن سعود آل سعود

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

ⓒ فيصل بن مشعل بن سعود بن عبدالعزيز آل سعود، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل سعود، فيصل بن مشعل بن سعود بن عبدالعزيز
الدبلوماسية والمراسم الإسلامية: دراسة مقارنة في التشريفات الغربية./ فيصل بن مشعل بن سعود بن عبدالعزيز آل سعود.- الرياض، ١٤٢٦هـ
٢٥٦ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ٥ - ٨٢٥ - ٤٩ - ٩٩٦٠
١- النظم الإسلامية ٢- الدبلوماسية أ. العنوان
ديوي ٢٥٧,١ ١٤٢٦/٦٨٦٥

رقم الإيداع: ١٤٢٦/٦٨٦٥
ردمك: ٥ - ٨٢٥ - ٤٩ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

لمراسلة المؤلف

ص . ب : ٩٠٠٠٠
الرياض : ١١٦٩٢
المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

قال الله تعالى :

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٨].

ربنا ولك الحمد

اللهم ربنا لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وعلمتنا ، وأنقذتنا وفرجت عنا .

لك الحمد بالإيمان ، ولك الحمد بالإسلام ، ولك الحمد بالقرآن ، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة .

كَبتَّ عدونا ، وبسطت رزقنا ، وأظهرت أمننا ، وجمعت فرقتنا ، وأحسنت معافاتنا ، ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا .

فلك الحمد على ذلك حمداً كثيراً .

لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا في قديم أو حديث ، أو سر أو علانية ، أو خاصة أو عامة ، أو حي أو ميت ، أو شاهد أو غائب .

لك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[1] .

(١) قال الشيخ الأمام ابن القيم – رحمه الله – في كتابه النفيس عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص١٦٣ : كان الحسن البصري – رحمه الله – إذا ابتدأ حديثة يقول : الحمد لله ، اللهم ربنا ... فذكرة .

حديث شريف

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ولتتبعن سنن الذين من قبلكم ، شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم .
قلنا يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : فمن)) . صحيح مسلم

فكرة الكتاب

لاحظ المؤلف كثرة ما ينشر من المطبوعات التي تناولت موضوع المراسم والتشريفات،وما يطلقون عليه(الإتيكيت)أو آداب المعاملة على المستوى الشخصي،و(الدبلوماسية) على المستوى الرسمي،ولفتَ انتباهه طرح هذه المفاهيم بطابعها التي تُطبق فيه في الثقافة الغربية،واتسع نطاق استعمالها حتى لتكاد تصرِفنا عن ثقافتنا العربية الإسلامية الأصيلة،التي لنا فيها غناءٌ عن كل غريب مستهجن من الثقافات الأجنبية،واختلاط الغث بالسمين فيما ينشر ويقال في أجهزة الإعلام،وفي المناسبات الشخصية واللقاءات العامة،ونحن في بحثنا عن الأصالة يجب أن يستند سلوكنا إلى مصادر فكر الأمة،وعلى رأسها:الكتاب والسنة المشرفة،وسيرة السلف الصالح،فنستمد منها كل ما من شأنه أن يصلح حياتنا،ويقوِّم سلوكنا.

ويهدف المؤلف من هذا الكتاب إلى التذكير بأن في تراثنا معيناً لا ينضب في هذا المجال، وذلك بإضاءة شمعة تنير الدرب، وتكون وسيلة لتأسيس قناعة للمفتونين بالمستورد من العادات والمفاهيم والمصطلحات وأساليب التعبير وطرق المعاملة للعودة إلى المنهج القويم المستمد من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وكل ما ينبع منهما ويتفق معهما من الآداب وأشكال السلوك في تعاملنا فيما بيننا، وفي تعاملنا مع الآخرين.

من هنا جاءت فكرة هذا الكتاب،إسهامًا من المؤلف في كشف جانبٍ من الكنوز العلمية والأخلاقية في مصادر تراثنا الثقافي والإسلامي، وغايته من ذلك كسب رضا الله،وإشاعة الخير،وتزيين كل جميل مفيد من الآداب . وأسأله الله تعالى أن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا ، وأن يجعل جميع أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، وأن يكون هذا العمل مدد أجر لمؤلفه ، ومن العلم الذي ينتفع به عند لقاء وجهه الكريم ... أمين وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبة أجمعين .

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات،أضعاف أضعاف مداد كلماته،بما علمنا ما لم نكن نعلم،وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة،والصلاة والسلام على معلم البشرية الخير، الذي كان نبراس هداية للعالمين،والذي أثنى عليه ربه في كتابه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] . فكان قرآنًا يمشي على الأرض ، كما وصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن سجاياه فقالت: (كان خلقه القرآن) [١]. وكانت سيرته نورًا لأمته يهتدي بها من كان له نصيب من حب مكارم الأخلاق ، الباحث عن الهدى والرشد؛ للفوز بسعادة الدارين:الدنيا والآخرة.

فإن المتأمل في أحوال العالم الإسلامي اليوم ،وما يمر به من أزمات لعل أخطرها أزمة الهوية،التي انصرف فيها البعض عن منابع تراثهم الأصيل، وأخذوا يقلدون ما يصلهم من مظاهر الحياة دون تمحيص، ويتبنونه دون فحص أو اختبار، وإذا كان أخذ ما لدى الآخرين من الصناعات، وطلب ما توصلوا إليه من العلوم النافعة،وتقليدهم فيما يصلح حياة المسلمين من قواعد النظافة،واحترام الوقت، ومظاهر النظام الذي به تتحقق المصالح،وتجلب به المنافع،ويجلب الخير في مظهر الإنسان المسلم، وفي مسكنه والمحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه،وفي البيئة الطبيعية التي تشكل مسرحًا لحياته،إذا كان كل ذلك مما يحث عليه ديننا،وتدعونا إليه عقيدتنا، فإن من أخطر ما ينهى عنه في المقابل التقليد الأعمى الذي هدفه المظهرية،وما ينتج عنه من آثار سلبية،وأن نتجنب الابتداع في مظاهر السلوك القولي والعملي الذي أخذه البعض دون تبصر ونظر في جدواه،أو اتفاقه مع قواعد سلوكنا التي رسمها ديننا الحنيف.

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد بهذا اللفظ، وكذلك رواه أحمد وعبد الرزاق و ابن جرير في تفسير سورة القلم، ورواه مسلم بمعناه في أثناء حديث في كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل(٧٤٦)، ورواه بنحوه أبو داود، وانظر أيضا صحيح الجامع٤/ ٢٣٨(٤٦٨٧).

فما أجدرنا في سعينا للبحث عن منابع الأصالة في حياتنا،أن نغترف من معين تراثنا، فجعله منهجًا لإصلاح الحياة الفردية والعامة،وثوابت نعرض عليها ما يستجد على حياتنا، ومقياسًا نقيس به علاقاتنا بالأمم الأخرى،وفي نفس الوقت لا ننغلق على ذواتنا،ونرفض الخير،فإن الحكمة ضالة المؤمن،أينما وجدها طلبها.

وقد وجد الكاتب أن من واجبه أن ينبه إلى ما يمكن اعتباره مظهرًا من مظاهر الغزو الثقافي - إن صح التعبير - بالانسلاخ عن الأصالة،والابتعاد عن المنهج القويم،والذوق السليم في التعامل اليومي مع ذواتنا ومع الآخرين،وذلك تحت تأثير وسائل الإعلام ، وما تبثه من القشور الفكرية والسلوكية،وكل ما تحاول به أن تصرف به الشباب عن منابع الفكر الإسلامي،والتراث العربي،الذي لطالما كان موردًا يغترف منه الواردون لحياض الآداب الراقية،والفضائل السامية،والمثل العليا،وكل نبيل كريم من السجايا ، فما جاء الإسلام إلا ليصلح الحياة بالرحمة والرفق والتيسير والدعوة بالكلمة الطيبة،والموعظة الحسنة،وأقام بناء المجتمع الإسلامي والمجتمع الإنساني عامة على البر والتعاون،والتكافل والتكاتف واللين،وذمّ الجفاء والغلظة والتنطع والتدابر والتقاطع.

وقبل أن تعرف الإنسانية الدبلوماسية والمراسيم والتشريفات،وقواعد الترحيب بالضيوف ، وإكرام الوفود،واستقبال الزائرين كانت الدولة الإسلامية في جميع مراحلها منذ عهد الدولة النبوية في المدينة ، ثم في دولة الخلافة الراشدة ، ثم الدولة الأموية ، والدولة العباسية ، وكل مراحل التاريخ الإسلامي كانت تعرف هذه القواعد في علاقاتها بالأمم الأخرى ، وتجعلها في درجة عالية من الاهتمام تتناسب مع عظمة الإسلام وسماحته ،وتتفق مع منهجه الأخلاقي،وآدابه المنسجمة مع أحكامه وعقيدته السمحة القائمة على التوحيد الخالص،وتليق بهيبة دولة الخلافة ومكانتها.

إن المسلمين هم الذين رسموا للبشرية طريق الكرامة،فنعمت البشرية بالرخاء والسلام والأمن، وازدهرت العلاقات الإنسانية في أزهى مرحلة من مراحل التاريخ.

فما أحراهم أن يعيدوا إلى التاريخ الإنساني اعتباره،وذلك عن طريق تطبيق تعاليم دينهم،والالتزام بما يحثهم عليه من مكارم الصفات،وجميل الخصال.

ومهما بلغ الآخرون من التقدم والتطور في تعاملاتهم مع بعضهم إلا أننا نجد أن كثيراً من تلك الأخلاق هي أخلاق الإسلام ، ولكن المسلمين مع الأسف أهملوها ولم يعودوا يلتزمون بها ، واستفاد منها الآخرون وطبقوها في حياتهم العملية ، ونجحوا من خلالها مثل الالتزام بالمواعيد ، والصدق والدقة والإخلاص في العمل ، وتقديس الحياة العملية لدرجة كبيرة بعكس طبيعة المسلمين – مع الأسف – في بلاد الإسلام الذين استكانوا وركنوا إلى الخلافات والتعلق بالقشور ؛ حتى أنهم أصبحوا مقلدين فقط لغيرهم حتى وصلنا إلى حالة من التغريب لم يصل لها غيرنا باقتفاء أثر أمة من أمة ، ولكن لكل معجب بالغرب على وجه الخصوص أتساءل وأقول له : هل يوجد في دساتيرهم كما هو موجود في الدين الإسلامي من وضوح منهج الحياة مثل آداب المجالسة وآداب المآكل والمشرب وحتى آداب النوم وآداب دخولك إلى الخلاء وقضاء الحاجة وكيفية النوم ومقياس الأكل والشرب ؟ بل وحتى كيفية معاشرتك لزوجتك وآداب الجماع وكذلك النظافة والتطيب وغيرها من الآداب الإسلامية .

إنني – حقيقةً ، وأقولها للتاريخ – أتحدى أن يكون هناك منهج حياة أو دستور دولة أو دين أو ملة غير الإسلام قامت بتوضيح وسرد تلك الآداب والسلوكيات كما جاء في ديننا الإسلامي من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ولكن كل ذلك الأرث الحضاري لم يجد العلماء والباحثين الذين يسلطون الأضواء عليه ويبرزونه للحضارات الأخرى ولأبناء جلدتهم على وجه الخصوص بطريقة مبسطة ووسائل تعريفية أو إعلامية تخدم ذلك الإرث الثمين الذي حقيقةً نباهي به الحضارات الأخرى ونعتز به ونتمنى من أبناء الإسلام الباحثين والإعلاميين والموسرين أن يدرسوا ويبرزوا هذه الكنوز للأجيال التي هجرت الكتاب ، وشخصت أبصارها أمام وسائل أخرى هي من صميم الغزو الثقافي الذي أصبح ملء السمع والبصر ، بل ويجري معنا مجرى الدم في هذا العصر الغامض حمانا الله منه .

كتبت ما كتبت فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان والله المستعان .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين . وأخر دعونا أن الحمد الله رب العالمين .

المؤلف

١٤٢٦/١٠/٢٥هـ

دعوة خاصة

عندما يكون أي مسلم يمثل بلاده في الخارج،بصفته الشخصية أو الرسمية ، أو في رحلة عمل ، أو في دراسة أو سياحة ، فإن كان من ذوي الخصال الحميدة ، فليحمد الله عليها ، ولكن ربما يواجه مَنْ يسأله: (كيف تخلقت بهذه الخصال؟وما مصدرها؟) والأولى به في هذه الحالة أن يسند الأمر إلى خالقه الذي خلقه،ورباه بالنعم التي أسبغها عليه،وهداه بنبي الرحمة،رسول البر والسلام، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، ولا يقول إن مصدر هذه الأخلاق والده أو والدته ، ولا يُرجع الفضل إلى أيٍّ من البشر، لأن خالق أولئك البشر والذي هيأ له ظروف نشأته هو الله سبحانه وتعالى ، فالله سبحانه هو مربينا ومعلمنا وهادينا ومجمِّلنا بالفضائل ، والمنعم علينا بأن بعث نبينا ﷺ، وتنزيل قرآنه ، وتوفيق رسوله إلى سنته العطرة.

إنها الشريعة السمحة التي نشأنا على منهجها وهداها،وأُرْضِعناها مع حليب أمهاتنا،ونشأنا على هداها فالحمد الله الذي جعلنا مسلمين وأنشأنا على الفطرة .

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ ....الآية(سورة فصلت:الآية ٣٣)

وهذا من رحمة الله الخاصة بالمؤمنين،ورحمته العامة بكل المخلوقات،كما نردد في البسملة وفي سورة الفاتحة.

الفصل الأول

أسس الدبلوماسية في الإسلام

الفصل الأول

أسس الدبلوماسية في الإسلام

أولاً : المقومات العامة :

ارتكزت الدبلوماسية الإسلامية على عدة محاور رئيسة ، تمثل في مجموعها الأساس القويم للعلاقات بين الأفراد والشعوب والدول . وتشكل فيما بينها منظومةً من القيم السامية التي انطلقت بها الرسالة المحمدية لتبشر العالم بمستقبل مشرق تُظلُّه هداية الحق -سبحانه وتعالى - ورسالة خاتم رسله ، وخير خلقه سيدنا محمد ﷺ ، وجاءت الهداية في قرآن محكم منزل من لدن حكيم عليم ؛ وجاءت القدوة في السيرة النبوية الشريفة ، وهما النبراس للبشرية إلى يوم يبعثون .

ويتصور البعض أن الدبلوماسية ابتكار غربي ، بينما هي في الحقيقة من صميم توجيهات الدين الإسلامي الحنيف الذي حدد لها أطرها الأخلاقية ، وأساليب ممارساتها العلمية ، واستندت إلى هذه وتلك ركائز حضارة امتدت شرقاً إلى الصين ، وغرباً إلى المحيط الأطلسي ، وشمالاً إلى الأندلس ومشارف عاصمة النمسا. وقلَّ أن تجد دولة في عالم اليوم لا ترتفع فيها مآذنه ، ولا يرفع فيها أذان بوحدانية الله ، ولا تقام فيها صلاة قبلتها الكعبة المشرفة محط أفئدة المسلمين ، ومهبط الوحي على الرسول الأمين .

وكان من فضل الله وحكمته أن وضع مبادئ راسخة لما يعرف في عصرنا بعلم العلاقات الدولية ؛ وهذه المبادئ تختلف جذرياً عن تلك التي طوَّرتها المجتمعات الغربية المعاصرة ، وأوردتها موارد التهلكة في حروب متتالية راح ضحيتها ملايين البشر .

وتتمثل هذه المبادئ السامية فيما يلي :

(١) وحدة الجنس البشري :

وتتجسد هذه الوحدة في قوله تعالى في صدر سورة النساء : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

ويتأكد هذا الإخاء الإنساني إذا تضافرت معه أخوَّة الإيمان ، فيشتد عوده وتسمو قيمه ، وهو ما يوضحه قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[الحجرات:١٠] ، عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [١] .

ويعمُّ هذا الإخاء بحيث يشمل البشرية جمعاء حيث القيمة الإنسانية واحدة ، وإن تفاوتت حرمتها بتفاوت العقيدة . وتعلو الكرامة الإنسانية على فوارق الجنس أو اللون أو اللغة أو الوطن ، وهذا ما قرره قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ ﴾ [المائدة : ٣٢] .

(٢) التعارف والتعاون على البر والقسط :

وإذا كان مردُّ الأنسانية إلى أصل واحد ، فإن انقسامها إلى شعوب وقبائل وانتشارها في أنحاء الدنيا أمر لا ينبغي أن يدعو للشقاء والتناحر واستعلاء البعض على البعض الآخر ،

(١) متفق عليه رواه البخاري في المظالم باب لا يظلم المسلم المسلم(٦٤٣٧،٢٢٦٢)، ورواه مسلم في البر والصلة ب تحريم الظلم (٤٦٧٧).

وإنما يدعو للتعارف والوئام ، ولا يميز بعضهم على بعض إلا ميزانُ تقوى الله والإيمان به. وهو ما قرره سبحانه في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات : ١٣]

وأسس - سبحانه - على هذا المبدأ عند اختلاف الدين وجوبَ أن تقوم العلاقة السليمة على البر والقسط بقوله تعالى : ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ [الممتحنة : ٨] وذهب جميع المفسرين إلى أن البر والإحسان شيء غير الموالاة المنهيِّ عنها، واستشهدوا على ذلك بقصة أسماء بنت أبي بكر مع أمها التي رواها البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِّي قَالَ:(نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ) [1] ، كما استشهدوا بما رواه البخاري كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بِالْقَادِسِيَّةِ فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ فَقَامَا فَقِيلَ لَهُمَا إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ أَيْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَقَالَا إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ فَقَالَ:(أَلَيْسَتْ نَفْسًا) [2]

وجعل الإسلام الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هو السِّلم لا الحرب فقال تعالى : ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [الأنفال : ٦١] .

(١) متفق عليه، رواه البخاري في الهبة ب الهدية للمشركين(٢٤٢٧) وفي الأدب بَاب صِلَةِ الوالد المشرك (٥٩٧٨) بَاب صِلَةِ الْمَرْأَةِ أُمَّهَا وَلَهَا زَوْجٌ(٥٩٧٩)، ورواه مسلم في الزكاة ب فضل النفقة(١٦٧١).

(٢) متفق عليه رواه البخاري في الجنائز ب من قام لجنازة يهوديرقم(١٢٢٩)، ورواه مسلم في الجنائز ب القيام للجنازة (١٥٩٦).

(٣) عالمية الدعوة :

كانت رسالة كل رسول قبل الإسلام قاصرةً على قومه ، واقترنت الحياة البشرية منذ نشأتها بهذا الهدى الإلهي الذي حمله رسل الله رسولاً بعد رسول ، يقول تعالى : ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٥] ويقول سبحانه : ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر : ٢٤] . ويمثل هذا الوحي الإلهي نهراً تفرعت منه جداول ، وبلغ مصبه برسالة محمد ﷺ ، وتعلن نصوص القرآن الكريم وحدة هذا التشريع من منبعه إلى مصبه بقوله تعالى : ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [الشورى : ١٣] . وهكذا جاء الإسلام إلى الناس كافة مكملاً لما قبله ، يقول تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] ، ويقول تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠] .

ورسالةٌ عالمية هذا شأنها يكون من ثوابتها الدبلوماسية الحكيمة مخاطبة أجناس البشر جميعاً ، ورسم السياسة الراشدة في طرائق الاتصال بهم ، وحدد سبحانه وتعالى الأسلوب الأمثل لذلك بقوله : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل : ١٢٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [الإسراء : ٥٣] . وقوله تعالى مخاطباً رسوله الخاتم محمداً ﷺ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] . وشرع الله في قرآنه الحكيم بذلك النهج القويم للدعوة وبلاغها للناس كافةً بالرفق والمرحمة وجميل الطباع حتى تنفذ للنفوس والقلوب،

وأكد سبحانه وتعالى في نفس الوقت على أهمية القدوة الحسنة فقال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] ، وحدَّد الله في قرآنه الحكيم الركيزة الأخرى للنهج الإلهي في توخِّي اليسر وعدم الحرج ؛ ذلك أن الإسلام هو دين الفطرة الملائم لطبيعة الإنسان وخِلقته التي تنفر من الشدة والعنت . وقال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ) [1] . وتجاوز هذا التوجيه النبوي الأمر والإرشاد إلى السلوك الفعلي ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ:(مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا) [2] .

وتمثل هذه المبادئ الثلاثة : اللّين في الدعوة ، والأسوة الحسنة ، واليسر وعدم الحرج ركائز قويمة وفاعلة لفن الاتصال والحوار مع الآخر ، وجوهر ما توصَّلت إليه الدراسات والبحوث الغربية في علوم النّفس والاجتماع والاتصال . ذلك أن الله العليَّ القدير أدرى بعباده ، وأعلم بطبائعهم ، وسبل هدايتهم إلى الطريق القويم .

(٤) الوفاء بالعهود والعقود :

يعد الإسلامُ الوفاء بالعهود والعقود عماد الالتزام والمسئولية ، ويأتي العهد الأعظم في صورة عهد الفطرة القائم على توحيد الله ، ويقول تعالى : ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ

(١) رواه البخاري في الإيمان باب الدين يسر رقم(٣٨).
(٢) متفق عليه رواه البخاري في المناقب ب صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣٢٩٦) وفي الأدب(٥٦٦١)، ومسلم في الفضائل مباعدته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للآثام(٤٢٩٤).

إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [يس : ٦٠ ، ٦١] ، وتنبثق عن هذا العهد الأعظم مسئولية الالتزام بالعهود والعقود كلها ما دامت لا تخالف أمراً شرعياً ، ويكون الوفاء بأي عهد آخر بين الناس وفاءً بالعهد العام الذي فرضه الله ، ويقول تعالى : ﴿ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ﴾ [الأنعام : ١٥٢] ، ويقول سبحانه : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴾ [النحل:٩١] ، ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء : ٣٤] ، ويجعل - سبحانه وتعالى - من واجبات الدين الوفاءَ بالعقود وهي عهود موثقة شديدة الإحكام ، ويقول - تعالى - في أول آية من سورة المائدة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ ﴾ [المائدة: ١] ، ويشمل ذلك ما عقده الله على عباده وألزمهم به من أحكام .

ويشمل كذلك ما يكون بين الناس من عقود المعاملات واجبة الوفاء ما لم تُحلَّ حراماً أو تحرم حلالاً ، وقد استقت القوانين الغربية الحديثة ركيزتها الأساسية من هذه القاعدة الفقهية التي يقوم عليها استقرار وانتظام العلاقات والمعاملات بين الدول والشعوب والأفراد ، فيما أصبح يُعرف اصطلاحاً في المفهوم الغربي بمبدأ ((العهود واجبة الوفاء)) وبالمصطلح اللاتيني : ((Pacta Sunt Servanda)) وهو أساس وركيزة اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات المبرمة عام ١٩٦٩م.

ويذهب الإسلام إلى مدىً أبعد في تأكيد هذا المبدأ الهام ، فيربط الوفاء بالعهد بالإيمان والأمانة ، حَدَّثَنَا بَهْزٌ حَدَّثَنَا أَبُو هِلَالٍ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَالَ:(لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ) [1] ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ

(١) رواه أحمد في أربعة مواضع (١١٩٣٥)، (١٢١٠٨)،(١٢٧٢٢)، (١٢٧٢٢)،(١٣١٤٥)، وراجع صحيح الجامع ٦/ ١٢٣(٧٠٥٦).

فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) [1] . ويرتبط بالأمانة ضرورةً توفر حسن النية والتراضي في المعاملات ، يقول - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ ﴾ [النساء : ٢٩] .

وحذّرت الشريعة الإسلامية في نفس الوقت من الغدر بالعهود والعقود ، يقول - تعالى - : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴾ [النحل:٩٢]، ولم تجعل الخصومة مبرّراً لمباغتة الأعداء والغدر بهم حتى وإن أخلّوا بالعهد من جانبهم حتى يخطروا بذلك ، ويعلن هذا الإخطار على الملأ ، ويتساوى الجميع في العلم به ، يقول تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٥٨] ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْغَادِرَ يُرْفَعُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ) [2] .

ثانياً : الأساليب التطبيقية للدبلوماسية الإسلامية :

تمثّلت أساساً فيما يلي :

(١) التماسُ النُّصرة ممن يغلب على الظن أنَّهم أهلٌ لها :

اشتدُّ الأذى من قريش على أصحاب رسول الله ﷺ الأمر الذي شَقَّ كثيراً عليه. وكانت الحبشة تدين بالنصرانية وعلى رأسها النجاشي الذي عرف بالعدل ونُصرة المظلومين، فأمر - صلوات الله عليه وسلامه - فريقاً من أصحابه بالهجرة إلى الحبشة لأنَّ بها ((ملكاً لا

(١) متفق عليه رواه خ في الإيمان باب علامة المنافق(٣٣) ومسلم في الإيمان باب خصال النفاق(٨٨).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في الأدب باب ما يدعي الناس بآبائهم(٥٧٠٩) و(٥٧١٠)، ورواه مسلم في الجهاد والسير باب تحريم الغدر(٣٢٦٦) و(٣٢٦٨) و(٣٢٦٩) ورواه مسلم أيضا (٣٢٦٥) بلفظ آخر (إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ فَقِيلَ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ).

يظلم عنده أحدٌ ، وهي أرضُ صدقٍ ، حتى يجعلَ الله لكم فَرَجاً مما أنتم فيه)) [1] ، فكانت هذه أول هجرة في الإسلام ، وكان لها أثرها في خيبة آمال المشركين ، وفي حماية المسلمين من أذاهم ، بل في إسلام النجاشيِّ نفسه ، فاكتسب الإسلام بذلك أنصاراً وأعواناً .

(٢) العرض وعقد المعاهدة والبيعة :

يعد من الأساليب الدبلوماسية عرضُ الفكرة على نطاق واسع ، والاتصال بالناس والتحاور معهم والمعاهدة على ما يمكن أن يتم الاتفاق عليه من مصالح . وهذا هو ما فعله رسول الله ﷺ عندما زاد أذى قريش بعد وفاة عمه أبي طالب ، الذي كانت قريش تهابه لمنزلته ، فخرج إلى الطائف بلتمس النصرة من ثقيف ، ويعرض الإسلام عليهم ، والتقى بأشرافهم فردُّوه ردّاً سيئاً ، وأغرَوا به سفهاءهم وعبيدهم .

وأخذ بعد ذلك يتصل في موسم الحج بقبائل العرب يدعوهم إلى الله ، ويخبرهم أنه نبيٌّ مرسل ، ويسألهم أن يصدِّقوه ويمنعوه من أعدائه حتى يبين ما بعثه الله به . وكان يأتي إلى منى ويقف على منازل كل قبيلة ، ويقدم إليهم نفسه ، ويعرض عليهم أمره ، ويطلب منهم منعته ، وكان لا يترك أحداً يقدم إلى مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له ودعاه إلى الله ، وعرض عليه ما جاء به من الهدى والرحمة .

وأثمر هذا الأسلوب فآمن برسالته أول الأمر ستةُ نفر من الخزرج نقلوا دعوته إلى أهلهم في المدينة ، وفي العام التالي جاء اثنا عشر منهم والتقوا برسول الله ﷺ عند العقبة ، وهي العقبة الأولى ، فبايعوه بيعة النساء ، وذلك قبل أن يُفرض عليهم القتال . وأدرك حاجتهم إلى من يُعلمهم ويتعهدهم فبعث معهم مصعب بن عمير وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ، فكان يعرف في المدينة بالمقرئ. وفي موسم الحج التالي قدم لمكة جماعة من أهل المدينة ممن أسلموا فواعدوا رسول الله

(١) انظر فتح الباري٧/ ١٨٨، وعمدة القاري٧/ ٢٦٨، والحديث رواه ابن إسحاق في السير والمغازي ص١٢٣، وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٨٠أو ١/ ٤١٣، وقال الدكتور مهدي رزق الله في كتابه السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص ١٩٧ : إسناده حسن.

ﷺ عند العقبة وذلك في أواسط أيام التشريق . وكان عددهم ثلاثةً وسبعين رجلاً ومعهم امرأتان . وجرت بيعةُ العقبة الثانية مع نقبائهم الاثني عشر ، منهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس وذلك بعد أن فُرض القتال ، فبايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم[1] .

وكانت هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة حدثاً تاريخياً فاصلاً بين فترتين في الدعوة الإسلامية :
الأولى : في مكة في مجتمع جاهلي يعاديها ويقاومها .
الثانية : في المدينة حيث كانت فترة بناء مجتمع ودولة على أرض آمنة ، وحيث نجحت (الدبلوماسية) النبوية في تصفية ما كان بين الأوس والخزرج من الأنصار من ضغائن قديمة ، وفي المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وعاهد اليهود ؛ لأنهم أهل الكتاب الذي ذكر اسمه صراحة فيه ، وذلك وفق شروط محددة .

وبذلك انتظم المجتمع في بوتقة واحدة ارتكزت على مبادئ صحيفة المدينة المنورة، والتي كانت بمثابة معاهدة تضمنت اثنين وخمسين بنداً ، وكانت بمثابة دستور الدولة. وتضمنت في بنودها إلزام القبائل غير المسلمة بالدخول في الحرب إلى جانب المسلمين، فلا ينصر أحد كافراً على مؤمن ، والتزام اليهود بالإنفاق على الجيش الإسلامي ، إذا هوجمت المدينة مقابل تمتعهم بالجماعة الإسلامية ، وشاركت في هذا التحالف العديد من القبائل العربية غير المسلمة ((سيرة ابن هشام (١/ ٥٠١ – ٥٠٧)) .

(٣) إرساء أسس العدل والسلام :

وتوخّى رسول الله ﷺ الشريعة السمحة في وضع قواعد راسخة لما يعرفُ حالياً بـ (علم العلاقات الدولية) مرتكز الدبلوماسية التي هي مجرد إحدى أدواته .

وامتدح - صلوات الله عليه وسلامه - حلفاً كان في الجاهلية عُرف بحلف الفضول . وقال فيه ((لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جدعانَ حلفاً ، ما أُحبُّ أنَّ لي به

(١) ابن هشام ، سيرة النبي ﷺ ، ١/ ٤٤٦ .

حُمْرَ النَّعم)) [1] ما كنتُ لأتخلَّى عن شرف المشاركة فيه ولو أعطوني به أنفس الأموال) ، : ((ولو دُعيتُ به في الإسلام لأجبت)) (ابن قتيبة : المعارف ، ٢٩٤) ، و(ابن سعد : الطبقات ، ١ / ١٢٩ ، وابن هشام ، ١/ ١٤٠) .

وكان هذا الحلف الذي شهده النبي ، معاهدةً لاشاعة روح السلام والأمن والعدل وهما من أسس الإسلام ، وكان - فوق ذلك - عملاً دبلوماسياً موجَّهاً لتنظيم عقد مؤتمر سنوي لتأمين الوافدين إلى مكة من داخل البلاد أو من خارجها وحمايتهم ، ولعل في صلح الحديبية أبلغَ مقال على تعظيم الإسلام لقيم السلام والأمن . وفي المفاوضات التي دارت في غزوة الحديبية كانت الفكرة الموجِّهة للرسول - ﷺ - في قَبوله بمبدأ التفاوض حول هذا الصُّلح متمثلةً في قوله ((**والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظِّمون فيها حرماتِ الله إلا أعطيتهم إياها**))[2] .

وكان - صلوات الله عليه وسلامه - قد قرر من مركز القوة الذي أحرزه المسلمون بعد غزوة الخندق تجميدَ الصراع الحربي مع قريش للالتفات إلى الجبهات الأخرى ضد المعادين من الأعراب حول يثرب ، وقوى اليهود المتربعة في المدينة ، والدولة البيزنطية في الشمال ، ومن حالفها ، وبناءً على ذلك قرَّر الرسول - ﷺ - القيام بعمل ثلاثي الغاية .

كان هدفه القريب أداء العمرة ثم :

(١) تجميد الجبهة الجنوبية ، للتفرغ للجبهة الشمالية حيث كان اليهود في خيبر يحرِّضون ويموِّلون قواعدهم .

---

(١) رواه أحمد ٣/ ١٢١(١٥٦٧) ولكن بهذا اللفظ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(شَهِدْتُ حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ مَعَ عُمُومَتِي وَأَنَا غُلَامٌ فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ وَأَنِّي أَنْكُثُهُ)، وأورده الألباني في الأحاديث الصحيحة١٩٠٠، وانظر صحيح الجامع٣/ ٢٣٠(٣٦١١) وراجع أيضا الروض الأنف ١/ ١٥٦،١٥٥.

(٢) رواه البخاري في الشروط ب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب(٢٥٢٩)، ورواه أحمد بنحوه بإسناد صحيح وآخر حسن (١٨١٦٦) و (١٨١٥٢).

(٢) إثبات حق المسلمين في الحج والعمرة .
(٣) توقيع اتفاق السلام المؤقت مع قريش ، لأنَّ في التوقيع عليه اعترافاً بكيانه السياسي ، مما تسبب في فتح باب الدخول في دين الله أفواجاً ، فتحقَّق بالدبلوماسية ما لم يتحقق بالحرب .

أما الغاية البعيدة لذلك العمل ، فهي إشعار قريش : بأن مكة ليست داراً للوثنية تمارس فيها بَغْيَها كما تشاء ، وتغلقها في وجه من تشاء ، ومن ثم أعلن في ذي القعدة من السنة السادسة من الهجرة أنه سوف يتوجه بالمهاجرين الذين أكرهوا على مغادرة مكة ، ومن يحب مصاحبتهم من الأنصار ، وأهل البوادي إلى مكة معتمراً لا يريد حرباً . وتقدم الرسول - عليه الصلاة والسلام - مع ألف وأربعمائة من المهاجرين والأنصار لأداء العمرة محرماً سائقاً الهدي ليأمن الناس . وبعث وهو عند ذي الحليفة عيناً له يترصد له الأمر ويخبره عن قريش ، حتى إذا كان قريباً من عسفان على بعد مرحلتين من مكة ، رجع إليه عينه وأخبره أن القوم استنفروا القبائل واستعدوا ليصدوا المسلمين عن المسجد الحرام . واستشار أصحابه فأشار أبو بكر بأن يمضي المسلمون صوب مكة ومن صدهم قاتلوه ، وأمَّنه رسول الله ﷺ على هذا الرأي . ومضى الجمع حتى بلغ الحديبية أسفل مكة ، وهنا بركت راحلته القصواء وأبت التحرك ، وفهم صلوات الله عليه وسلامه الرسالة ، وفزعت قريش وجمعت فرسانها وبدأ شبح الحرب يخيم على الأجواء ، وأخذ رسول الله يفكر ، ووجد أنه أمام معركة لم يردها ولم يحن وقتها . وخشيت قريش من هزيمة تودي بكيانها ، فرأت أنه ليس أمامها إلا أن تسارع بإرسال الوسطاء لكي يفاوضوا قائد الدعوة الإسلامية علهَّم ينتهون إلى مخرج لهم من هذا المأزق، ورأت قريش أن دخول المسلمين إلى مكة هذا العام السادس للهجرة سوف يعني الهزيمة الأدبية ، وسوف يحط من قدر الحَميَّة الجاهلية ، ولا مخرج إلا أن يعود المسلمون الآن ويكون لهم دخول مكة من عامهم القادم ، وأرسلت قريش أربعة سفراء عادوا بنفس الرد ، وهو أن المسلمين لا يبغون قتالاً ، وأنهم أتوا لأداء شعيره العمرة ، ونصحوا قريشاً بعدم الوقوف في سبيلهم إلا أن سفاءها أبوا واستكبروا .

وعندها رأى النبي - عليه الصلاة والسلام - القيام بخطوة من جانبه لعلها تبعث الطمأنينة في نفوس قريش ، فأرسل مندوباً من قِبله هو خراش بن أمية الخزاعى ، ولكنَّ قريشاً غلبها طيشها وحمقها على احترام السفراء ورعايه حرمتهم ، فما كان منهم إلا أن عقروا ناقته ، وكادوا يفتكون به لو لا أن منعته الأحابيش من عدوانهم فخلوا سبيله (ابن هشام : ٣/ ٣٢٨ ، والواقدي : ٢ / ٦٠٠) .

ولم تكتف قريش بذلك فحاولت استفزاز المسلمين بإرسال جماعة من المشركين ليتسللوا تحت جنح الليل ، ويختطفوا بعض رجال المعسكر الإسلامي ، ولكن الرسول ﷺ تنبه إلى هذه المكيدة وقبض على هذه الجماعة .

وهنا رأى الرسول - صلوات الله عليه وسلامه - أن يعيد المحاولة لإقناع أهل مكة بتركه يزور البيت الحرام ، فدعا عمر بن الخطاب ليكون مبعوثه إلى قريش ، فقال له عمر : ((يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَخَافُ قُرَيْشًا عَلَى نَفْسِي وَلَيْسَ بِهَا مِنْ بَنِي عَدِيٍّ أَحَدٌ يَمْنَعُنِي وَقَدْ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ عَدَاوَتِي إِيَّاهَا وَغِلْظَتِي عَلَيْهَا وَلَكِنْ أَدُلُّكَ عَلَى رَجُلٍ هُوَ أَعَزُّ مِنِّي عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَهُ إِلَى قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِحَرْبٍ وَأَنَّهُ جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ مُعَظِّمًا لِحُرْمَتِهِ فَخَرَجَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ ، وَلَقِيَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ وَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرَدِفَ خَلْفَهُ وَأَجَارَهُ حَتَّى بَلَّغَ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْطَلَقَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ وَعُظَمَاءَ قُرَيْشٍ فَبَلَّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَرْسَلَهُ بِهِ فَقَالُوا لِعُثْمَانَ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَطُفْ بِهِ فَقَالَ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ حَتَّى يَطُوفَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَاحْتَبَسَتْهُ قُرَيْشٌ عِنْدَهَا فَبَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ[1].

(١) رواه أحمد بإسناد صحيح وآخر حسن (١٨١٦٦) و (١٨١٥٢).

وتمثل للمسلمين غدر قريش وقتلهم لعثمان في الشهر الحرام ، فقال رسول الله : ((لا نبرح حتى نناجز القوم)) ودعا الناس للبيعة[1] ، وتوافد المسلمون يبايعونه وهو واقف تحت شجرة سميت بعد ذلك : شجرة الرضوان ، ولكن ما لبث أن جاءت الأخبار لتنفي ما أشيع عن عثمان .

وفي الوقت نفسه جزعت قريش عندما علمت بالبيعة وتشمير المسلمين عن ساعد الحرب ، وقامت بإرسال سهيل بن عمرو سفيراً خامساً إلى رسول الله يطلب المصالحة على شرط الرجوع عن العمرة هذا العام ، على أن يعودوا في العام المقبل ، وذلك حفاظاً على مكانة قريش بين القبائل ، وحتى لا تحدث العرب أنه دخلها عليهم عنوة .

واستقبل رسول الله مبعوث قريش الذي جاء يحمل تفويضاً قوياً في طلب الموادعة ، وأسهب سهيل في عرض الجوانب التي يريدها أن تكون أساساً للصلح ، ووافق عليها النبي ﷺ ولم يبق إلا تسجيلها كتابة في وثيقة رسمية ، ولم يستشر - صلوات الله وسلامه عليه - في ذلك أحداً من أصحابه كما فعل عندما علم بنية قريش صده عن البيت الحرام . وتبرم عمر بن الخطاب وراجع رسول الله قائلاً : (علام نعطي الدنية في ديننا) طالما نحن على الحق وهم المشركون ، قَالَ عُمَرُ وَأَنَا أَشْهَدُ ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَ لَسْنَا بِالْمُسْلِمِينَ أَوَ لَيْسُوا بِالْمُشْرِكِينَ قَالَ بَلَى قَالَ فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنَّةَ فِي دِينِنَا فَقَالَ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ لَنْ أُخَالِفَ أَمْرَهُ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي[2]

(١) رواه ابن إسحاق انظر سيرة ابن هشام بيعة الرضوان٣/ ٢٠٢، وابن عبد البر في التمهيد ١٢/ ١٤٨، وأصل حديث بيعة الرضوان رواه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية(٤١٦٩)، ورواه مسلم (١٨٥٦).

(٢) رواه بهذا اللفظ الإمام أحمد بإسناد صحيح وآخر حسن (١٨١٦٦) و (١٨١٥٢).
أما رواية البخاري فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا قَالَ بَلَى قُلْتُ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ قَالَ بَلَى قُلْتُ فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا قَالَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي هذا لفظ البخاري، وهو قطعة من حديث طويل عن صلح الحديبية رواه البخاري في الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب(٢٥٢٩).

١. ودعا رسول الله عليٌّ بن أبي طالب وقال له : هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ سُهَيْلٌ وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنْ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ وَلَكِنْ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله . هذا لفظ البخاري، وهو قطعة من حديث طويل عن صلح الحديبية رواه البخاري في الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب(٢٧٣١ط عبد الباقي)(ط البغا٢٥٢٩)..قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو لَا أَعْرِفُ هَذَا وَلَكِنْ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو فَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو لَوْ شَهِدْتُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَمْ أُقَاتِلْكَ وَلَكِنْ اكْتُبْ هَذَا مَا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو(١).

فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بحذفها ... وقال: أرنيها: الحديث بهذا اللفظ رواه مسلم في الجهاد والسير باب صلح الحديبية(٣٣٣٦) أو١٧٨٣): وفيه قَالَ لِعَلِيٍّ اكْتُبْ الشَّرْطَ بَيْنَنَا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ الْمُشْرِكُونَ لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ تَابَعْنَاكَ وَلَكِنْ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَأَمَرَ عَلِيًّا أَنْ يَمْحَوهَا فَقَالَ عَلِيٌّ لَا وَاللَّهِ لَا أَمْحَوهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرِنِي مَكَانَهَا فَأَرَاهُ مَكَانَهَا فَمَحَاهَا وَكَتَبَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ(٢).

وتحفل واقعة الحديبية بالكثير من الدروس والعبر فيما يتصل بما قام به النبي ﷺ لعل أهمَّها ما يلي :

(١) رواه بهذا اللفظ الإمام أحمد بإسناد صحيح وآخر حسن (١٨١٦٦) و (١٨١٥٢).
(٢) ورواه البخاري نحوها في المغازي باب عمرة القضاء(٤٢٥١).

أ- عدم المبادرة بالحرب إلا في حالة الغدر أو نقص العهد ؛ فقد أكد النبي لقريش من خلال رسلهم ورسوليه نواياه السليمة الخالصة ، ولم يتردد - عندما وصلته أخبار تبين عدُم صحتها عن مقتل عثمان - عن التأهب للقتال رغم التكافؤ في القوة بين الطرفين .

ب - عدم السماح للطرف الآخر باستغلال تفوقهم في فرض مكان المعركة وزمانها ، وعدم الوقوع في فخ الاستفزاز والاستثارة ، وقد تلقى النبي ﷺ رسالة ربه - سبحانه وتعالى - وهو في الحديبية ليس لأن الله - عز وجل - لم يأذن للنزال ، بل لأن الله - عز وجل - لا يريد للمسلمين المعرَّة والإثم بقتل بعض المسلمين الذين يخفون في مكة فقال تعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ (أي لم تفرقوا بينهم وبين الكفار في مكة) أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ (أي لو كان يمكن تمييزهم عن الكفار) لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٥] **وفي هذا رد واضح على الذين يَستحِلُّون دماء المسلمين في أعمالهم الإرهابية بدعوى أنهم يذهبون شهداء** ، وبشره الله بفتح مكة فتحا مبيناً وهو في طريق العودة من الحديبية حيث نزلت سورة الفتح ، وتم ذلك بعدها بعامين حيث كانت الظروف مهيأة ، والوقت مقدراً بأمر الله حيث اجتمع في صفوف المسلمين عشرة آلاف مقاتل من الأبطال .

ح - الدراية الواعية بنفسية الطرف الآخر ، ومراقبة تحركاته ومعرفة حقيقة نواياه ، ومدى استعداده للمواجهة أو السلام ، ومن ذلك بث العيون ، والتنبه لمحاولات التجسس والتحوط لها ، وتنظيم مناوبات الحراسة ليلاً ونهاراً .

د - تقرير أن الشورى مشروعة ، ولكنها ليست ملزمةً ، وهذا لا يتعارض مع الأمر المتضمن في قوله - عز وجل - ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ ، بل إن الرسول - ﷺ - كان في ذلك مأموراً من ربِّه - عز وجل - حينما قَالَ عُمَرُ وَأَنَا أَشْهَدُ ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَ لَسْنَا بِالْمُسْلِمِينَ أَوَ لَيْسُوا بِالْمُشْرِكِينَ قَالَ بَلَى قَالَ فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِّيَّةَ فِي دِينِنَا فَقَالَ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ لَنْ أُخَالِفَ أَمْرَهُ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي[1] ، وهي حقاً غير ملزمة إذا رأى القائد أو ولي الأمر أن المصلحة تكمن في غير ما يراه أهل الشورى، لأنه - ﷺ - لم يُفصح عن القصد من وراء قبوله للائتفاق ، ذلك لأنه يدرك أنه سيحقق بذلك ثلاثة أمور هامة :

(١) إثبات حق المسلمين في الحج والعمرة .

(٢) تجميد الجبهة الجنوبية والقضاء على الجبهة الشمالية في خيبر لأنها جبهة تحريض وتمويل ، فلما عاد إلى المدينة هاجم خيبر ودمرها وأخرج اليهود .

(٣) التوقيع على العقد يعني الاعتراف بكيان النبي ﷺ السياسي ، لهذا حالما عاد موقعاً العقد توافدت الوفود العربية وأسلم الكثير .

هـ - حسن اختيار السفراء واحترام حرمة وحصانة سفراء الطرف الآخر ، وذلك عرف كان قد استقرَّ في الجاهلية وانتهكته قريش في الحديبية .

و - إعطاءُ الطرف الآخر فرصةً أخيرة لمراجعة النفس وللعودة عن الضلال بإبداء أقصى درجات التسامح واللين والموادعة والكرم في شروط الصلح ، الأمر الذي أكسب المسلمين كثيراً من المكانة والعزة . وكان سيدنا أبو بكر الصديق محقاً في قوله رضوان الله عليه ((**ما كان فتحٌ في الإسلام أعظمَ من فتح الحديبية**)) وكان الرسول - عليه الصلاة والسلام - يعلم أن قريشاً لن تطيق استمرار الهدنة لعشر سنوات ، وأنها ستكون أول من ينقض هذا الشرط .

---

(١) بهذا اللفظ الإمام أحمد بإسناد صحيح وآخر حسن (١٨١٦٦) و (١٨١٥٢)، أصل الحديث في البخاري بنحوه في الشروط ب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب(٢٧٣١ط عبد الباقي) (ط البغا٢٥٢٩).
ورواه مسلم وفيه: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا رواه في الجهاد والسير باب صلح الحديبية (١٧٨٥).

ز - توفير الظروف الملائمة لنشر الدعوة داخل الجزيرة العربية وخارجها حتى قيل إنَّ من دخلوا الإسلام خلال سنتي الهدنة كانوا ضعف من آمنوا قبلها .

وتقدم وقائع صلح الحديبية الكثير من الدروس بالنسبة (للدبلوماسية) النبوية الشريفة ، يمكن إجمالها فيما يلي :

أ - المراوحة بين اللين والشدة في مناقشة الخصوم ، وهو ما يمثل جوهر فن التفاوض ببراعة . ذلك أنه بقدر ما كان النبي ﷺ ملاطفا في تأكيده المتكرر لرسل قريش أنه جاء معتمراً مسالماً وإطلاقه الهدي تثبيتاً لذلك ، بقدر ما كان - صلوات الله عليه وسلامه - شديد الحزم عندما بلغه أن قريشاً قد أعدت جيشاً ليحول بين الجماعة الإسلامية ومكة ، فقال : ((**ياوَيْحَ قريش ، لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني ، كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهر في الله عليهم دخلوا في الاسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ؟ فوالله الذي لا إله غيره ، لن أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهر ذلك، أو تنفرد هذه السالفة**))[1]، وأشار إلى صفحة عنقه ، أي حتى يبتر هذا العنق وينفصل كناية عن الموت .

وكان هو - صلوات الله عليه وسلامه - الذي استقبل سفراء قريش الأربعة واحداً بعد الآخر باللين والحسنى رغم ما فعلته قريش بسفيره الأول خراش بن أمية الخزاعي ، غير أنه اتخذ جانب الشدة عند ما بلغه نبأ كاذب ، بل إن قريشاً أطلقت هذا الخبر فأشاعت أن السَفير الثاني للرسول - ﷺ - أي عثمان بن عفان، قد قتلته قريش ، وذلك لكي تختبر بذلك مدى قدرة النبي - ﷺ - واصحابه، واستعدادهم لخوض معركةٍ قتالية ، فكان الرد عليهم هو بيعة الرضوان التي زلزلت أركان قريش ، وانقلب عليها مَكْرُها الذي قصدته من إشاعة نبأ مقتل

(١) البخاري : (٥/ ٣٥١) ، وأحمد : (٤/ ٣٢٨) ، وابن هشام : (٣/ ٣٢٣) .

عثمان كذباً للتأثير سلباً على معنويات المسلمين ، فإذا بهم هم الذين يتوجسون من حميَّة الإيمان .

ب- حسن اختيار الرسل والسفراء ، فقد كان اختيار خراش بن أمية الخزاعي وله في الأحابيش[1] سند ، ثم كان اختيار عثمان بن عفان استجابة لمشورة عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - وكان الاختيار موفقاً لأنّ عثمان كان من الأمويين أصحاب العصبيات القوية في قريش ، ومن ثم لن تجرؤ على إيذائه وسيكون الأمل في نجاته كبيراً . وكان - رضي الله عنه - فوق ذلك يتمتع بالموادعة والطيبة، ولا يوجد بينه وبين أحد القرشيين خصومات تدفعهم إلى الانتقام منه . وأحسنت قريش استقباله غير أنها حجزته عندها ثلاثة أيام ، وأشاعت بين الناس خبر موته وكانت بيعة الرضوان . وكان عثمان مكلفاً بمهمة أخرى أشد جللاً من مهمة التفاوض ونقل الرسالة . فقد أمره النبي ﷺ حين يصل مكة أن يأتي رجالاً مؤمنين ، ونساء مؤمنات ، فيدخل عليهم ويبشرهم بالفتح ، ويخبرهم بأن الله - سبحانه - مظهرٌ دينه بمكة ، حتى لا يستخفي فيها مستخفٍ بالإيمان[2] ، وهكذا كان في الحديبية تمهيد للفتح الأعظم . ومما يؤكد ذلك أنه بعد إقرار الصلح ومراجعة عمر بن الخطاب لرسول الله ﷺ ، كان مما قاله عمر لرسول الله : (أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ قَالَ بَلَى فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ قَالَ قُلْتُ لَا قَالَ فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ) [3] .

(١) الأحابيش : هم من بني المصطلق وبني الهَوْن بن جُزَيمة حالفوا قريشاً عند حُبشي (جبل بأسفل مكة) فسموا أحابيش قريش ، وهم ممن يعظمون البُدْن . اللسان وحبش) .

(٢) محمد الغزالي : فقه السيرة ، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص ٢٥٠ ، والواقدي في تاريخة (١٣٠ - ٢٠٧هـ) ٦٠١ ، ٦٠٦ .

(٣) هو قطعة من حديث طويل عن صلح الحديبية رواه البخاري في الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب(٢٧٣١ط عبد الباقي)(ط البغا٢٥٢٩).

ج - الصبر والمثابرة وعدم التردد مع صلابة الإيمان وقوته ، وفي ذلك تبرز قولة النبي ﷺ حين ناقشه عمر بن الخطاب في أمر شروط الصلح حيث قال رسول الله ﷺ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ لَنْ أُخَالِفَ أَمْرَهُ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي [1] .

الواقعة هي كما يأتي :

((فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب، وَثَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَأَتَى أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَلَيْسَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَلَسْنَا بِالْمُسْلِمِينَ أَوَلَيْسُوا بِالْمُشْرِكِينَ قَالَ بَلَى قَالَ فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنَّةَ فِي دِينِنَا فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا عُمَرُ الْزَمْ غَرْزَهُ حَيْثُ كَانَ فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ عُمَرُ وَأَنَا أَشْهَدُ ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَلَسْنَا بِالْمُسْلِمِينَ أَوَلَيْسُوا بِالْمُشْرِكِينَ قَالَ بَلَى قَالَ فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنَّةَ فِي دِينِنَا فَقَالَ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ لَنْ أُخَالِفَ أَمْرَهُ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي ثُمَّ قَالَ عُمَرُ مَا زِلْتُ أَصُومُ وَأَتَصَدَّقُ وَأُصَلِّي وَأَعْتِقُ مِنْ الَّذِي صَنَعْتُ مَخَافَةَ كَلَامِي الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ يَوْمَئِذٍ حَتَّى رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا[2] ، لأنه لا يجوز الاجتهاد بالرأي إذا قضى الله ورسوله أمراً .

ثالثاً : العلاقات مع غير المسلمين

تأسست علاقات الدولة الإسلامية منذ العصر النبوي على مقوّمات متأصّلة في الشريعة السمحة ، إذ حددت نهجاً متكاملاً في أساليب التعامل مع الآخر من غير المسلمين كفاراً كانوا أم أهل كتاب ، وأكدت العلاقات الدولية الإسلامية على التعاون والتعاضد لخير الجميع ، واعترفت بالدول غير الإسلامية اعترافاً واقعياً ، وتبادل النبي ﷺ المراسلات والسفارات معها . وكانت أول هجرة في الإسلام إلى الحبشة ، وتبادل النبي ﷺ الرسائل مع النجاشي ملكها النصراني الديانة ووصفه بأنه ((ملك لا يظلم

(١) سبق تخريجه ، وانظر ، والواقدي (٢/ ٦٠٦) .

(٢) رواه الإمام أحمد(١٨١٥٢)بإسناد صحيح.

عنده أحد)) ، وهو وصف لم تستأهله قريش التي نشأ بين ظهرانيها وانتسب إلى أشرف قبائلها، ويعقب السهيلي على ذلك بقوله ((إنَّ من الملوك من اتبع محمداً كملوك اليمن وعمان ، ومنهم من هادنه وأهدى إليه كالمقوقس وهرقل ، ومنهم من تعصَّى عليه كملك الغساسنة وكسرى فارس)) [1] . ويدل ذلك على اعتراف الرسول ﷺ بكيان هذه الدول السياسي ، وإلا لما كاتبها ، ولما عقد معاهدات مع بعضها .

وقد قرر الفقهاء استناداً للآراء المنسوبة للأئمة السابقين - رضوانُ الله عليهم - أنَّ الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم من الدول هو السلم ، وأنه يصحُّ لهم عقد صلح بحسب الظروف تحقيقاً لنص القرآن الكريم : ﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء : ٩٠] [2] .

وقد سلك المسلمون القدماء هذا الباب وطبقوه عملياً ، حيث كانوا يدعون أعداءهم للإسلام ، فإن أبوا ، وكبُر عليهم ترك معتقداتهم أو أديانهم ، فليأتوا للتعاقد على مبادئ السلام . والأصل في الدعوة الحكمة والموعظة الحسنة قال الله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ (النحل : ١٢٥)

والموادعات التي عقدها الرسول ﷺ لم تكن كلها مهادنات ، وإن كان ذلك هو النمط الأغلب الأعم ، ولكن بعضها كان معاهدات اقتضاها حسن الجوار ، أو معاهدات أمان . وفوق هذا فهناك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال : ٧٢]

---

(١) الروض الأنف شرح السيرة النبوية لابن هشام : لعبد الرحمن بن عبد الله السهلي (٥٨١هـ) مصر ١٣٣٣هـ : (١/ ٢٥٠) .

(٢) الشريعة الإسلامية لعلي منصور : ص ٣٧٨ ، والسير الكبير للشيباني ، (تحقيق خدوري : ص ١٦٥ ، السرخسي ، والمبسوط (١٠/ ٨٦) ، وكتاب اختلاف الفقهاء للطبري : ص ١٩ .

أي إن استنصركم المؤمنون الذين لم يهاجروا فانصروهم ، إلا أن يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم عهد ، فلا تغدروا بأرباب العهود والمواثيق[1] ، ويلاحظ في هذه الآية الكريمة أن كلمة ميثاق وردت مطلقة غير مقيدة ، ومعنى ذلك أنها تشمل أيَّ لون من ألوان العهود ، وسواء أكان موادعة ومتاركة ، أم معاهدات تجارية ، أم معاهدات ثقافية ، أم غير ذلك وفي كل ذلك دليل على إباحة ارتباط الدولة الإسلامية مع غيرها من الدول بمعاهدات معينة . وإذا أشار بعض الفقهاء إلى ضرورة منع بعض المعاهدات ، فإنها تمنع لحرمة هذا النوع في ذاته ، وليس لحرمة التعاهد من حيث المبدأ .

وقد ذهب الحنابلة وجمهور المالكية وبعض الحنفية إلى القول بأن المسئول عن عقد المهادنات ، وهي المعاهدة والصلح على ترك القتال في الدولة الإسلامية هو الخليفة أو نائبه ، ويستدلون على ذلك بأن الموادعات والمهادنات تضم كثيراً من دقائق الأمور ذات الخطر مثل : ترك القتال الذي يعدُّ فرضاً ، ومن أجل ذلك لابد أن يختصّ بها الإمام ، أو يسندها إلى من يراه كفؤاً لهذه المهمة من نوابه . وفوق هذا فالمهادنةُ عقد أمان مع دولة أو جماعة من غير المسلمين ، ولا يتسنى لغير الإمام أن يتحمل إبرام مثل هذا العقد ، وهي مسئولية جسيمة ، لأن تجويزه من غير الإمام يتضمن تعطيل الجهاد ، وفي ذلك افتئات على الإمام فإن هادنهم غيرُ الإمام أو نائبه لم يصح ، وليس غيرهم محلاً لذلك لعدم ولايته[2] .

وقد حددت المعاهدة التي أبرمها النبي ﷺ العلاقات بين المهاجرين والأنصار وبين اليهود ، بعد الهجرة إلى المدينة بشهور ، والأرجح أنها تمت في العام الثاني من الهجرة (٦٢٤م) حينما أخذت الدولة الإسلامية أهبتها لمواجهة الجماعة الوثنية في معركة بدر ، وكان لابد لقائد الدولة الإسلامية أن يؤمّن دولته بعقد هذا الحلف ، وقد توحد سكان المدينة ليعملوا معاً ، لأن النبي - ﷺ - فرغ في مكة من بناء الفرد ، وفي المدينة

(١) د . محمد الصادق عفيفي : الإسلام والمعاهدات الدولية مرجع سابق : ص ٧٤ – ٧٦ ، زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج بن عبد الرحمن بن الجوزي (٥٩٦هـ) ، بيروت ١٩٦٤م : (٣/ ٣٨٦) .

(٢) ابن قدامة ، المغني : ٨/ ٤٦١ ، وفتح القدير : ٤/ ٢٩٣ ، وعفيفي محمد الصادق : الإسلام والمعاهدات الدولية : ص ٧٩ .

عمد إلى بناء الدولة والأمة ، لهذا قال في الصحيفة في بدايتها ((**نحن أمة من بين الناس**))

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ كِتَابًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَنْ يَعْقِلُوا مَعَاقِلَهُمْ وَأَنْ يَفْدُوا عَانِيَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ. [1] **فكانت أول دستور في التاريخ ، وعرفت المعاهدة بصحيفة المدينة ، وكانت** دستوراً للعلاقات بين المسلمين واليهود والمسيحيين والمشركين والقبائل حدد الحقوق والواجبات، وقال ابن إسحاق: ((كتب رسول الله كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم ، وأقرَّهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرط لهم)) [2] .

وقد حدد القسم الأول من الصحيفة أطراف التعاهد على نحو ما يتم في المعاهدات الدولية المعاصرة ، وتناول القسم الثاني أبواب المسالمة والموادعة لمن يريد السلام ، والتعاهد على الوقوف أمام البغي في أي صورة من الصور ، وأبواب الحرب والقتال والإجارة لمن يأبى إلا القتال ، و جعل مرجع ذلك كله كتاب الله وسنة رسوله . وجاء في المادة الرابعة من هذا القسم : ((**إن ذمة المسلمين واحدة ، يجير عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس**)) ، بما يعني أنه يجوز للمسلم حراً كان أم عبداً ، رجلاً كان أم امرأة أن يجيرَ واحداً أو جماعة من الكفار ، وتناول القسم الثالث وضع أسس وقواعد الدفاع في حالة العدوان الخارجي ، مع بيان تأمين ديانات أهل الكتاب المجاورين والقاطنين معهم ، وجاء في مادتها الثانية عشرة ((**إنَّ على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر ، على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم ، وأنه لا يأثم أمرؤ بحليفه ، وأن النصر للمظلوم**)) . وجاء في المادة الخامسة عشرة : ((**أن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم**)) .

---

(١) رواه الإمام أحمد مختصرا ١/ ٢٧١ (٢٣١٧)،(٦٦١٠)، وقد ذكر روايات هذه المعاهدة، ودرسها الدكتور مهدي رزق الله في السيرة من ص٣٠٦إلى ٣١٨، وراجع أيضا دراسة الدكتور أكرم العمري الموسعة للصحيفة في كتابه السيرة النبوية الصحيحة ١/ ٢٧٢إلى ٢٩٨ وكلاهما أثبتا صحة الوثيقة.

(٢) مسند أحمد : (١/ ٢٧١) .

وتناول القسم الرابع الإجارة ، وحالة المصالحة ، وكفالة حقوق جميع من تشملهم الصحيفة ، وضمان الأمن لهم[1] .

ويعتبر مضمون هذه الوثيقة محدداً الأسس والقواعد اللازمة لبناء دولة راسخة ويتوافق مع روح المبادئ الإسلامية . ويؤكد على أن هذه الأمة لا تتسم بالعصبية أو بالعنصرية ولا تأخذ بالطبقيَّة ، فالمسلمون معهم اليهود ، ومعهم الموالي ، ومعهم من أحب الدخول في حلفهم ، ونلمس هنا أن اختلاف الدين ، واختلاف الطبقات لا يحول دون الدخول في تكوين الدولة باعتبارهم مواطنين ، وأقرَّت الصحيفة مبادئ كثيرة أخرى استلهمتها القوانين الموضعية المعاصرة مثل مبدأ المسئولية الشخصية في قولها ((**لا يأثم امرؤ بحليفه**)) وهو المبدأ الذي أرسته الآية الكريمة : ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ ﴾ [النساء:١١١] ، ومبدأ المناصرة والمساواة ، ومبدأ المسئولية الاجتماعية ، فالمدينة ((**محرمةً لا يُقتل طيرها ولا شجرها ، ولا تُستباح دماء وأموال أهلها**)) والقصاص نازل بالجميع ، والحيلولة دون البغي واجب ، وبعث الأمن بين الناس حقيقة صارمة يجب أن يخضع لها الجميع ، والإسهام في نفقات الدفاع حق لامرية فيه خاصة بالنسبة لليهود الذين لا يشاركون في القتال .

لقد كان عقد الوثيقة مظهراً من مظاهر السيادة والرئاسة والقيادة في الدولة الجديدة التي كان على رأسها رسول الله ﷺ ، لأنها لو لم تكن دولة لما بدأت عقدها عقد المعاهدات .

وفي هذا المقام من المفيد أن نُذكّر بآداب الدولة المسلمة مع غير المسلمين ، وكأن التاريخ يعيد نفسه هذه الأيام ، ومن المفيد أن نسجل ما كفله الإسلام من امتيازات لأهل

(١) عفيفي ، محمد الصادق ، الإسلام والمعاهدات ، مرجع سابق ، ٢٠١ – ٢٠٨ .

الكتاب من المسيحيين واليهود في الدولة الإسلامية التي ضمنها الإسلام ، ونظمتها الدولة الإسلامية ونعم فيها اليهود والمسيحيون بأهنأ حياة في التاريخ .

(١) عقد الذمة عهد أمان وامتياز : فإذا أعطيت الذمة حفظت ولزمت .

(٢) حريتهم بالبقاء على عقيدتهم : لأن الإسلام لا يكره أحداً في الدخول فيه وأساس الدخول فيه حرية الاختيار والاقتناع والاتباع .

(٣) ضمان حريتهم في حياتهم الخاصة بكل تفاصيلها .

(٤) احترام أماكن عبادتهم .

(٥) احترام أحوالهم الشخصية ومحاكمهم .

(٦) حمايتهم من أي اعتداء يقع على حياتهم وأملاكهم ومنازلهم .

(٧) حسن معاملتهم وقواعد العيش معهم بالحسنى في ضوء أحكام الشرع وتعاليم الدين .

(٨) السماح للمسلم بالزواج من المسيحية واليهودية .

الفصل الثاني

المراسم والسفارات في الإسلام

الفصل الثاني

المراسم والسفارات في الإسلام

يقوم المنهج الإسلامي في العلاقات الدولية على أن السلم هو أصل العلاقات الدولية ، حتى يقع اعتداء على بلاد المسلمين فتكون الحرب ، وقد جاء الإسلام في وقت كانت الحرب تشن بدافع السيطرة والطموح ، أو للتوسع والغنائم ، أو لحسم النزاعات ، وكانت هي القاعدة العادية للعلاقات ، أما الإسلام فينشد السلام الداخلي والخارجي ، ويسعى إلى الاستقرار في علاقات الدول ، ولا يسمح للمؤمنين بأن يتدخلوا في شؤون الدول الأخرى ، وينهي الإسلام أتباعه عن تمني الحرب ، أو الدعوة إليها حتى مع المعتدين ، فإن أمكن دفع الاعتداء بلا حرب كفى الله المؤمنين شرَّ القتال .

وفي الحديث النبوي ، قال رسول الله ﷺ : (أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِيَ السَّحَابِ وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ) [1] رواه مسلم ، وحتى عند استفزاز المسلمين فقد كانت الرسل والسفراء من الوسائل الاتصالية الهامة بين النبي ﷺ وخلفائه من بعده وولاة أمور المسلمين وبين الدول الأخرى تروح وتجيء بهدف إقامة أفضل العلاقات مع الدول والجماعات الأخرى .

وللإسلام منهجه وآدابه وقت الحرب نجدها في التوجيهات الانضباطية إلى قادة الجيوش ، ووصايا الخلفاء ، والقواعد التي حددها فقهاء المسلمون واستنبطوها من نصوص القرآن وسنة الرسول ﷺ .

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير باب كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا لم ..(٢٧٤٤)، وفي التمني باب كراهية تمني لقاء العدو(٦٦٩٦)، و رواه مسلم في الجهاد والسير باب كراهية تمني لقاء العدو (٣٢٧٦).

أولاً : أيفاد الرسل ((السفراء)) :

عرفت الحضارات القديمة في مصر وبابل والصين والهند واليونان إيفاد الرسل والسفراء لترتيب الأحلاف ، وتسوية النزاعات ، وتنظيم المصالح التجارية وغيرها . وقد شرع الإسلام منذ عصره النبوي الزاهر هذا التقليد القديم وطوره وأكسبه توجُّهاً جديداً حيث أصبح نشر الدعوة الإسلامية ومبادئ الإسلام السمحة هدف هذه السفارات الرئيسي .

وحرص الرسول ﷺ على نهج واضح في ترتيب هذه السفارات ، استند إلى عدة عناصر تتمثل فيما يلي :

(أ) حسن اختيار السفراء :

وكان النبي يختار سفراءه من خيرة صحابته المتمتعين برجاحة العقل ، وسعة الحلم والعلم ، وحسن التصرف ، وعمق الفطنة ، والتمكن من إقامة الحجة . وكان يوائم ما بين شخصية الرسول وطبيعة المهمة ونوعية مقصد الرسالة . وقد اتبع الخلفاء الراشدون ومن تبعهم هدى الإسلام والسنة النبوية الشريفة في ذلك . واستخلص أبو علي الحسين بن محمد المعروف بابن الفرّاء من مناهج الحكمة التي أورثتها هذه الحقبة المباركة ، ودونها في مؤلفه الرائد : ((رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة)) والتي ذكر فيها ما يلي عن أحد الحكماء :

((اختر لرسالتك في هدنتك وصلحك ومهماتك ومناظرتك والنيابة عنك ، رجلا حصيفاً ، بليغاً ، حُوّلاً قُلّباً ، قليل الغفلة ، منتهز الفرصة ذا رأي جزل ، وقول فصل ، ولسان سليط وقلب حديد ، فطناً للطائف التدبير ، ومستقبلاً لما ترجو أو تحاول بالحزامة وإصابة الرأي ، ومتعقباً له بالحذر والتمييز ، سامياً إلى ما يستدعيه إليك ويستدفعه عنك . إن حاول جرَّ أمرٍ أحسن اعتلاقه ، وإن رام دفعه أحسن رده ، حاضر الفصاحة مبتدر العبارة ظاهر الطلاقة ، وثاباً على الحجج ، مبرماً لما نقض خصمك ناقضاً لما أبرم ، يُحيل الباطل في شخص الحق ، والحق في شخص الباطل متى رام

احتجاجا عنك ، ألد على أهل اللدد في مواقفه ومشاهده ، محتالاً في محاورته ومكائده ، جامعاً مع هذا العلم الفرائضَ والسنن والأحكام والسير ، ليحتذي مثالَ من سلف فيما يورده ويصدره ، عالماً بأحوال الخراج والحسابات وسائر الأعمال ، ليناظر كلاً بحسب ما يراه من صوابه وخطئه . ولكن من أهل الشرف والبيوتات ، ذا أهمية عالية ، فإنه لابد مقتفٍ آثار أوّليته، محب لمناقبها ، مساو لأهله فيها ، فمتى اجتمعت لك فيه هذه الخصال، فاجعله من بطانتك وأطلعه طلع أمرك)) .

ونقل ابن الفراء عن غير البلخي :

((يكون الرسول مذكوراً ، وسيماً قسيماً ، لا تقتحمه العين ، ولا يزدرى بالخبرة ، عفيفاً جيد اللسان ، حسن البيان ، حادَّ البصر ، ذكيَّ القلب ، يفهم الإيماء ويناظر الملوك على السواء ، فإنه إنما ينطق بلسان مرسله ، فإذا ذكروه عرف ، وإذا ينظر إليه لم يحتقر ...))

وقد ذم الله سبحانه وتعالى الرسول المحروم الذي لا تنجح على يديه الأمور فقد قال عز وجل : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾ [النحل : ٧٦] ،

ويضيف ابن الفراء:

((ويستحب في الرسول تمام القَدِّ وعبالة الجسم ، حتى لا يكون قميئاً ولا ضئيلاً وإن كان المرء بأصغريه ، مخبوءاً تحت لسانه . ولكن الصورة تسبق اللسان ، والجثمان يستر الجنان . ولذلك قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : ((**يؤذن لكم ، فيقدم أحسنكم اسماً ، فإذا دخلتم قدمنا أحسنكم وجهاً ، فإذا نطقتم ميزتكم ألسنتكم ..**)) وجاء في التاريخ أن الشعبي لما دخل على عبد الملك بن مروان برسالة الحجاج اقتحمه ناظره واستصغره قبل أن يمتحن ما وراء ذلك من عقله وبيانه وفضله وحكمته . فقال : ((إنك لدميم ياشعبي !)) فاحتاج الشعبي إلى تمحل العذر وإلطاف

الجواب ، فقال : ((زوجتُ في الرحم يا أمير المؤمنين)) وأعجب هذا الرد الأريب الخليفة عبد الملك بن مروان[1] .

وروي أن النبي ﷺ كتب إلى أمرائه : ((**إذا أبردتم إليَّ بريداً فأبردوه حسن الوجه، حسن الاسم**)) (ذكره البزار وأورده السيوطي في الجامع الصغير) (والبريد هو الرسول المستعمل) .

(ب) صفة تمثيل الغير أو الرسول :

كان رسول الله ﷺ يوصي من بعثه لجهة من الجهات من سفرائه ورسله بأعذب الكلام وأفضله ، فيقول لهم : ((**إنَّ الله بعثني رحمةً ، فأدُّوا عني يرحمكم الله ، بشّروا ولا تنفّروا ، ويسّروا ولا تعسّروا**)) [2] وتنبثق صفة تمثيل الرسول نيابة عن مرسله من هذا الحديث الشريف .

(ج) الرّسل والرسائل : المرحلة الأولى : :

(١) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف : أول سفراء الإسلام

بعثه النبي ﷺ سفيراً له إلى المدينة مع وفد العقبة الأولى . وكان معلماً وداعياً لأهلها وأول من جمع الجمعة فيها ، وعرف بالمقرئ للقرآن . كان في شبابه حسب وصف الرواة ((أعطر أهل مكة)) ، وكان المسلمون يلقبونه ((مصعب الخير)) . دخل الإسلام على يد الرسول ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم حيث كان النبي يلتقي بأصحابه فيتلو عليهم القرآن ويصلى معهم . حبسته أمه خناس بنت مالك عندما علمت بإسلامه وعندما واجهها هي وعشيرته وأشراف مكة بإيمانه وتلا عليهم القرآن في ثبات ويقين ، وهرب من محبسه ومضى إلى الحبشة مع بعض المؤمنين مهاجراً أوّاباً . ومكث معهم فترة ثم عاد إلى مكة وهاجر منها ثانية للحبشة مع الجماعة التي أمرها الرسول

(١) راجع ترجمة عامر الشعبي في تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٥/ ٣٤٠، الطبقات الكبرى ٦/ ٩٤٧، سير النبلاء ٤/ ٢٩٧، تذكرة الحفاظ ٤/ ٢٩٧.

(٢) عن كتب السنة والسيرة .

بالهجرة إليها ، اختاره الرسول لأعظم مهمة في حينها : أن يكون سفيره إلى يثرب (المدينة المنورة) ، يفقه الأنصار الذين آمنوا وبايعوا الرسول عند العقبة ، وليعد المدينة ليوم الهجرة العظيم . وكان في أصحاب رسول الله يؤمئذٍ من هم أكبر منه سناً وأكثر جاهاً وأقرب نسباً ، ولكن النبي - صلوات الله عليه وسلامه - اختاره وهو يعلم أنه يكل إليه بأخطر المهام ، ويلقي بين يديه مصير الإسلام في المدينة التي ستكون دار الهجرة ومنطلق الدعوة. وجاءها وليس فيها سوى اثني عشر مسلماً نتاج بيعة العقبة الأولى . وفي موسم الحج الثاني كان مسلمو المدينة يرسلون إلى مكة للقاء الرسول وفداً يمثلهم يضم سبعين تحت قيادة مصعب بن عمير . وأسلم على يديه ((أسيد بن حضير)) سيد بني عبد الأشهل ، وسعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة وتدخل جموع سكان المدينة الإسلام على يديه . وتتأهب المدينة لاستقبال الرسول مهاجراً ، وتدخل الدعوة الإسلامية طوراً جديداً نحو بناء الدولة وإرساء أسس الحكم .

ويختار الرسول ﷺ يوم أحد من بين الأبطال مصعب بن عمير لحمل الراية . ويتقدم الصفوف يجول ويتواثب ، لَفَتَ نظر الأعداء إليه وشغلهم بنفسه عن رسول الله عندما اختل الميزان لغير صالح المسلمين . وأقبل عليه ابن قمئة وهو فارس ، فضربه على يده اليمنى فقطعها ومصعب يقول : وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل .. وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه ، فضرب يده اليسرى فقطعها ، فحنا على اللواء وضمّه بعضديه إلى صدره ، ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه ووقع مصعب واستشهد . ووقف الرسول ﷺ عند جثمانه بعد انتهاء المعركة وقال ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ ﴾ ، وهتف في شهداء المعركة وعلى رأسهم عمه حمزة ((**إن رسول الله يشهد أنكم الشهداء عند الله يوم القيامة**)) (سيرة ابن هشام ١/ ٥٠١ – ٥٠٧ ، أسد الغابة ٥/ ١٨١ – العبر ١/ ٥) .

(٢) خراش بن أمية الخزاعي :

رسول النبي ﷺ إلى قريش يوم الحديبية ، قال ابن اسحاق : ((وحدثني بعض أهل العلم أنَّ رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعي فبعثه إلى قريش في مكة ، وحمله على بعير له ، يقال له : الثعلب ، ليبلغ أشرفهم عند ما جاء له ، فعقروا به جمل رسول الله ﷺ ، وأرادوا قتله، فمنعته الأحابيش، فخلوا سبيله ، حتى أتى رسول الله ﷺ)) (سيرة ابن هشام ، ٢/ ٣١٤) .

(٣) عثمان بن عفان :

وبعثه الرسول ﷺ إلى قريش يوم الحديبية بناء على مشورة سيدنا عمر بن الخطاب ، وأتى سيدنا عثمان أبا سفيان وعظماء قريش وبلغهم من رسول الله ما أرسله به ، فَقَالُوا لِعُثْمَانَ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَطُفْ بِهِ فَقَالَ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ حَتَّى يَطُوفَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1] فاحتبسته قريش عندها ، وبلغ النبي أنه قُتل فكانت بيعة الرضوان على نحو ما اشرنا سلفنا عند الحديث عن صلح الحديبية .

وكان عثمان بن عفان بن أبي العاص بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي أموياً قرشياً . وكان - رضوان الله عليه - من كبار صحابة رسول الله ﷺ ، ولد بمكة وأسلم بعد البعثة بقليل ، كان غنياً شريفاً في الجاهلية . ومن أعظم أعماله تجهيزه جيش العسرة في السنة التاسعة للهجرة ، وكان النبي - صلوات الله عليه وسلامه - قد غزا به تبوك . وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة وثالث الخلفاء الراشدين ، وكان عهده عهد فتوحات حيث فُتحت في عهده أرمينية وأذربيجان وأفريقية ، وبدأ غزو الروم براً وبحراً وفُتحت جزيرة قبرص ، وفي سنة ٢٧هـ أرسل حملة بحرية لغزو سواحل الاندلس ، وهو أول من فكر في فتح القسطنطينية واقتحام أوربا عن طريق أسبانيا للوصول إليها ، فكان أمره بغزو سواحل أسبانيا لهذه الغاية . ويرجع إليه الفضل في إزالة الخلاف في قراءة

(١) رواه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية(٤١٦٩)، ورواه مسلم (١٨٥٦).

القرآن بجمعه صحفه التي كانت محفوظة عند حفصة بنت عمر بن الخطاب أم المؤمنين زوج النبي ﷺ ونسخها في مصحف واحد بمعرفة زيد بن ثابت وآخرين من الصحابة الحافظين للقرآن ، وأمر بإحراق ماسواه ، قُتل في شهر ذي الحجة بعد حصارٍ دام شهرين، مع بدء الفتنة الكبرى وكان عمره ٨٢ عاماً[1] .

(د) المرحلة الثانية : سفراء النبي ﷺ للملوك والأمصار :

ذكر الواقدي أن ذلك كان في سنة ست من ذي الحجة بعد عمرة الحديبية ، وذكر البيهقيُّ هذا الفصل في هذا الموضع بعد غزوة مؤته ، ولا خلاف بينهما أن بدء ذلك كان قبل فتح مكة وبعد الحديبية ، وقال محمد بن إسحاق : ((كان ذلك ما بين الحديبية ووفاته - عليه الصلاة والسلام -)) ورجح آخرون أن ذلك تم غداة صلح الحديبية بعد نزول الآية الكريمة : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ ﴾ [المائدة : ٦٧] .

وأرسل النَّبيُّ - صلوات الله وسلامه عليه - كتباً مع سفراء إلى ملوك وأمراء الدول المجاورة يدعوهم إلى الإسلام ، واستجاب أمير البحرين المنذر بن ساوى ودخل الإسلام . ومنهم من كان رده جميلاً كملك الروم والمقوقس عظيم مصر ، ومنهم من كان رده قبيحاً مثل كسرى ملك فارس الذي مَزَّق كتاب النبي ﷺ ، وشرحبيل أمير غسان الذي سخر من النبي وقتل سفيره الحارث بن عمير الأزدي ، وانطوت خطوة إيفاد السفراء في هذه المرحلة المتقدمة على شجاعة فائقة من جانب الرسول ﷺ ، وبسالة من الشخصيات التي اختارها من خيرة أصحابه في مهمة محفوفة بالمخاطر ، وتشابهت صيغ الرسائل التي حملها السفراء حيث حملت الدعوة للإسلام دين الحق والوحدانية لله ، وألقت بالتبعة في عدم الاستجابة على متلقي الرسالة ، وكانت نموذجاً فريداً في المحررات الدبلوماسية من حيث التركيز الشديد مع استيفاء عناصر المحرر من مقدمة وصلب

(١) راجع الإصابة ٢/ ٤٥٥(٥٤٥٠)

وخاتمة، ووضوح المطلوب والقصد دون حشو أو تمويه ، وقد أضحت هذه من سمات المحررات الحديثة على نحو ما سنعرض له لاحقاً [1].

وسنعرض فيما يلي لهذه السفارات النبوية الشريفة كل على حدة :

(١) سفارة رسول الله ﷺ إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة :

وتقول كتب السيرة إن النبي - عليه الصلاة والسلام - أوفد في آخر سنة ست من الهجرة أو في محرم من السنة السابعة عمراً بن أمية الضمري بكتاب إلى نجاشي الحبشة: أصحمة بن الأبجر . وكان عمرو بن أمية الضميري من أشد العرب نجدةً وجراءة، شهد بدراً وأحداً مشركاً وأسلم عقب أحدٍ مباشرة ، وقدم المدينة مسلماً ، وكان النبي ﷺ يبعثه برسائله .

وقد دخل عمرو بن أمية الضمري وكنيته أبو أمية ، على النجاشي فقرأ الرسالة، وإذا فيها :

((هذا كتاب من محمد النبي إلى النجاشيِّ الأصحم عظيم الحبشة . سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً ، وأنَّ محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الإسلام ، فإنِّي أنا رسوله فاسلم تسلم : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] . فإن أبيت فإنَّ عليك إثم النصارى من قومك)) [2] .

(١) راجع السيرة للدكتور مهدي رزق الله ص٥١٣

(٢) أصل الحديث رواه مسلم مختصرا في الجهاد باب كتب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ملوك ..(١٧٧٤)، و رواه غيره مطولا كما عند الإمام الزيلعي ٤/ ٤٢١ نقلا عن الواقدي، راجع السيرة للدكتور مهدي رزق الله ص٥١٥.

وتقول بعض الروايات إنَّ النجاشي وضع الكتاب على عينيه ، ونزل عن سريره إلى الأرض ، وأسلم على يد عمرو الضمريّ . وهذه الرواية غير مؤكدة في التوقيت غير أن الثابت أن النجاشي أسلم قبل وفاته ، وهناك رواية تقول بأنه أسلم وأخفى إسلامه بدليل ما جرى بينه وبين عمرو بن العاص الذي أراد منه أن يقتل سفير رسول الله ﷺ فضربه على أنفه ، وأن النبي ﷺ علم بذلك ، وصلى عليه صلاة الجنازة عندما علم بوفاته[1] ، وواقع الأمر أن الحبشة كانت مقصد أول هجرة للمسلمين هرباً بدينهم من اضطهاد قريش وبأمر من رسول الله الذي أخبرهم بأنه يعلم أنَّ بها ملكاً ((**لا يظلم عنده أحد**)) [2] . وكان على رأس هذه الجماعة المؤمنة ابنُ عم رسول الله جعفر بن أبي طالب الذي كان نعم المتحدث والداعية الشجاع ، وكانت مهمته في الحبشة ولقاؤه بالنجاشي سابقين على هجرة الرسول - عليه الصلاة والسلام - إلى يثرب ، المدينة المنورة، وبالتالي على مهمة سفير النبي وحامل رسالته عمرو بن أمية الضَّمري . والثابت أنه غادر الحبشة قبلها مباشرة ، حيث عاد إلى المدينة ودخل على رسول الله ﷺ وهو يحتفل مع المسلمين بفتح خيبر عقب صلح الحديبية مباشرة ، فعانقه النبي ﷺ وهو يقول ((**لا أدري بأيهما أنا أسر بفتح خيبر ، أم بقدوم جعفر ؟**))[3] وكان ذلك سنة سبع من الهجرة ، أدرك بعد ذلك مع رسول الله وصحبه مسيرهم إلى مكة حيث اعتمر معهم عمرة القضاء في العام التالي لصلح الحديبية ، وشارك رضوان الله عليه في غزوة مؤتة ، وحمل راية الجيش المسلم في مواجهة جيش للروم ضم مائتي ألف مقاتل ، ومضى يقاتل في إقدام خارق ، وتكاثر حوله وعليه مقاتلو الروم ، ورأى فرسه تعوق حركته فنزل عنها وهو يصوب سيفه ويسددها إلى نحور أعداء الله ، وضربوا بالسيوف يمينه فتلقف الراية بشماله ،

---

(١) إسلام النجاشي مروي في الصحيحين راجع السيرة للدكتور مهدي رزق الله ص٢١١

(٢) انظر فتح الباري٧/ ١٨٨، وعمدة القاري٧/ ٢٦٨، والحديث رواه ابن إسحاق في السير والمغازي ص ١٢٣، وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٨٠أو ١/ ٤١٣، وقال الدكتور مهدي رزق الله في كتابه السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص ١٩٧ : إسناده حسن.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك في معرفة الصحابة ٣/ ٢١١ وصححه ، و قال الذهبي : مرسل، و رواه أبو داود في سننه مرسلا، ومال الألباني إلى تحسينه، راجع السيرة للدكتور مهدي رزق الله ص ٥٠٨.

فضربوا شماله فتلقفها واحتضنها بعضديه وسقط ، فتلقف الراية عبد الله بن رواحة الذي استشهد هو الآخر في المعركة . يقول عبد الله بن عمر : ((كنت مع جعفر في غزوة مؤتة ، فالتمسناه ، فوجدناه وبه بضع وتسعون مابين رمية وطعنة)) ، وقال فيه رسول الله ﷺ : ((**لقد رأيته في الجنة .. له جناحان مضرَّجان بالدماء .. مصبوغ القوادم**)) . وكان - رضوان الله عليه - من كبار الصحابة المقربين من رسول الله ﷺ حيث كان قريب الشبه منه حتى قال فيه النبي ((**أشبهت خَلقي ، وخُلقي**)) . ولقب بجعفر الطيار ، وكان يُلقَّب بأبي المساكين بسبب بره بالفقراء والمساكين .

وكان جعفر بن أبي طالب[1] أولَ سفير حقيقيٍّ للإسلام ، لدى نجاشي الحبشة قبل الهجرة ، وكانت قريش قد علمت بهجرة المسلمين للحبشة وخشيت أن يتعزز الإسلام بدعم الأحباش لأن الأحابيش يختلفون عنهم ، وقررت إرسال مبعوثين إلى النجاشي يحملان هدايا نفيسة إليه وإلى كبار رجال كنيسته ، مع رجائهما أن يُخرج المسلمين من دياره. وكان المبعوثان هما عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص قبل إسلامهما .

وقدم مبعوثا قريش رسالتهما في حضرة النجاشي واصفين مهاجري المسلمين بأنهم ((غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا دينك ، بل جاؤوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت)) وطلبوا ردهم إليهم .

واستفسر النجاشي من المسلمين فقال جعفر :

((يأيها الملك .. كنا قوما أهل جاهلية : نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القويُّ منا الضعيف ، حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته ، وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان .. وأمرنا بصدق الحديث ،

(١) راجع الإصابة ١/ ٢٣٩(١١٦٦).

وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء .. ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات .. فصدَّقنا وآمنا به ، واتبعناه على ما جاءه من ربه ، فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئاً ، وحرَّمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فغدا علينا قومنا ، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان ، وإلى ما كنا عليه من الخبائث ..)) .

فلما قهرونا ، وظلمونا ، وضيَّقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألا نظلم عندك)) .

وهنا سأله النجاشي ((هل معك مما أنزل على رسولكم شيء ؟)) فتلا عليه جعفر آيات من سورة مريم في خشوع فبكى النجاشي وبكى معه أساقفته جميعاً وقال لجعفر ((إن هذا ، والذي جاء به عيسى ، ليخرج من مشكاة واحدة)) وقال موجهاً حديثه لمبعوثي قريش ((انطلقا فلا والله ، لا أسلمهم إليكما)) .

ودبر مبعوثا قريش مكيدة جديدة تفتق عنها ذهن الداهية عمرو بن العاص ، إذ عاد إلى مجلس النجاشي في اليوم التالي وذكر له أن المسلمين يزعمون أن عيسى بن مريم عبد ، كبقيَّة العباد . وانعقدت المناظرة من جديد وسط اضطراب الأساقفة من هذا القول. وبدأ النجاشي الحديث سائلاً جعفر ((ماذا تقولون في عيسى ؟)) ونهض جعفر مرة أخرى كالمنار المضيء قائلاً : ((نقول فيه ما جاءنا به نبينا ﷺ : هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه)) .

فهتف النجاشي مصدِّقاً ومعلناً أن هذا هو ما قاله المسيح عن نفسه . لكن صفوف الأساقفة جنحت بما يشبه النكير . وتابع النجاشي حديثة قائلا للمسلمين : ((اذهبوا ، أنتم آمنون بأرضي ، من سبكم أو آذاكم ، فعليه غرم ما يفعل)) . ثم التفت إلى حاشيته ، وقال وسبابته تشير إلى مبعوثي قريش : ((ردوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لي بها .. فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليَّ ملكي، فآخذ الرشوة فيه)) .

وخرج مبعوثا قريش مخذولين عائدين خائبين إلى مكة ، وبقي جعفر ورفاقه في الحبشة كما قالوا ((بخير دار ... مع خير جار)) حتى أذن الله لهم بالعودة ووفر لهم النجاشي سبلها عندما أحس بمكائد معاونيه ضدهم (الأعلام : ٢/ ١١٨ ، الطبري : ٢/ ٣٧ ، ابن الاثير : ٢٣٤ ، تهذيب سيرة ابن هشام : ٢ / ٩٣ ، الإصابة : ١/ ٢٤٨٥) .

نخلص مما سبق إلى أنَّ وفد مهاجري الحبشة بقيادة جعفر بن أبي طالب مهَّد للسفارة الرسمية التي عهد بها النبي ﷺ إلى عمرو بن أمية الضمري خير تمهيد بما ضمن نجاح السفارة ومهمة السفير على نحو ما أسلفنا ، ومن ثم انفردت هذه السفارة عن غيرها إعداداً وتحضيراً ، تمهيداً وتوقيعاً .

(٢) سفارة حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس :

وبعث النبي ﷺ حاطب بن أبي بلتعة اللخمي سفيراً له حاملاً رسالته إلى المقوقس صاحب الإسكندرية عظيم القبط ، وكان حاطب صحابياً من كبار الصحابة شهد الوقائع كلها مع النبي ﷺ ، وكان من أشدِّ الرماة من بين الصحابة ، وروي عن طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، ثنا يحي بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن أبيه ، عن جده حاطب بن أبى بلتعة قال[1] :

((بعثني رسول الله ﷺ إلى المقوقس ملك الإسكندرية (واسمه جريح بن متى القبطي) . قال : فجئته بكتاب رسول الله ﷺ فأنزلني في منزله وأقمت عنده ، ثم بعث إليَّ وقد جمع بطارقته ، وقال : إني سائلك عن كلام فأحبُّ أن تفهم عني ، قال : قلت : هلمَّ . قال : أخبرني عن صاحبك ، أليس هو نبياً ؟ قلت : بلى ، هو رسوله الله . قال : فما له حيث كان هكذا ؟ لِمَ لَمْ يدعُ على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها ؟ قال فقلت : عيسى ابن مريم ، أليس تشهد أنه رسول الله ؟ قال : بلى . قلت : فما له حيث أخذه قومه ، فأرادوا أن يصلبوه ، ألا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حتى رفعه الله إلى

(١) راجع الإصابة ١/ ٢٩٩(١٥٣٨).

السماء الدنيا ؟ فقال لي : أنت حكيم ، قد جاء من عند حكيم ، هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد ، وأرسل معك ببندرقة يبلغونك إلى مأمنك . قال : فأهدى إلى رسول الله ﷺ ثلاث جوار ، منهن أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ ، وواحدة وهبها رسول الله ﷺ لأبي جهم بن حذيفة العدوي ، وواحدة وهبها لحسان بن ثابت الأنصاري . وذكر ابن اسحق أنه أهدى إلى رسول الله ﷺ أربع جَوَارٍ إحداهنّ مارية أم إبراهيم ، والأخرى سيرين التي وهبها لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن بن حسان)) [1] .

قلت : وكان في جملة الهدية غلام أسود خصيٌّ اسمه مأبور ، وخفان ساذجان أسودان ، وبغلة بيضاء اسمها الدلدل وكان مأبور هذا خصيّاً ، ولم يعلموا بأمره بادى الأمر ، فصار يدخل على مارية ، كما كان من عاداتهم ببلاد مصر ، فجعل بعض الناس يتكلم فيهما بسبب ذلك ، ولا يعلمون كيفية الحال ، وأنه خصيٌّ حتى قال بعضهم : إنه الذي أمر رسول الله - عليه الصلاة والسلام - عليٌّ بن أبي طالب بقتله ، فوجده خصيّاً فتركه ، والحديث في ((صحيح مسلم)) .

وكان نص رسالة رسول الله ﷺ إلى المقوقس هو :

((**بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد بن عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتّبع الهدى ، أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإنَّ عليك إثم القبط** : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤])) .

(١) كتاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المقوقس أورده الإمام الزيلعي ٤/ ٤٢١ نقلا عن الواقدي، وحديث الغلام الأسود رواه مسلم في التوبة باب براءة حرم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...(٢٧٧١).

وقد تقبل المقوقس هذه الرسالة قبولاً حسناً ، ودارت بينه وبين حاطب محاورة أكد فيها حاطب قرب النصارى من الإسلام واحترام الإسلام لعقيدتهم وعلى كونه امتداداً للرسالات السماوية السابقة وخاتمها ، وأجاب المقوقس بكلام طيب على النبي ﷺ ، وذكر بأنه كان يعلم بقرب خروج نبي لكنه كان يحسبه يخرج من الشام .

وهكذا كان سفراء الإسلام يقومون بدور أساسي في شرح الرسالة الموفدين بها ، والدعوة للإسلام ، ولم يكونوا مجرد حملة رسائل، وكان دورهم أقرب إلى المبعوثين الشخصيين بمفهومنا الحالي .

(٣) سفارة دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم عن طريق عظيم بُصرى :

هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج بن عامر بن بكر بن عامر بن عوف الكلبي[1] ، ولم يشهد بدراً ، وشهد أحداً وما بعدها من المواقع . وروى بعضهم أن أول المواقع التي شهدها الخندق ، وشهد اليرموك فيما بعد وكان قائد كردوس من كراديسها . روى أنس أن النبي ﷺ قال : ((كان جبريل يأتيني على صورة دحية الكلبي ، وكان دحية رجلا جميلاً)) [2] رواه الطبراني ، وكان دحية مضرب المثل في حسن الصورة .

بعث النبي ﷺ دحية الكلبي برسالته إلى قيصر سنة ست للهجرة حسب بعض الروايات ، وكان نصها كالتالي حسب البخاري في صحيحه :

حديث هرقل حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ قَالَ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّأْمِ فِي

(١) راجع الإصابة ١/ ٤٦٣(٢٣٩٠).

(٢) رواه الطبراني كما ذكره ابن حجر ولم أجده في النسخة المطبوعة.

الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا فَقَالَ أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ قُلْتُ هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ قَالَ فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ قُلْتُ لَا قَالَ فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ لَا قَالَ فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَقُلْتُ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ قَالَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ قُلْتُ بَلْ يَزِيدُونَ قَالَ فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ قُلْتُ لَا قَالَ فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ قُلْتُ لَا قَالَ فَهَلْ يَغْدِرُ قُلْتُ لَا وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا قَالَ وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ قَالَ فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ قُلْتُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ قَالَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ قُلْتُ يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا

تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ وَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ وَارْتَفَعَتْ الْأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ وَكَانَ ابْنُ النَّاظُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرَقْلَ سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ قَالَ ابْنُ النَّاظُورِ وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَالُوا لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا الْيَهُودُ فَلَا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنْ الْيَهُودِ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لَا فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ وَسَأَلَهُ عَنْ الْعَرَبِ فَقَالَ هُمْ يَخْتَتِنُونَ فَقَالَ هِرَقْلُ هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ

الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ وَأَيِسَ مِنْ الْإِيمَانِ قَالَ رُدُّوهُمْ عَلَيَّ وَقَالَ إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتُ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ رَوَاهُ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ وَيُونُسُ وَمَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ (١)

ويشير البخاري في صحيحه إلى أن هرقل حاول الجهر بما استقر في قلبه من إيمان غير أن بطارقته ثاروا واعترضوا فقال لهم : إني إنما قلت مقالتي آنفا أختبر بها شدتكم على دينكم .

واختلفت روايات أخرى أوردها ابن جرير في تاريخه والطبراني ومحمد بن إسحاق من حيث القول بأنَّ هرقل استدعى دحية وقال له : ((والله إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل ، وأنه الذي كنا ننتظر ونجده في كتبنا ، ولكني أخاف الروم على نفسي ، ولولا ذلك لاتبعته ، فاذهب إلى ضغاطر الأسقف ، فاذكر له أمر صاحبكم ، فهو والله في الروم أعظم مني ، وأجوز قولاً عندهم مني ، فانظر ماذا يقول لك . قال : فجاءه دحية ، فأخبره بما جاء به من رسول الله ﷺ إلى هرقل ، وبما يدعو إليه ، فقال ضغاطر : صاحبك والله نبي مرسل ، نعرفه بصفته ونجده في كتبنا باسمه)) . وحاول ضغاطر ، حسب رواية محمد بن إسحاق التي نقلها عن ابن حميد عن سلمة عن بعض أهل العلم ، أن يُقنع الروم في الكنيسة برسالة محمد ﷺ ((فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ، فضربوه حتى قتلوه)) . ورجع دحية إلى هرقل فأخبره الخبر ((فقال : قد قلت لك : إنا نخافهم على أنفسنا ، فضغاطر والله كان أعظم عندهم ، وأجوز قولاً مني)) (٢) .

(١) متفق عليه رواه البخاري في بدء الوحي (٧) ومسلم في الجهاد والسير باب كتاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هرقل (١٧٧٣).

(٢) راجع فتح الباري ١/ ٤٢.

وعلم النبي ﷺ بما حدث من رد كريم من هرقل وكفر من الروم ، فقال صلوات الله عليه وسلامه : ((**ثبت ملكه**)) .

(٤) سفارة عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى :

بعث النبي ﷺ برسالة إلى كسرى الثاني (أبرويز) ملك فارس ، مع رسوله عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي القرشي المكني أبو حذافة . وكان من المسلمين الأوائل ومن صحابة رسول الله ، هاجر للحبشة ، ثم عاد إلى المدينة حيث أرسله النبي ﷺ سفيراً له إلى كسرى . شهد فتوح الشام ، وأسرته الروم في غزو المسلمين لقيسارية وحُمل إلى كبير الروم ، فطلب منه أن يتنصَّر فأبى فأمر بقتله حرقاً ، فلما قُدم للقتل بكى ، فظن كبير الروم أنه جزع من الموت ، فقال له : أجزعت من الموت ؟ فقال : كلا ، ولكني بكيت لأني لا أملك إلا نفساً واحدة ، وكنت أحب أن يكون لي عدد من الأنفس بكل شعرة ، فأقاتل بها ثم أقتل ، ثم أقاتل ثم أقتل . فأمر كبير الروم بإطلاقه وقال له تنصر أزوجك ابنتي ، وأعطيك نصف ما أملك ، فأبى ، قال له : قبِّل رأسي وأطلق معك ثمانين من أسرى المسلمين ، قال : أما هذه فنعم ، فقبل رأسه وأطلقه وأطلق معه ثمانين من أسرى المسلمين ، فلما قدموا إلى عمر بن الخطاب قام إليه عمر فقبل رأسه ، فكان أصحاب رسول الله ﷺ يمازحون عبد الله ، فيقولون : قبلت رأس علج ، فيقول لهم : أطلق الله بتلك القبلة ثمانين من أسرى المسلمين ، توفي في مصر في خلافة عثمان بن عفان .

وحمل عبد الله بن حذافة السهمي رسالة النبي ﷺ إلى كسرى ونصها :

((**بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتَّبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله ، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة ، لأنذر من كان حيا ، ويحق القول على الكافرين ، فإن تُسْلِمْ تَسْلَم ، وإن أبيت فإن إثم المجوس عليك**)) .

وروى ابن جرير عن أحمد بن حميد ، ثنا سلمة ، ثنا ابن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب أن كسرى أغضبه حين بدأ رسول الله ﷺ بنفسه ، وصاح وغضب ومزَّق الكتاب قبل أن يعلم مافيه وقال : يكتب إليَّ بهذا وهو عبدي ؟! وكتب إلى باذان نائبه على اليمن بأن يبعث رجلين من عنده للحجاز ليأتيا بالنبي ﷺ . فبعث باذان قهرمانه مع رجل من الفرس يقال له خرخسرو لاصطحاب النبي إلى كسرى ، فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجلاً من قريش فسألوه عنه فقال : هو بالمدينة ، واستبشر أهل الطائف بأن كسرى سيكفيهم النبي ﷺ .

وكان النبي ﷺ قد علم بما فعله كسرى برسالته دعا عليه بأن يمزق الله ملكه . وعندما دخل عليه - صلوات الله وسلامه عليه - مبعوث باذان بأمر كسرى أمهلهما للغد . وأتى رسول الله ﷺ الخبرُ من السماء بأن الله قد سلَّط على كسرى إبنه شيرويه ، فقتله . وقال الواقدي : إن مقتل كسرى على يد ابنه حدث ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى من سنة سبع من الهجرة . ودعا النبي المبعوثين في اليوم التالي ،قال لهما **((إن ربى قد قتل الليلة ربَّك))** ، وروى البيهقي من طريق أبي بكر بن عياش ، عن داود بن ابي هند ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : ((أقبل سعد بن أبي وقاص إلى رسول الله ﷺ فقال : **إن في وجه سعد خبراً** فقال : يارسول الله ، هلك كسرى ، فقال : **لعن الله كسرى ، أول الناس هلاكاً فارس ثم العرب))** ، ونقل الإمام الشافعي عن ابن عيينة، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : **((إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله))** (أخرجه مسلم) ، (أسد الغابة : ٣/ ٢١١، - مسند أحمد بن حنبل : ٣/ ١٦١ ، الاستيعاب رقم ٨٨٨) .

(٥) سفارة العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى أخي بني عبد القيس صاحب البحرين :

بعث النبي ﷺ برسالة مع العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى صاحب البحرين هذا نصها :

((بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى صاحب البحرين ، سلام على من أتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد ، فإني أدعوك للإسلام ، فأسْلِمْ تَسْلَم ، وأسلم يجعل الله لك ما تحت يديك ، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر)) .

وقد تردد المنذر بادىء الأمر حسب بعض الروايات ، إلا أن حواراً جرى بينه وبين العلاء أزاح عنه هذا التردد فدخل في الإسلام وحسن إسلامه ، ودخل معه أهل دياره عدا بعض المجوس المقيمين فيها وأبقاه الرسول - عليه الصلاة والسلام - على حكمه للبحرين ، وجعل على جباية الأموال والإرشاد العلاء بن الحضرمي ، ثم عزل العلاء وولى أبان بن سعيد بن العاص الذي كان أمويَّ النسب . ووافق النبي في مراسلاته مع المنذر بشأن وجود غير المسلمين في البحرين على تطبيق قاعدة الإسلام الدائمة بأن تبقى حرية المعتقد لغير المسلمين مقابل الجزية . وكانت سفارة العلاء للبحرين عام ست من الهجرة . وفي عام عشرة من الهجرة وفد على الرسول ﷺ وفد من البحرين بقيادة الجارود ، وكان نصرانياً ، وأسلم على يده صلوات الله عليه وسلامه .

وكان العلاء بن عبد الله بن عمار الحضرمي ، صحابيّاً من رجال الفتوح في صدر الإسلام ، ولد ونشأ في مكة وأصله من حضرموت وإليها ينسب ، وقد قاتل المرتدين في البحرين وكان له في قتالهم أثر كبير ، ويقال : إنه أول مسلم ركب البحر فاتحاً ، وجهه عمر ابن الخطاب إلى البصرة فمات في الطريق وقيل مات بالبحرين (البداية والنهاية لسنة ٢١هـ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، الرياض ، ط٢ ، ١٩٧٨م : سيرة ابن هشام) .

(٦) سفارة شجاع بن وهب الأسديّ إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني :

بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب[1] ، أخا بني أسد بن خزيمة إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني ، صاحب دمشق . قال الواقدي أن النبي حمله رسالة نصها

(١) راجع طبقات ابن سعد ٢/ ٢٦١ راجع السيرة للدكتور مهدي رزق الله ص ٥١٩.

((سلام على من اتبع الهدى وآمن به ، وأدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له ، يبقى لك ملكك)) . فقدم شجاع بن وهب فقرأه عليه فقال : ومن ينتزع ملكي ؟ إني سأسير إليه ، وقال لشجاع : أخبر صاحبك بما ترى ، ثم أرسل إلى قيصر يستأذنه في ذلك. وصادف أن كان عنده دحية الكلبي رسول النبي ﷺ ، فكتب قيصر إليه يمنعه من هذا العزم ، ويأمره بأن يهيِّئ بإيليا (القدس) ما يلزم لزيارته ، فإنه بعد أن قهر الفرس نذر زيارة القدس ، فلما رأى الحارثي كتاب قيصر صرف شجاع بن وهب وأحسن معاملته ووصله بهدية وكسوة .

(٧) سفارة الحارث بن عمير الأزدي إلى شرحبيل أمير غسان :

توجه الحارث بكتاب النبي ﷺ إلى الشام قاصداً صاحب بصرى ، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ، وبسبب مقتله كانت غزوة مؤتة . ولم يقتل لرسول الله ﷺ غيره. وقد غضب - صلوات الله عليه وسلامه- جداً لمقتله (كتاب البداية والنهاية لسنة ٧هـ الطبري : ٢/ ٣٧ وما بعدها) .

فجهز حملة قوامها ثلاثة آلاف رجل لحرب الغساسنة ، وجعل قيادتها لزيد بن حارثة .

(٨) سفارة عمرو بن العاص إلى جيفر وأخيه عباد ابني الجلندى الأزديين صاحبي عمان :

كان عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم السهمي القرشي وكنيته أبو عبد الله من فرسان قريش وأبطالها ، أرسلته قريش إلى الحبشة ليطلب من النجاشي تسليمه المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشةو وإعادتهم إلى مكة . أسلم سنة ثمان للهجرة هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة وقدموا المدينة مسلمين . ولاه عمر بن الخطاب قيادة جيوش فلسطين والأردن ثم سيره لفتح مصر فافتتحها وولاه عليها . وأقره الخليفة عثمان بن عفان عليها ثم عزله عنها ؛ فأخذ جانب معاوية في واقعة التحكيم الشهيرة ، وعندما استقر الأمر لمعاوية ولاه على مصر حيث توفي بها عن ٩٣ عاماً .

وجاء نصُّ رسالة رسول الله - عليه الصلاة والسلام - إلى جيفر وعباد الجلندى صاحبي عمان كما يلي .

((بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله إلى جيفر وأخيه عباد ابني الجلندى ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإني أدعوكما بدعاية الإسلام ، أسلما تسلما ، فإني رسول الله إلى الناس كافة ، لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما ، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل ، وخيلي تحل بساحتكما ، وتظهر نبوتي على ملككما)) .

وقد سلم عمرو بن العاص الرسالة وكان ذلك على ما يبدو بعد فتح مكة . وأعمل عمرو ذكاءه المعهود ، فلم يذهب إلى الملك رأساً ، وإنما بدأ بأخيه فما زال يراجعه ويحدثه يوماً بعد يوم ، حتى شعر منه قرباً ، فأوصله إلى الملك ، وأظهر الملك في بداية الأمر الرفض ، وشك في قدرة المسلمين عليه ، لكن عمراً حاوره وأكد له في ثنايا حديثه أن رسالة النبي ﷺ تلقى أتباعاً كثيرين وسينتشر الإسلام حتما بأمر الله . وتمكن في النهاية من إقناعه ، بأن زعم له أنه مغادر بلادهم ، فأسرع الملك وأخوه بإعلان إسلامهما ، وساعداه على نشر الإسلام وعلى أخذ الصدقة من أهل عمان[1] .

(٩) سفارة سليط بن عمرو إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة :

هو سليط بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري ، وابنه سليط هو الذي سماه عمر : المهاجر بن المهاجر . وأسلم قديماً قبل إسلام عمر بن الخطاب وهاجر إلى الحبشة وشهد بدراً ، واستشهد يوم اليمامة[2] .

وجاء نص رسالة النبي - عليه الصلاة والسلام - التي حملها رسوله إلى صاحب اليمامة كما يلي :

---

(١) الطبري ٢/ ٢٩ ، وابن سعد ١/ ٢/ ١٨ ، وسيرة ابن هشام ٤/ ٢٥٤ .

(٢) ذكر ذلك ابن اسحاق وابن الكلبي (الطبري ٢/ ٦٤٤ ، وابن سعد : ١/ ٢/ ١٨) .

((بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي ، سلام على من اتبع الهدى ، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر ، فأسلم تسلم ، وأجعل لك ما تحت يدك)) . وقد صادر هوذة سليطاً ، ثم أرسله بجوابه إلى النبي ﷺ وكان به : ((ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله ، والعرب تهاب مكاني ، فاجعل لي بعض الأمور أتبعك)). ثم أعطى سليطاً جائزة وكساه ثوباً ، فقدم بذلك إلى النبي ﷺ فقال : ((لو سألني قطعةً من الأرض ما فعلت ، باد وباد ما في يديه)) ، وكان مما قاله النبي بعد فتح مكة أن جبريل جاءه بموت هوذة .

(١٠) سفارة معاذ بن جبل إلى اليمن :

قال البخاري حدثنا حبان أنبأنا عبد الله عن زكريا بن اسحاق عن يحي بن عبد الله بن صيفي عن أبي معبد مولى ابن عباس عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ[1] .

وتشير الروايات إلى أن هذه السفارة تمت قبل حجة الوداع مباشرة ، يقول الإمام أحمد : ثنا أبو المغيرة ثنا صفوان حدثني راشد بن سعد عبد عاصم بن حميد السكوني عن معاذ بن جبل قال : ((لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن خرج معه يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشى تحت راحلته ، فلما فرغ قال : حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ أَبُو الْيَمَانِ حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ السَّكُونِيِّ أَنَّ مُعَاذًا لَمَّا بَعَثَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى الْيَمَنِ مَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوصِيهِ وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي تَحْتَ رَاحِلَتِهِ فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ يَا مُعَاذُ إِنَّكَ عَسَى أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا **وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي وَقَبْرِي فَبَكَى مُعَاذُ**

(١) متفق عليه رواه البخاري في أول الزكاة ب وجوب الزكاة (١٣٩٥)، ومسلم في الإيمان (١٩).

ابْنُ جَبَلٍ جَشَعًا لِفِرَاقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَبْكِ يَا مُعَاذُ لَلْبُكَاءُ أَوْ إِنَّ الْبُكَاءَ مِنْ الشَّيْطَانِ [1] فبكى معاذ جشعاً لفراق رسول الله ﷺ ثم التفت بوجهه نحو المدينة فقال ((**إنَّ أولى الناس بي المتقُّون من كانوا وحيث كانوا**)) .

ونقل الإمام أحمد الواقعة بنفس الصيغة مضيفاً أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - عندما بكى معاذ جشعا لفراقه ، قال له : ((**لا تبك يامعاذ ، للبكاء أوان ، البكاء من الشيطان**)) .

وأورد الإمام أحمد إضافة منقولة بالتواتر عن يزيد بن قطيب عن معاذ أنه كان يقول : ((**بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقال : لعلك أن تمر بقبرى ومسجدي فقد بعثتك إلى قوم رقيقة قلوبهم يقاتلون على الحق مرتين ، فقاتل بمن أطاعك منهم من عصاك ، ثم يفيئون إلى الإسلام حتى تبادر المرأة زوجها والولد والده والأخ أخاه فانزل بين الحيين السكون والسكاسك**)) .

وهذا الحديث فيه إشارة واضحة إلى أن معاذاً رضي الله عنه لا يجتمع بالنبي ﷺ بعد ذلك ، وكذلك وقع حيث أقام باليمن حتى كانت حجةُ الوداع ، ثم كانت وفاته - عليه الصلاة والسلام - بعد إحدى وثمانين يوماً من يوم الحج الأكبر (البداية والنهاية : الجزء الخامس) .

من الدروس المستفادة من اختيار النبي ﷺ للرسل والسفراء الذين حملوا رسائله إلى الملوك والعظماء في عصره أنه ﷺ كان يختار كل واحد منهم لخصلة وسمة مميزة له تناسب المُرْسَلَ إليه . ومن مجمل ما وصل من أخبارهم نستنتج ما يلي :

(١) حسن السمت والمظهر الحسن .

(٢) الفصاحة والبلاغة والبيان .

(١) رواه الإمام أحمد٥/ ٢٣٥ وصححه الألباني راجع السلسلة الصحيحة (٢٤٩٧).

(٣) الذكاء والدهاء وحسن التصرف .

(٤) ليونة القول والمرونة وسلامة المنطق .

(٥) الصدق والشفافية ، وأن ينبع المظهر الخارجي عن حقيقة الشخصية ، وهو ما يعرف في علم النفس بتكامل الشخصية عندما تصدر الأفعال عن وحدة نفسية متماسكة خالية من التردد .

(٦) صدق الإيمان وقوة العقيدة والثبات على الحق .

(٧) الشجاعة والثبات على المبدأ والإخلاص .

وكل هذه الصفات كانت مما يمتدحه العرب قبل الإسلام ، وزادها الإسلام عزاً وثباتاً عندما ربطها بعقيدة التوحيد ، وبتعاليم الدين الصادق والخبر الحق .

ثانياً : قاعدة استقبال الرسل والوفود

استقبلت الدولة الإسلامية في عهد النبي ﷺ الكثير من الوفود من رؤساء وممثلي القبائل والأنصار المجاورة . وعرف العام الذي تلا فتح مكة (الثامن / التاسع للهجرة ٦٢٩/ ٦٣٠م) بعام الوفود ، فقد كان فتح مكة فارقاً تاريخياً تأكد بعده خاصة للقبائل في شبه الجزيرة العربية بأن ليس لها مخرج إلا بالإسلام أو المصالحة ، ودخلت هذه القبائل في دين الله أفواجاً ، وقد سرد ابن سعد في طبقاته الوفود التي توافدت على المدينة للتشرف بلقاء النبي ﷺ من كل أنحاء شبة الجزيرة العربية ، وكان المجموع يتجاوز الستين بقليل ، وجاء الشامي فوصل بها إلى المائة ، وكان أولها وفد ثقيف ، ثم وفد بني تميم وبني عبد قيس وغيرهم ، وانتهت زياراتهم بدخولهم في الإسلام .

وتمثلت أدوات الدبلوماسية الإسلامية من حيث استقبال الوفود في عناصر وبنود أساسية مازالت قائمةً لليوم ، وهي :

(١) ترتيب الاستقبال والاستضافة :

وكان يتم في العصر النبوي ترتيب نزول الوفود في دار للضيافة تسمى دار الضيفان ، وهي دار حميد بن عبد الرحمن بن عوف ، وتقول بعض الروايات إنها كانت

دار رملة بنت الحارث الأنصارية ، أو دار المغيرة بن شعبة ، وأن المسجد الكبير كان يستخدم أحياناً للاستضافة .

(٢) ترتيب لقاء الضيوف مع رسول الله ﷺ .

وكانت نواة جهاز المراسم النبوية تتمثل في بلال بن رباح وخالد بن سعيد بن العاص - رضي الله عنهما - وكانا يعملان هما وغيرهما تحت إشراف أبي بكر الصديق الذي كان يقوم بوظيفة مدير التشريفات اليوم ، وقد ذكر ابن إسحاق في قصة وقد ثقيف[١] سنة تسع من الهجرة ما يلي :

((خرج بهم عبد ياليل وهو صاحب أمرهم فلما دنوا من المدينة ونزلوا قناة وجدوا المغيرة بن شعبة فانثاب ليبشر رسول الله ﷺ بقدومهم ، فلقيه أبو بكر فقال : أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله حتى أكون أنا أحدثه ، ففعل المغيرة فدخل أبو بكر فأخبره بقدومهم عليه ، ثم خرج إليهم فروح الظهر معهم فعلمهم كيف يحيون رسول الله ﷺ فلم يفعلوا إلا تحية الجاهلية ، وفي تفسير المولى أبي السعود الحنفي كان أبو بكر - رضي الله عنه - إذا قدم على رسول الله ﷺ الوفود أرسل من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله ﷺ ، وهذا يفهمنا أيضاً أن أبا بكر كان يشغل أيضاً وظيفة وزير التشريفات اليومي))[٢] .

(٣) استقبال النبي ﷺ للوفود :

كان النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون يستقبلون الوفود في المسجد النبوي في المدينة . وكان وأصحابه يرتدون أحسن الثياب عند استقبال هؤلاء الرسل ، وهناك واقعة قدوم مبعوث كسرى إلى المدينة برسالة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حيث وجده نائماً تحت ظل شجرة فقال قولته الشهيرة ((عدلت فأمنت فنمت ياعمر)) . ومع ذلك

(١) راجع السيرة للدكتور مهدي رزق الله ص ٦٥٩.

(٢) الشيخ عبد الحي الكتاني : نظام الحكومة المدنية المسمى التراتيب الإدارية ، بيروت ، (١/ ٣٩).

استجاب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لطلب معاوية بن أبي سفيان والي الشام وقتها بتخصيص عشرة آلاف دينار في السنة لكي يتناسب مظهره مع أنداده من ولاة الروم والفرس . ورأى عمر في طلب معاوية أن الدافع هو إظهار سطوة وقوة وعزة الدولة الإسلامية لإرهاب الخصوم . ويروى في الأثر أنَّ عمر بن الخطاب عندما ذهب إلى الشام لقيه معاوية بن أبي سفيان ((في أبهة الملك)) فاستنكر عمر ذلك على معاوية وقال له ((أكسروية يامعاوية ؟!)) فقال معاوية : ((يا أمير المؤمنين إنَّا في ثغر تجاه العدو ، وبنا إلى مباهاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة)) فأذن له عمر في ذلك . وزادت ظاهرة الفخامة في الاحتفاء بالسفراء والمبعوثين في العصر العباسي فكانت تنظم مواكب حافلة تضم ممثلين عن الخليفة أو السلطان . وانبثق عن ذلك ما يعرف في عصرنا الحالي ببدل التمثيل الذي تخصصه الدول لمبعوثيها الدبلوماسيين للظهور بالمظهر المشرف لبلدهم .

كان رسول ﷺ الله يلبس أفضل ثيابه للقاء الوفود ، وكره المبالغة في ذلك . وتحت باب ((من تجمل للوفود)) [1] يذكر البخاري ما روي عن عبد الله أن عمر بن الخطاب رأى على رجل حلةً من إستبرق ، فأتى بها النبي ﷺ فقال : يارسول الله اشتر هذه فالبسها لوفد الناس إذا قدموا عليك ، فقال رسول الله ﷺ ((**إنما يلبس الحرير من لاخلاق له**)) . ويقول ابن حجر في شرح الحديث أن الرسول ﷺ أنكر لبس الحرير ولم ينكر أصل التجمل[2] .

وليس هناك ما يمنع من الخروج مع الرسول أو الوفد إلى باب المبنى الذي تم اللقاء فيه ، كما هو الحال مع الضيف : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

(١) رواه البخاري في اللباس باب لبس الحرير للرجال (٥٨٣٥).
(٢) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، (١٠/ ٤١١) .

الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ [1] ، وقال ((**إن من سنة الضيف أن يشيَّع إلى باب الدار**)) [2] ، وفي الحديث ((**من شيَّع أخاه سبع خطوات وجبت له الجنة**)) وحكى أبو قتادة أنه لما قدم وفد النجاشي على رسول الله ﷺ، قام الرسول ليخدمهم بنفسه، فقال له أصحابه : نحن نكفيك يارسول الله ، فقال : ((**كلا إنهم كانوا لأصحابي مكرمين وأنا أحب أن أكافئهم**)) [3] . وكان حاطب بن أبي بلتعة قد أبلغ النبي ﷺ أنَّ المقوقس كان مُكرِماً له في الضيافة ، وقلة اللُّبث ببابه ، ((وما أقمت عنده إلا خمسة أيام)) .

ويرتبط حسنُ الضيافة بواجب الترحيب ، وهكذا عندما قدم وفد عبد القيس على النبي ﷺ قال ((**مرحباً بالوفد الذين جاءوا غير خزايا ولا ندامى**)) صحيح البخاري ح٨ ، ص٥٠ .

ورأى النبي ﷺ في الترحيب بالرسل والسفراء توقيراً وترحيباً بمن أرسلهم ، ومن ثم فقد جاء في كتابه - صلوات الله عليه وسلامه - إلى يحنة بن رؤبة من أيلة ((**فمهما رضيت رسلي فإني قد رضيت**)) [4] .

---

(١) متفق عليه رواه البخاري في الأدب باب إكرام الضيف (٥٦٧٣)، ومسلم في اللقطة باب الضيافة و نحوها (٣٢٥٥).

(٢) لم أجده بهذا اللفظ في الكتب التسعة ولا مسند أبي يعلى ولا الجامع الصغير، ولا مصنف عبد الرزاق أو ابن أبي شسية . ووجدته بلفظ (إن من السنة أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار رواه ابن ماجه في الأطعمة ب الضيافة ص١١١٤(٣٣٥٨) وضعفه في الزوائد وأورده السيوطي في الجامع الصغير بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مِنْ السُّنَّةِ أَنْ يَخْرُجَ الرَّجُلُ مَعَ ضَيْفِهِ إِلَى بَابِ الدَّارِ (إن من السنة أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار ١:٣٧٦(٢٤٦٣) وضعفه بلفظ (إن من السنة أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار رواه ابن ماجه وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٩٩٦) و في السلسلة الضعيفة (٢٥٨).

(٣) الإمام الغزالي : إحياء علوم الدين (٤/ ٦٧٦) .

(٤) ابن حديدة الأنصاري : المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسوله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي : ص ٤٠٦ .

ثالثاً : حصانات السفراء في الإسلام

كفلت الدولة الإسلامية منذ العهد النبوي حصانة السفراء وحرمتهم الشخصية . والدليل القوي على ذلك أن النبي ﷺ بعث بكتاب إلى مسيلمة الكذاب مع سفيره عمرو بن أمية الضمري يدعوه فيه إلى الإسلام (رواه الكلبي وابن سعد) ، فأجاب مسيلمة بكتاب وأرسله مع مبعوثيه ابن النواحة وابن أثال ، وقال مسيلمة في كتابه : ((من مسيلمة رسول الله ، إلى محمد رسول الله ، أما بعد : فإنني قد أشركتك في الأمر ، وإن لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الأرض ، ولكن قريشاً قوم يعتدون)) ، وهنا أخذ النبي ﷺ رأي مبعوثي مسيلمة في موقفه وفي مقولته ، وسألهما : هل يقرُّانه على صنيعه هذا ؟ فأجابا بالإيجاب فقال لهما النبي :

((**أما والله لولا أن الرسل لا تقتل ، لقطعت رؤوسكم**)) [1] عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَقَ قَالَ كَانَ مُسَيْلِمَةُ كَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَقَدْ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَقَ عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَشْجَعَ يُقَالُ لَهُ سَعْدُ بْنُ طَارِقٍ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ نُعَيْمِ بْنِ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيِّ عَنْ أَبِيهِ نُعَيْمٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهُمَا حِينَ قَرَأَ كِتَابَ مُسَيْلِمَةَ مَا تَقُولَانِ أَنْتُمَا قَالَا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَالَ أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَا .

ويؤكد ذلك موقف النبي ﷺ من أبي رافع ، فقد بعثت قريش في أعقاب صلح الحديبية أبا رافع ليقوم بمهمة السفارة لدى رسول الله ﷺ ، فوقع الإيمان في قلبه فقال : ((يارسول الله ، لا أرجع إليهم ، وأبقى معكم مسلماً)) .

عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي رَافِعٍ أَنَّ أَبَا رَافِعٍ أَخْبَرَهُ قَالَ بَعَثَتْنِي قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُلْقِيَ فِي

---

(1) رواه أبو داود برقم ٢٧٦ ، وأحمد ٣/ ٤٨٧ ، والشوكاني في نيل الأوطار ٨/ ٢٩، وابن القيم في زاده : (٢/ ٧٥) ، والشعراني في كشف الغرة (٢/ ١٦٤) ، صحيح الجامع (٩٣٣١) .

قَلْبِي الْإِسْلَامُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ أَبَدًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَا أَخِيسُ بِالْعَهْدِ وَلَا أَحْبِسُ الْبُرُدَ وَلَكِنْ ارْجِعْ فَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِكَ الَّذِي فِي نَفْسِكَ الْآنَ فَارْجِعْ قَالَ فَذَهَبْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمْتُ قَالَ بُكَيْرٌ وَأَخْبَرَنِي أَنَّ أَبَا رَافِعٍ كَانَ قِبْطِيًّا قَالَ أَبو دَاوُد هَذَا كَانَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فَأَمَّا الْيَوْمَ فَلَا يَصْلُحُ)[1] .

ويُعقب الخطابي على ذلك بأن العقد يراعى مع الكافر كما يراعى مع المسلم ، وأن الكافر إذا عقد له عقد أمان وهو أساس حصانة السفراء في الإسلام ، ((فقد وجب عليك أن تؤمنه ، وأن لا تغتاله في دم ، ولا مال ، ولا منفعة)) (الخطابي ، أبو داود ٣/ ١٨٩) .

ومعنى (لا أحبس البُرد) أن الرسالة التي أرسلها الكفار تقتضي جواباً ، والجواب لا يصل إلى الطرف الثاني إلا مع المبعوث الذي حضر بها أو على لسانه إذا كانت الرسالة شفهية ، فهو الذي سيعود بها إلى قومه ، فصار ذلك عقداً ، له من الحرمة والحماية ما للعهد مدة مجيئه ورجوعه ، وحتى لا يؤول ذلك بأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد حبس المبعوث ، أو أن إسلام مبعوث قريش كان خوفاً على حياته (الشوكاني ٨/ ٢٠ ، والشعراني ٢/ ١٦٤) .

وقد ترسم الخلفاء الراشدون ، ومن جاء من بعدهم من خلفاء الدولة الإسلامية المنهاج النبوي في هذا التقليد من الحفاظ على المبعوثين وحرمة دمائهم ، وقد أشرنا إلى ما كان من غضب النبي - عليه الصلاة والسلام - عندما ورد إليه خبر تبين عدم صحته حول قتل قريش لمبعوثه عثمان بن عفان في الحديبية ، وكيف أنه - صلوات الله عليه وسلامه - عقد مع المسلمين بيعة الرضوان في الحال للرد على هذا التصرف ، وأشرنا أيضاً إلى أن غزوة مؤتة التي استشهد فيها كثير من أعلام الإسلام وعلى رأسهم جعفر بن

(١) رواه أبو داود في الجهاد باب في الإمام يستجن به في العهود (٢٣٧٧) ، صحيح أبي داود (٢٧٥٨).

أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة جاءت رداً على قتل شرحبيل أمير غسان لسفيره الحارث بن عمير الأزدى .

وجاءت فتوى الإمام علي مؤكدةً لذلك ، قال سعيد بن جبير : وفد رجل من الكفار على علي بن أبي طالب فقال : أإذا أراد رجل منا أن يأتي إليكم لحاجة ما قتلتموه؟ فقال علي - رضوان الله عليه - : لا ، لأن الله - تبارك وتعالى - يقول : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾ (القرطبي : ٨/ ٧٦) .

وقد استدلَّ الإمام عليٌّ بنص القرآن على عدم جواز قتل المشرك القادم في حاجة إلى دار الإسلام ، وكان في طليعة الحاجات التي كانت الدولة الإسلامية تقوم بتبليغها لكل من وفد على دار الإسلام من المشركين : بسطُ أصول الدعوة إلى الله ، ولذلك نجد أن الحنفيّة والشافعية والحنابلة والزيدية قد نصُّوا على أنه لا يجوز قتل حامل الرسالة[1] .

وذهب الفقهاء إلى أنه في وسع المبعوث الأجنبي أن يدخل الديار الإسلامية سواء بعهد أمان ، أو بغيره ورأوا أن الأمان ملازم لحصانة المبعوث خلال قيامة بمهمته المؤقتة ، والتي اشترط البعض ألا تزيد عن سنة قمرية شريطة أن يراعي واجباته ، وأن يمتنع عن الأفعال المحرمة كالتجسس ، وشراء الأسلحة بغرض نقلها إلى دار الحرب .

ويثبت الأمان للرسول الموفد من دولته بمجرد دخوله إلى دار الإسلام ، وذلك إذا قدم ما يثبت أنه رسول مبعوث من دولته . وهو ليس مطالباً بإقامة البينة إذ يكتفى بالعلامة .

ويقول صاحبا أبي حنيفة وهما أبو يوسف ومحمد بن الحسن ((إنَّ الولاة المسلمين إذا ما لقوا رسولاً ، وجب أن يسألوه عن اسمه ، فإن قال : أنا رسول الملك

(١) د . محمد الصادق عفيفي : تطور التبادل الدبلوماسي في الإسلام ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ٨٥ – ٨٨ .

بعثني إلى ملك المسلمين ، وهذا كتابي معي ، وما معي من الدواب والمتاع والرقيق فهو هدية له ، فإنه يُصدق ، ولا سبيل عليه ، ولا يُتعرض له ، ولا لما معه من المتاع والسلاح والرقيق والمال – بسوءٍ أو ضرر ، وكذلك لو أن المسلمين أسروا مركباً في البحر ، وقال نفر من ركابها : نحن سفراء بعثنا ملكنا ، فلا يتعرض لهم بإيذاء)) (لأبي يوسف : ٢٠٣ ، وشرح السير الكبير ٢/ ٤٧١) .

وقد اختلف الفقهاء فيما يتعلق بما يتعدى الحرمة الشخصية للمبعوث ، وهي ثابتة في الإسلام . ويلزمونه ، بعد منحه حق الأمان بأحكام الشريعة الإسلامية، وذلك دفعا للفساد ودرءاً للضرر ، وهما واجبان يلتزم بهما كل من يقيم في دار الإسلام ولو مؤقتاً .

وتذهب جماعة المذهب الحنفي إلى مسئولية المستأمن من الناحية الجنائية والمدنية. ويخضع لقضاء الدولة الإسلامية في حال ارتكابه جريمة من جرائم التعدي على حقوق الأفراد أو ما يسمى بالحق الخاص كالسرقة والغصب . أما في حال ارتكابه جريمة تتعلق بحقوق الله فيُعفى منها . أي أنه يصح الترخيص في الحدود التي ليس للعباد الحق فيها ، أما القصاص فلا يترخص فيه ، ويدخل البعض (مثل الشيخ أبو زهرة) في العقوبات التي يجوز الترخيص فيها العقوبات التعزيرية ، وهي التي لم يرد في الكتاب والسنة نفي شرعي حولها ويترك للقاضي أو لوليّ الأمر تقديرها .

وذهب جماعة المذهب الشافعي إلى وجوب الضمان في المتلفات وكذلك الحدود والقصاص ، أما حقوق الله – سبحانه وتعالى – فيما يتصل بالعقوبة عن الزنا وشرب الخمر فلا حد فيها للمستأمن .

وذهب جماعة المذهب الحنبلي إلى القول بأنَّ المستأمن إذا سرق في دار الإسلام أو قتل أو غصب وعاد إلى بلاده ، أي إلى دار الحرب ، ثم خرج مستأمناً مرةً أخرى اقتص منه واستوفي ما لزمه في أمانه الأول[1] .

(١) الدكتور / محمد الصادق عفيفي ، المرجع السابق ، ص ٩٢ – ٩٥ .

وقد تضمنت اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية التي تم إبرامها عام ١٩٦١ ميلادية ، وصدقت عليها المملكة العربية السعودية عام ١٤٠٠هجرية (١٩٨٠م) ، كثيراً من المبادئ الحاكمة لعمل المبعوثين الدبلوماسيين التي أرساها الإسلام قبلها بنحو أربعة عشر قرناً . وتتمثل أبرزها في التراضي في إيفاد واستقبال المبعوثين والوفود ، وحرمتهم الشخصية ، واحترام نظم ولوائح الدولة المستضيفة وعدم التدخل في شئونها الداخلية ، وأكدت الاتفاقية مبدأ المعاملة بالمثل مبدأ حاكماً في التبادل الدبلوماسي ، وهو مبدأ مستقر في الشريعة الإسلامية .

منها قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾ [البقرة : ١٩٤] ، وقوله سبحانه : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ ﴾ [النحل : ١٢٦] ، وقوله سبحانه : ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ ﴾ [الشورى : ٤٠] ، وقد احتفظ رسول الله ﷺ حسب رواية الواقدي بجماعة من الرجال المشركين أرسلتهم قريش إلى الحديبية ، خلال مداولات الصلح لاستفزاز المسلمين ، ورفض إطلاقهم حتى تطلق قريش رهائن كانت تحتفظ بها من المسلمين ، وكانوا أحد عشر رجلا كانوا قد دخلوا مكة لزيارة أهليهم ، وقال النبي ﷺ لمبعوث قريش : ((**إني غير مرسلهم حتى تُرسلوا أصحابي**)) وأفرجت قريش عن الرهائن[1] . إن النبي ﷺ قد أخلى سبيل أسرى المشركين من قريش تشبثاً منه بخطة السلم ، واحتراماً للشهر الحرام أن يسفك فيه دم .

وأقرت الاتفاقية كذلك مهام السفراء فيما قضت به الشريعة الإسلامية من توثيق عرى التعاون والتعارف والمحبة والسلام بين الشعوب .

(١) الواقدي : (٢/ ٦٠٤) ، الطبري : (٢/ ٦٣٠) ، وابن هشام ، (٣/ ٣٢٩) .

الفصل الثالث

أدوات الدبلوماسية في الإسلام

الفصل الثالث

أدوات الدبلوماسية في الإسلام

أولاً : المحررات الدبلوماسية :

كان رسول الله ﷺ أفصح الناس لغةً ، وقد وضع ضوابط لآداب الحديث تتمثل في التفصيل المبين ، والكلام بهدوء دون تقطع الكلمات . وكانت تتخلل كلامه فترات سكوت تتيح التأمل للمتكلم والمستمع مع إعادة الكلمات المهمة لثلاث كي يحفظها المستمع . وكان ﷺ لا يستحبُّ التكلف في الحديث والتلاعب بالتعبير ، وروي عن الضَّحَّاك بْن شُرَحْبِيل عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(مَنْ تَعَلَّمَ صَرْفَ الْكَلَامِ لِيَسْبِيَ بِهِ قُلُوبَ الرِّجَالِ أَوْ النَّاسِ لَمْ يَقْبَلْ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا).

الشرح:(مَنْ تَعَلَّمَ صَرْف الْكَلَام) : قَالَ الْخَطَّابِيُّ : صَرْف الْكَلَام فَضْله وَمَا يَتَكَلَّفهُ الْإِنْسَان مِنْ الزِّيَادَة فِيهِ وَرَاء الْحَاجَة وَمِنْ هَذَا سُمِّيَ الْفَضْل مِنْ النَّقْدَيْنِ صَرْفًا وَإِنَّمَا كَرِهَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ لِمَا يَدْخُلهُ مِنْ الرِّيَاء وَالتَّصَنُّع وَلِمَا يُخَالِطهُ مِنْ الْكَذِب وَالتَّزَيُّد وَأَمَرَ أَنْ يَكُون الْكَلَام قَصْدًا بِبُلُوغِ الْحَاجَة غَيْر زَائِد عَلَيْهَا يُوَافِق ظَاهِره بَاطِنه وَسِرّه عَلَانِيَته اِنْتَهَى (لِيَسْبِيَ) : بِكَسْرِ الْمُوَحَّدَة أَيْ لِيَسْلُب وَيَسْتَمِيل (بِهِ) : أَيْ بِصَرْفِ الْكَلَام (قُلُوب الرِّجَال أَوْ النَّاس) : شَكٌّ مِنْ الرَّاوِي (صَرْفًا وَلَا عَدْلًا) : فِي النِّهَايَة : الصَّرْف التَّوْبَة أَوْ الْمُنَافَلَة ، وَالْعَدْل الْفِدْيَة أَوْ الْفَرِيضَة .

قَالَ الْمُنْذِرِيُّ: الضَّحَّاك بْن شُرَحْبِيل هَذَا مِصْرِيّ ذَكَرَهُ اِبْن يُونُس فِي تَارِيخ الْمِصْرِيِّينَ ، وَذَكَرَهُ الْبُخَارِيّ وَابْن أَبِي حَاتِم وَلَمْ يَذْكُر لَهُ رِوَايَة عَنْ أَحَد مِنْ الصَّحَابَة وَإِنَّمَا رِوَايَته عَنْ التَّابِعِينَ وَيُشْبِه أَنْ يَكُون الْحَدِيث مُنْقَطِعًا وَاَللَّه عَزَّ وَجَلَّ أَعْلَم[1] ،

(١) رواه أبو داود في الأدب باب: ما جاء في المتشدق في الكلام (٤٣٥٣)

وقوله (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ قَالَ الْمُتَكَبِّرُونَ)[1] ، أما المتشدقون فهم الذين يتكلمون بملء أفواههم مع التظاهر بالفصاحة [2] . وكان ﷺ يحبذ الاستماع فلا يتكلم إلا بعد أن ينهي الطرف الآخر كلامه، ثم يسأله ((لقد فرغت)) [3] ويبدأ بعد ذلك الكلام بعد أن يكون قد استوعب ما لدى الطرف الآخر وفهم مقاصده وما يريد .

وقد أكدت صيغ الرسائل التي بعث بها النبي ﷺ إلى الملوك والأباطرة ورؤساء القبائل مع سفرائه وضوح الرؤية ، وإيجاز القول ، وتحديد الهدف فيما أصبح يمثل نبراساً للدبلوماسية الحديثة التي لا تحتمل الإطاله والحشو والغموض في المعاني والمقاصد . واستقت السنة النبوية الشريفة ذلك من الهدي القرآني الكريم ، وتقول الرواة : ما نعرف رسولاً ألطف ، ولا كتاباً أوجز ، من هدهد سليمان وكتابه . وهو قوله - عز وجل - : ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل ٣٠-٣١] .

وقد اقتفت رسائل النبي ﷺ التي عرضنا نصوصها سلفاً هذا الهدي القرآني. وأصبحت السنة في المكاتبة والرسائل بين الناس أن يبدأ الكاتب بنفسه تعريفا بها. ويضيف الإمام النووي أن النبي ﷺ في رسالته إلى هرقل وجهها باسم هرقل عظيم الروم

(١) رواه الترمذي في البر والصلة باب ما جاء في معالي الأخلاق(١٩٤١) وحسنه. وقَالَ أَبو عِيسَى:وَالثَّرْثَارُ هُوَ الْكَثِيرُ الْكَلَامِ وَالْمُتَشَدِّقُ الَّذِي يَتَطَاوَلُ عَلَى النَّاسِ فِي الْكَلَامِ وَيَبْذُو عَلَيْهِمْ. وراجع صحيح الجامع ٢ / ٢٤(٢١٩٧).

(٢) د . سهيل حسين الفتلاوي : دبلوماسية النبي محمد ﷺ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ٢٠٠١ ، ص ٨٨ – ٨٩ .

(٣) رواه أبو يعلى في مسنده ٣/ ٣٤٩ (١٨١٨) ومال المحقق حسين أسد إلى تحسينه تصحيحه و أورده ابن كثير في مقدمة تفسير سورة فصلت وعزاه لعبد بن حميد ولأبي يعلى ومال ابن كثير إلى تصحيحه.

ولم يكتب ملك الروم لأنه لا ملك له ولا لغيره إلا بحكم دين الإسلام ، ولا سلطان لأحد إلا لمن ولاه رسول الله. ولم يقل هرقل فقط بل أتى بنوع من الملاطفة فقال عظيم الروم: أي الذي يعظمونه ويقدمونه، ويضيف الإمام النووي بأن الله - سبحانه وتعالى - أمر بإلانة القول لمن يدعى إلى الإسلام، فقال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ (١).

وكان النبي ﷺ يهتم حتى بنمط الكتابة في مراسلاته. وفي رواية: عن أنس أن النبي صلوات الله عليه، قال: ((**إذا كتبتم كتاباً فجوِّدوا بسم الله الرحمن الرحيم ، تقضى لكم الحوائج ، وفيه رضا الله**)) (٢) وفي رواية أخرى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ أَقْطَعُ) (٣) .

وكان ﷺ يحرص على بدء رسائله بالتحية ، ونظراً لأنها كانت موجهة إما إلى مشركين أو لأهل كتاب، فقد جعل السلام فيها موقوفاً على إسلامهم، ومن ثم استخدم عبارة: ((**السلام على من اتبع الهدى**)) أو عبارة: ((**السلام على من آمن بالله**)). واستخدم كذلك في التحية: ((**أحمد الله إليك**)). وعند الانتهاء من التحية كان يورد عبارة: ((**أما بعد**)) وهي تعني الدخول في الموضوع بعد السلام. وما زالت هذه الصيغة متداولة إلى يومنا هذا في المحررات الدبلوماسية باستهلالها باسم الله ثم بالتحية والسلام ثم الدخول في الموضوع.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٧٢ : (١٢ / ١٠٨) .

(٢) لم أجده بهذا اللفظ بل بلفظ : (إذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن) عزاه السيوطي في الجامع الصغير للخطيب في الجامع وللديلمي في مسند الفردوس (٨٣٤) وضعفه . وبلفظ : إذا كتبت بسم الله الرحمن الرحيم فبين السين فيه عزاه السيوطي في الجامع الصغير للخطيب وابن عساكر (٨٣٥) وضعفه أيضا ووافقه الألباني.

(٣) رواه ابن ماجه في النكاح باب خطبة النكاح(١٨٨٤)، وصححه ابن حجر في الفتح، وحسنه الألباني في إرواء الغليل رقم (١) وما بعده.

وكانت الرسائل النبوية للملوك والأمراء وشيوخ القبائل تكتب على نوع خاص من جلود الحيوانات تُناسب الظروف ومتطلبات السفر الطويل ، صنع منه الرق الناعم المصقول. واستعمل الحبر الأسود في الكتابة. وكان يصنع من مواد عضوية خاصة ، أما الأقلام فكانت تصنع من القصب المسنَّن برؤوس دقيقة ناعمة ، وبالنظر لطبيعة ومتانة المواد التي كتبت بها هذه المذكرات فإن البعض منها لا يزال محفوظاً في المتاحف العالمية.

وكانت الرسائل والمذكرات الدبلوماسية في العهد النبوي تحرر باللغة العربية وترسل مع مبعوث يتقن لغة القوم المرسلة لهم يتولى الشرح والتوضيح ، وتم ذلك لأسباب :

أولها : أن اللغة العربية هي لغة القرآن .

وثانيها: أن الإسلام دين عالمي أنزل للناس كافة ، وكانت الرسائل كلها تتضمن دعوة للإسلام.

وثالثها: أن اللغة العربية هي أفضل اللغات وأقدرها على التعبير بما وصلت إليه من رقي وتطور.

ورابعها: أن هيبة الدولة من احترامها للغتها. ومن ثم حرص النبي ﷺ على احترام دولة المسلمين باحترام لغة القرآن.

وقد أصبح هذا العرف متبعا في جميع دول العالم حتى يومنا هذا حيث تدون المحررات الدبلوماسية باللغة الرسمية للبلد المرسل ، وترفق معها ترجمة غير رسمية بلغة البلد المرسلة إليه ، ويُتوخَّى في الرسول معرفة هذه اللغة حتى يقوم بالتوضيح اللازم.

وقد ركز النبي ﷺ في رسائله للملوك والأمراء وشيوخ القبائل على تبليغ الدعوة إلى الإسلام، وعلى التحذير من مغبة التمسك بالشرك والضلال، وعلى التأكيد على عالمية دعوته ورسالته. ولم يطلب من أيٍّ منهم التخلي عن منصب أو أملاك أو جاه ، فلم تنازعهم مذكراته - صلوات الله عليه وسلامه - في مناصبهم أو أملاكهم وإنما في عقيدتهم.

وتضمنت بعض هذه الرسائل تعريفا بحاملها بما يشبه كتاب الاعتماد بلغة الدبلوماسية المعاصرة، كما تضمنت إشارة إلى أن إرضاء الرسول هو من إرضاء المراسل.

وحرص النبي ﷺ في بعض الرسائل على تدوين التاريخ ، وروي أنه ﷺ عندما أعد الرسالة لنصارى نجران أمر علياً - كرم الله وجهه - أن يؤرخ ذلك لخمس من الهجرة. وتبعه في ذلك عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - .

وعندما أراد النبي ﷺ أن يراسل الملوك والأمراء وشيوخ القبائل هذه الرواية هي الموجودة في الصحيحين وفي سنن أبي داود والنسائي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:كَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا أَوْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ فَقِيلَ لَهُ:إِنَّهُمْ لَا يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلَّا مَخْتُومًا فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ نَقْشُهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِهِ فِي يَدِهِ فَقُلْتُ لِقَتَادَةَ مَنْ قَالَ نَقْشُهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ أَنَسٌ"[1] . غير أن المذكرات النبوية التي عثر عليها في المتاحف كانت مختومة بـ((محمد رسول الله)) ، وتقرأ من أسفل إلى أعلى، وتثبت أن الختم كان بشكل دائري. ويبدو أن الرسول ﷺ يختم المذكرة في نهايتها ثم تختم ثانية بعد طيها على مادة رطبة كالطين بحيث لا يمكن أن تقرأ إلا بعد فض الختم لكي لا يطلع عليها غير المرسلة إليه.

وقد استخدم الخاتم بعد وفاة النبي ﷺ خلفاؤه الراشدون أبو بكر وعمر وعليُّ ابن أبي طالب وعثمان - رضي الله عنهم - . وسقط الخاتم من سيدنا عثمان في بئر كان يتوضأ فيه في المدينة يدعى بئر أريس ، فأمر بصنع خاتم مشابه استخدمه حتى استشهاده ، واستخدمه سيدنا علي بن أبي طالب بعده.

وكان النبي ﷺ يختار لكتابة رسائله للملوك والأمراء وشيوخ القبائل كتاب الوحي. وكان على رأس كتاب الوحي الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي - رضوان الله عليهم - . وكان منهم أبان بن سعيد بن العاص الأموي ، وقال أبو بكر ابن أبي شيبة: ((كان أول من كتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ أبيّ بن كعب، وزيد ابن ثابت، وكتب له عثمان وخالد بن سعيد وأبان بن سعيد)).

وكان من الكتاب كذلك عبدالله بن أرقم بن أبي الأرقم المخزومي[2]. وقد أسلم عام الفتح، وكتب للنبي ﷺ. قال الإمام مالك: وكان ينفذ ما يفعله ويشكره ويستجيده.

---

(١) متفق عليه رواه البخاري في العلم، باب ما يذكر في المناولة (٦٣)،، ورواه مسلم في اللباس والزينة باب اتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتما(٢٩٠٢)

(٢) راجع الإصابة ٢/ ٢٩٥(٤٥٢٥) .

وقال سلمة، عن محمد بن إسحاق بن يسار، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عبدالله ابن الزبير، أن رسول الله ﷺ استكتب عبدالله بن الأرقم بن عبد يغوث، وكان يجيب عنه الملوك، وبلغ من أمانته أنه كان يأمره أن يكتب إلى بعض الملوك فيكتب، ويختم على ما يقرؤه، لأمانته عنده. وكتب لأبي بكر، وجعل إليه بيت المال وأقره عليها عمر بن الخطاب، فلما كان عثمان عزله عنهما. ويقال إن عثمان عرض عليه ثلاثمائة ألف درهم عن أجرة عمله فأبى أن يقبلها، وقال: إنما عملت لله فأجري على الله - عز وجل -[1].

وقال البيهقي: أنبأنا أبو عبدالله الحافظ، ثنا محمد بن صالح بن هانئ عن القاسم ابن محمد عن عبدالله بن عمر، قال: أتى النبي ﷺ كتابُ رجل، فقال لعبدالله بن الأرقم: ((أجب عني))، فكتب جوابه ثم قرأه عليه، فقال: ((**أصبت وأحسنت، اللهم وفقه**))، قال: فلما ولي عمر كان يشاوره. وقد رُوي عن عمر بن الخطاب أنه قال: ما رأيت أخشى لله منه ، يعني في العمال[2].

وقال ابن إسحاق : كتب لرسول الله ﷺ زيد بن ثابت فإذا لم يكن حاضراً كلف ابن الأرقم كتب من حضر من الناس. وقد كتب عمر وعلي وزيد والمغيرة بن شعبة، ومعاوية وخالد بن سعيد بن العاص. ومنهم عبدالله بن زيد الأنصاري الخزرجي.

وقد اتفقت الروايات على أن عبدالله بن الأرقم - رضي الله عنه - كان يقوم بمهمة كاتم السر ، أما حذيفة بن اليمان فقد كان أمين السر بلغة عصرنا هذا ومحل ثقة النبي ﷺ وأبي بكر وعمر - رضوان الله عليهما - وكانوا يرون اسمه أسفل الرسالة على أنه كاتبها إمعاناً في توثيقها. فقد قال الأعمش: قلت لشقيق بن سلمة: من كان كاتب النبي ﷺ؟ قال: عبدالله بن الأرقم، وقد جاءنا كتاب عمر بالقادسية وفي أسفله: ((وكتب عبدالله بن الأرقم))[3].

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ): البداية والنهاية، الجزء الخامس، القاهرة ١٣٥١هـ.
(٢) المرجع السابق: الجزء الخامس.
(٣) ابن كثير: المرجع السابق.

وتقتفي المحررات الدبلوماسية المعاصرة هذا التقليد.

وقد نظمت الدولة الأموية ما عُرف بديوان الرسائل ، وكان يختص بالرسائل التي ترد من الولاة، وبالعهود والمواثيق التي ترسل من الخليفة إلى الدول الأجنبية، واستلهم الخلفاء الهدي النبوي في حسن اختيار كتاب الرسائل ؛ بحيث أصبحوا مستودع أسرار الخليفة وعقله المفكر ، فلما كان العصر العباسي استبد الوزراء بأمر الكتابة، وصارت الكتابة إليهم حتى عُرف بعضهم بذي الرئاستين: رئاسة الكتابة، ورئاسة الوزارة.

وأصبح يقوم إلى جانب ديوان الرسائل - ابتداءً من العصر الأموي - ديوان مكمل له هو ديوان الخاتم، وهو لحفظ أوامر الخليفة وسجلاته، وفيه تثبت الكتب التي تحتاج إلى ختمها بخاتم أمير المؤمنين.

وقد أمر معاوية بنقش خاتم يحمل اسمه ، وظل ديوان الخاتم من أهم الدواوين الكبرى ذات الصلة الوثيقة بالعمل الدبلوماسي ، ومن أهم الدواوين في العصر الأموي والعباسي ديوان الجيش وديوان النفقات وديوان بيت المال وديوان المصادرين، وديوان الرسائل وديوان البريد وديوان التوضيع وديوان الخاتم وديوان الفضي، وديوان الجهبذة وديوان البر والصدقات.

وفي ذلك يقول ابن خلدون: ((وكان الكاتب يصدر السجلات مطلقة ويكتب في آخرها اسمه، ويختم عليها بخاتم السلطان، وهو طابع منقوش غدا فيه اسمُ السلطان منذ العصر الأموي أو إشارته، ويغمس في طين أحمر مذاب بالماء، ويُسمى طين الختم، ويُطبع به على طرفي السجل عند طيه وإلصاقه))[1].

وكانت المخاطبات الدبلوماسية في العصر العباسي تكتب على ورق من نوع معين، وبحبر خاص.

(١) ابن خلدون: المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٦٧م : ص ٤٣٦.

ثانياً : تعليم اللغات الأجنبية :

لا يخفى ما لتعلم اللغات الأجنبية من أهمية في نجاح الدبلوماسية التي هي في جوهرها من الاتصال والتعامل والتفاعل بين البشر من مختلف الأعراق والقوميات. وقديماً قال العرب: ((كل لسان بإنسان)). وتتأكد أهمية ذلك في الإطار الإسلامي بصفة خاصة بالنظر للطابع الإنساني العام للرسالة وكونها موجهة إلى كافة بني البشر.

وقد حث النبي ﷺ على تعلم اللغات الأجنبية للرد على الرسائل الواردة إليه ، من ذلك ما رواه الترمذي بإسناد صحيح عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال: ((أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كتاب يهود، قال: **إني والله ما آمن يهود على كتاب،** قال: فما مَر بي نصف شهر حتى تعلمته له، قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم)) [1].

وكان زيد بن ثابت ترجمان الرسول ﷺ وقيل إنه تعلم الفارسية من رسول كسرى، والرومية من حاجب النبي ﷺ ، والقبطية من خادمته عليه السلام ، والحبشية من خادم للنبي.

وكانت كتب ورسائل النبي ﷺ تدون، كما أسلفنا، بالعربية وهو المتبع حالياً.

وقد استفسر ابن رشد عما جاء عن مالك وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من ذم تعاطي لغة الأعاجم، فتبين من كلامه في كتاب (البيان والتحصيل) أن الذي كره مالك من تعلم خط العجم ولسانهم هو ما لا يكون في تعلمه منفعة ، وأما ما فيه منفعة كتعلمه لترجمة ما يحتاجه إليه القاضي للفصل بين الخصوم وإثبات الحقوق، أو العاشر الذي يعشر أهل الذمة وتجار الحربيين لمطلب ما يعشر عندهم لبيت المال، أو لما يحتاج إليه من نكال أسير وما أشبه ذلك مما تدعو إليه الضرورة فغير مكروه. وقال ابن

(١) رواه أبو داود في العلم راجع صحيح أبي داود (٢٧١٥)و رواه الترمذي في الاستئذان باب ما جاء في تعليم السريانية راجع صحيح الترمذي (٢٧١٥).

يونس: حين تكلم عن قول المدونة ونهي عمر بن الخطاب عن رطانة الأعاجم أي تكلمهم بلسانهم فقيل : معنى النهي عن ذلك أنهم يتكلمون بها في المساجد))[1].

ثالثاً : استخدام الشفرة :

وقد أضحت الشفرة أو الرمز إحدى وسائل الاتصال فيما يتصل بالمعلومات ذات الطبيعة السرية للغاية. وهي تستخدم في التراسل بين البعثات الدبلوماسية ووزارة الخارجية وبين الوزارة وبعثاتها المعتمدة في الخارج. وتتفنن الدول المتقدمة في ابتكار أحدث الأجهزة لإحكام سرية المعلومات المتداولة من خلال البرقيات الشفرية. وهي تستخدم كذلك في التراسل بين قادة وحدات الجيش في ميادين المعارك، وفي أعمال الاستخبارات والجاسوسية.

وقد لجأ المسلمون إلى استخدام الشفرة أو الرمز منذ عهد النبي ﷺ. ومن أمثلة ذلك ما حدث مثلاً في غزوة الخندق حيث علم النبي ﷺ أن يهود بني قريظة قد نكثوا عهدهم الذي كان مبرماً مع المسلمين ، وذلك بعد أن أحاط بالمدينة عشرة آلاف مقاتل من قريش بينما كان عدد المسلمين ثلاثة آلاف فقط. وهنا أرسل النبي ﷺ سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، وعبدالله بن رواحة، وخوات بن جبير إلى بني قريظة ليقفوا على جلية الأمر، وأمرهم بأن يلحنوا بالقول حين يعودون ، وبعدم الإفصاح صراحة إذا ما تأكدوا من خبر نكث بني قريظة للعهد ، وكان غرض النبي من ذلك هو عدم التأثير على معنويات المسلمين حيث أصبح العدو من الداخل (بنو قريظة) ومن الخارج (قريش ورجالها).

وعن كعب بن مالك - رضي الله عنه - : ((أن النبي ﷺ كان إذا أراد غزوة ورى بغيرها))[2] . (أي: سترها بغيرها). ومن ذلك أنه - صلوات الله عليه وسلم - عندما تأهب لفتح مكة أخذ يستفسر عن تبوك ونواحيها ، ويقول الصنعاني تعليقاً على ذلك:

---

(١) الشيخ عبدالحي الكتاني: نظام الحكومة المدنية المسمى التراتيب الإدارية : ص ٢٠٢ – ٢٠٥.

(٢) رواه أبو داود وأصله متفق عليه، رواه البخاري بنحوه في الجهاد والسير(٢٧٢٨) ومسلم في التوبة (٤٩٧٣) بهذا اللفظ رواه أبو داود .

((وكانت توريته أنه إذا قصد جهة سأل عن طريق جهة أخرى إيهاماً أنه يريدها، وإنما يفعل ذلك لأنه أتم فيما يريده من إصابة العدو وإتيانهم على غفلة من غير تأهبهم له. وفيه دليل على جواز مثل ذلك في غير الإضرار بالناس آلاف الحرب ، وقد قال ﷺ: ((الحرب خدعة)) [1].

ويعرف القلقشندي الشفرة بأنها: ((إخفاء ما في الكتب من السر)) ، ويرى الشيباني أن ذلك لا يعني الكذب بحال لأنه لا رخصة فيه في الإسلام ولا ينبغي للمسلم أن يتعمده بحال من الأحوال. ويقول الشيباني : إنَّ وفد ثقيف لما جاءوا إلى رسول الله ﷺ قالوا: نؤمن بشرط أن لا ننحني أي لا نركع ولا نسجد ، فصالحهم النبي - صلوات الله عليهم وسلم - على ذلك وكتب في آخر كتاب الصلح على أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ، ثم أمرهم بالصلاة ورأى أن هذه الكلمة ناقضة للكلام الأول. وخلص الشيباني من ذلك بأن في استعمال معاريض الكلام مندوحة عن الكذب وذلك جائز خاصة في حق المحاربين[2].

رابعاً : تقديم الهدايا :

يعد تقديم وتقبل الهدايا من التقاليد المألوفة في فن الدبلوماسية منذ نشأته فيما يعرف بأصول المجاملة. وكان الإسلام منذ العصر النبوي سباقاً إلى تأكيد أهمية هذه المكرمة في العلاقات بين الأفراد والمسئولين، وإلى وضع الضوابط اللازمة لها.

(١) متفق عليه، رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٠٤)، مسلم في الزكاة التحريض على قتل الخوارج (١٧٧١).

(٢) شرح كتاب السير الكبير للشيباني، إملاء الإمام السرخسي، طبعة حيدر آباد الدكن : (٤ / ٢١١).

وقد أشار القرآن الكريم في سورة النمل إلى الهدية وردها ، عند التعرض لقصة سيدنا سليمان - عليه السلام - مع بلقيس ملكة سبأ عندما تداولت مع قومها في رسالة سليمان وخرجوا بأمر مجمع عليه ، ألا وهو قول الملكة: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل: ٣٥]، أي: مرسلة رسلاً بهدية أصانع بها سليمان عن مملكتي. وهنا رأى سليمان أن في هذه الهدية نوعاً من الرشوة ، ورفضها وأعاد المبعوثين مكرمين إلى سيدتهم قائلاً لرئيسهم: ((ارجع إليهم)) أي: للملكة وأتباعها: ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [النمل: ٣٧].

وكانت رسالة سليمان تحمل الدعوة للإسلام والهداية ، وكانت هدايا الملكة نوعاً من المداهنة للتحايل على الاستجابة للدعوة. ومن ثم كانت مرهونة بغرض ولذا رفضت .

وقد حضَّ النبي ﷺ على قبول وتقديم الهدايا وعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ عَبْدِ اللَّهِ الْخُرَاسَانِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَصَافَحُوا يَذْهَبْ الْغِلُّ وَتَهَادَوْا تَحَابُّوا وَتَذْهَبْ الشَّحْنَاءُ[1] وبقوله: ((**تهادوا فإنه يضاعف الحب ، ويذهب بغوائل الصدور**))[2]. وعن علي - رضي الله عنه - قال: ((**أهدى كسرى لرسول الله ﷺ فقبل منه ، وأهدى له قيصر فقبل منه ، وأهدت له الملوك فقبل منها**)). وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: ((**كان النبي ﷺ يقبل الهدية، ويثيب عليها**))[3] (الشوكاني: نيل الأوطار :

(١) رواه مالك ب ماجاء في المهاجرة(١٤١٣). وراجع صحيح الأدب المفرد باب قبول الهدية ٢٦٩(٥٩٤و(٤٦٣).

(٢) لم أجده بهذا اللفظ ولكن بلفظ :(تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدور عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَهَادَوْا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ وَلَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ شِقَّ فِرْسِنِ شَاةٍ قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَأَبُو مَعْشَرٍ اسْمُهُ نَجِيحٌ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ رواه الترمذي في كِتَاب الْوَلَاءِ وَالْهِبَةِ بَاب فِي حَثِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى التَّهَادِي، ومال الترمذي لتضعيفه و قال الألباني: ضعيف.

(٣) رواه أبو داود في أول كتاب الإجارة راجع صحيح أبي داود ٣٥٣٦ ، ورواه الترمذي في كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ بَاب مَا جَاءَ فِي قَبُولِ الْهَدِيَّةِ وصححه وراجع صحيح الترمذي ١٩٥٣.

ج ٥ ، ج٦) . وعن عبدالله بن الزبير[١] قال: قدمت قبيلة ابنة عبد العزى بن أسعد بن ملك بن حسل على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا ضباب وترمس وسمن فأبت أسماء أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها ، فسألت عائشة النبي ﷺ فأنزل الله - عز وجل - : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾ فأمرها أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها (الحافظ الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، القاهرة ١٣٥٣هـ ج٤/ ١٥٢) .

وقال الأبشيهي في المستطرف من كل فن مستظرف :

٢. قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ فسرها بعضهم بالهدية.و قال ﷺ: ((**تهادوا تحابوا فإنها تجلب المحبة وتذهب الشحناء**))[٢] . **وقال ﷺ:** ((**الهدية مشتركة**)). وقال ﷺ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ فَأَعْطُوهُ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ مَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ[٣] . وكان ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها ما هو خير منها[٤]... وأهدى فتح الموصلي بهدية وهي خمسون ديناراً فقال: حدثنا عطاء عن النبي ﷺ أنه قال: ((**من آتاه الله رزقاً من غير مسألة ورده فكأنما رده على الله تعالى**))[٥] . عن عطاء بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعطاء فرده عمر ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم رددته؟ فقال:

---

(١) رواه البخاري في الأدب باب صلة الوالد المشرك (٥٥٢١). و رواه أبو داود بهذا اللفظ في الزكاة راجع صحيح أبي داود(١٦٦٨).

(٢) ورواه الترمذي في كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ بَاب مَا جَاءَ فِي قَبُولِ الْهَدِيَّةِ وصححه وراجع صحيح الترمذي ١٩٥٣.

(٣) رواه أبو داود في الأدب راجع صحيح أبي داود(٥١٠٩) ، ورواه غيره بنحوه وبدون لفظ و (من أهدى ...) راجع الجامع الصغير ٢/ ٥٦٦(٨٤١١) و صحيح الجامع ٦٠٢١ .

(٤) رواه أبو داود في أول كتاب الإجارة راجع صحيح أبي داود ٣٥٣٦ .

(٥) رواه ابن حبان بهذا اللفظ إذا ساق الله إليك رزقا من غير مسألة و لا إشراف نفس فخذه فإن الله أعطاكه راجع صحيح الجامع والسلسلة الصحيحة ١٣٢٤.

((يارسول الله أليس أخبرتنا أن خيرا لأحدنا أن لا يأخذ من أحد شيئا ؟!)) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنما ذلك عن المسألة ، فأما ما كان عن غير مسألة فإنما هو رزق يرزقكه الله . فقال عمر رضي الله عنه : أما والذي نفسي بيده لا أسأل أحدا شيئا ، ولا يأتيني شيء من غير مسألة إلا أخذته [1] . وقالت أم حكيم الخزاعية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**تهادوا فإنه يضاعف الحب ، ويذهب بغوائل الصدر**)) [2] .

ويذكر البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما اشتد به المرض أمر - من حوله بثلاث، قال: ((**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم ، والثالثة خير إما أنه سكت عنها وإما أنه قالها ونسيتها**)) [3] .

وهذا أمر منه ﷺ بإجازة الوفود وإكرامهم تطييباً لنفوسهم وترغيباً لغيرهم من المؤلفة قلوبهم ونحوهم وإعانة على سفرهم، قال القاضي عياض: قال العلماء سواء كان الوفد مسلمين أو كفاراً ، لأن الكافر إنما يفد غالباً فيما يتعلق بمصالحنا ومصالحهم)) [4] .

ويقول يحيى بن آدم القرشي في ((كتاب الخراج)) أن منح الهدايا وجوائز الرسل والوفود كان يتم من بيت المال. وهكذا حينما ظفر الرسول ﷺ خيبر قسمها على ستة وثلاثين سهماً ، فكان لرسول الله وللمسلمين النصف من ذلك ، وعزل النصف الباقي لمن ينزل به من الوفود والأمور ونوائب الناس)).

وقد سار الخلفاء الراشدون والتابعون - رضوان الله عليهم - على هذا الهدي النبوي فيما يتعلق بالهدايا. وقد أوصى أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يزيد بن أبي

---

(١) رواه مالك هكذا مرسلا ورواه البيهقي بنحوه، راجع صحيح الترغيب والترهيب (٨٤٦)

(٢) ورواه الترمذي في كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ بَاب مَا جَاءَ فِي قَبُولِ الْهَدِيَّةِ وصححه وراجع صحيح الترمذي ١٩٥٣.

(٣) متفق عليه رواه البخاري في الجهاد باب هل يستشفع لأهل الذمة(٢٨٢٥) ومسلم في الوصية باب ترك الوصية .. (٢٠٨٩).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، دار أحياء التراث العربي، بيروت ١٩٧٢، (٦/ ٩٤) .

سفيان، وهو يشيعه، فقال له: ((وإذا قدمت عليك رسل عدوك فأكرم منزلتهم، فإنه أول خيرك إليهم، وأقلل حبسهم حتى يخرجوا وهم جاهلون بما عندك))[1].

وقد اختلف الفقهاء في مبدأ قبول الهدية من غير المسلمين إلى ثلاثة آراء. وقال بالأول سحنون المالكي رحمه الله ، ومؤدى رأيه أنه إذا أهدى ملك الروم بهدية إلى الإمام فلا بأس من قبولها وتكون له خاصة.و قال بالثاني الأوزاعي وهو أن الهدية تكون للمسلمين ويكافأ متلقيها بمثلها من بيت المال. وأما الرأي الثالث فهو للشافعية وهو أن ما أهداه الكفار للإمام أو لأمير الجيش أو قواده فهو غنيمة حكمها حكم الغنائم.

ويتمثل الرأي الراجح والذي تسير عليه غالبية الدول حالياً بالنسبة للهدايا القيمة تمنح للسفراء والوفود أن يتم إدخالها إلى بيت المال ولا تكون لهم خاصة، وذلك أن تلك الهدايا تمنح لهم لا لأشخاصهم وإنما لصفاتهم كونهم ممثلين أو سفراء لدولهم وما يترتب على شيء يكون مصيره إلى أصله جرياً وراء قاعدة المتبوع والتابع[2]. ويؤيدنا في ذلك المثالان التاليان :

- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعْمَلَ عَامِلًا فَجَاءَهُ الْعَامِلُ حِينَ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي فَقَالَ لَهُ أَفَلَا قَعَدْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ فَنَظَرْتَ أَيُهْدَى لَكَ أَمْ لَا ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشِيَّةً بَعْدَ الصَّلَاةِ فَتَشَهَّدَ وَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَمَا بَالُ الْعَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَنَظَرَ هَلْ يُهْدَى لَهُ أَمْ لَا فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَغُلُّ أَحَدُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا جَاءَ بِهِ لَهُ رُغَاءٌ وَإِنْ كَانَتْ بَقَرَةً جَاءَ بِهَا لَهَا خُوَارٌ وَإِنْ كَانَتْ شَاةً جَاءَ بِهَا تَيْعَرُ فَقَدْ بَلَّغْتُ.[3]

(١) المسعودي: أبو الحسن علي (٣٤٦هـ): مروج الذهب، ط بولاق القاهرة ١٢٨٣هـ ، (٢/ ٢٠٩) .

(٢) أحمد أبو الوفاء محمد: القانون الدبلوماسي الإسلامي، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٢م ص ١٥٨ – ١٦٤.

(٣) رواه البخاري في الأيمان والنذور باب كيف كان يمين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

- لما ترك ملك الروم الغزو، وسير عمر - رضي الله عنه - إليه الرسل مع البريد، فبعثت أم كلثوم بنت عليٍّ زوجة عمر إلى ملكة الروم مع البريد بطيب ومشارب، وأحفا سن من أحفا سن النساء، فردت ملكة الروم عليها بهدية من بينها عقد فاخر. فلما جاء به البريد إلى عمر أمر بإمساك العقد، وجمع الناس ليقولوا رأيهم في الهدية، فقال قوم: هي لأم كلثوم بالذي أهدتها، فليست امرأة الملك من أهل الذمة لنا، فتصانع بالهدية، ولا تحت يدك فتخشاك! وقال آخرون: قد كنا نهدي الثياب فيرد علينا بأكثر، ونبعث بها لتباع، ونصيب من ورائها شيئاً، فقال عمر: ((ولكن الرسول رسول المسلمين، والبريد بريدهم، والمسلمون عظموها في صدرها)) ثم أمر برد الهدية لبيت المال، وبأن تعطى أم كلثوم بقدر ما أنفقت في هديتها[1].

وقد أصبح هذا السلوك الراقي والنزيه نبراساً للدبلوماسية المعاصرة حيث تبيح مختلف دول العالم شرقية وغربية تقديم الرسول أو السفير أو الوفد هدايا لنظرائهم عند قيامهم بمهام رسمية. وتخصص لكل منهم مبلغا محددا من ميزانية الدولة لهذا الغرض. ويؤكد أن تكون الهدايا رمزية تمثل تراث الدولة وصناعتها اليدوية الحرفية وتبتعد عن المغالاة.

وتسمح الدول أيضاً لسفرائها ولوفودها بتلقي الهدايا الرمزية توثيقاً لعرى المحبة ولأواصر الصداقة، وتبيح لهم الاحتفاظ بها إذا كانت رمزية ، أما إذا كانت ذات قيمة تتعدى مبلغاً معيناً حدده بعضها بما يعادل مئة دولار أمريكي أو حوالي أربعمائة ريال سعودي فيتيقن ردها إلى خزانة دولتهم. ويحظر على الجميع تقديم أو قبول المبالغ النقدية على ذمة الهدايا حيث إنه أقرب إلى الرشوة وامتهان من المانح للمتلقي. وتبقى القاعدة الهامة التي حددها الرسول الكريم ﷺ وهي أن تكون ((من غير مسألة)) أي: أن تكون منزهة عن الغرض ولا تستهدف إلا توثيق الصداقة والود.

(١) راجع الإصابة ٤/ ٤٦٨(١٤٨١).

الفصل الرابع

البروتوكول أو المراسم والتشريفات الدبلوماسية وآداب السلوك في الغرب

الفصل الرابع

البروتوكول أو المراسم والتشريفات الدبلوماسية وآداب السلوك في الغرب

المبحث الأول

البروتوكول : لغة واصطلاحاً في المفهوم الغربي

شرح مفهوم البروتوكول (التشريف أو المراسم) :

إن كلمة البروتوكول هي كلمة لاتينية ومعناها: نظام التشريفات الدبلوماسية والعسكرية ، وهذا التعريف يستدعي أن نوضح معنى التشريفات ومعنى الدبلوماسية.
فالدبلوماسية معناها: فن التفاوض بين الدول ، وتأتي بمعنى اللباقة وحسن التدبير ، وهما عنصران من عناصر فن التفاوض وهذا ما سنوضحه لاحقاً.

أما معنى التشريفات فهي المراسم أو دستور التعامل وفن التعايش مع الآخرين.
أو نقول هي: القوانين والأنظمة التي اصطلح على استعمالها في التعامل بين الأفراد والدول.

وبما أن مفهوم البروتوكول هو نظام التشريفات الدبلوماسية فإنه قد يختصر أحياناً كثيرة بكلمة الدبلوماسية أو بالدبلوماسية ومراسمها.

وسأوضح أولاً، وبشيء من التفصيل معنى الدبلوماسية ثم أتحدث عن المراسم وآداب السلوك أو ((الإتيكيت)) والتي تكون جميعها مفهوم البروتوكول .

المطلب الأول
الدبلوماسية

يوجد مفهومان أو تعريفان للدبلوماسية، الأول: تعريف مختصر أو ضيق، والثاني: تعريف واسع أو أعم.

التعريف المختصر، إن الدبلوماسية : نظام أو أسلوب للاتصال بين الحكومات المختلفة من خلال ممثليها الرسميين المعتمدين لدى كل طرف، انطلاقاً من المصالح المشتركة فيما بينها.

أما التعريف الأشمل فمضمونه أن الدبلوماسية هي عبارة عن أسلوب اتصال الحكومات بعضها بالبعض الآخر من خلال ممثليها ، ويشمل كافة أساليب ووسائل مباشرة العلاقات الخارجية بمختلف جوانبها وعلى اتساع المنظومة الدولية ، وهذا التعريف يعتبر الأقرب إلى الواقع الحالي للعلاقات الدبلوماسية المعاصرة حيث تتخذ أساليب الاتصال والتفاعل أشكالاً متعددة تشمل المنظمات الإقليمية والدولية من تبادل وتمثيل، ومن تفاوض ومساومة ومن اتفاق ومواءمة تمثل عناصر العمل الدبلوماسي الحديث.

ومن التعريفات الجامعة لكلمة الدبلوماسية تعريف الدكتور سموحي فوق العادة[1] وهو أنها : ((تتمثل في مجموعة القواعد والأعراف الدولية والإجراءات والمراسم والشكليات التي تهتم بتنظيم العلاقات بين أشخاص القانون الدولي ، أي الدول من خلال الممثلين الدبلوماسيين والمنظمات الدولية، مع بيان حقوقهم وواجباتهم وامتيازاتهم وشروط ممارستهم مهامهم الرسمية، والأصول التي يترتب عليهم اتباعها لتطبيق أحكام القانون الدولي ومبادئه، والتوفيق بين مصالح الدول المتباينة كما هي، ومن إجراء المفاوضات السياسية في المؤتمرات والاجتماعات الدولية، وعقد الاتفاقات والمعاهدات)).

(١) الدبلوماسية الحديثة، الطبعة الأولى، بيروت، دار اليقظة العربية ١٩٧٣م، ص ٣.

هذا التعريف يشمل عناصر السلوك الدبلوماسي التي استقر عليها العرف الدولي وهي: المراسم أو البروتوكول واللياقة أو الإتيكيت أو آداب السلوك والمجاملة. وهذه العناصر تشكل أدوات الاتصال من خلال المبعوثين الدبلوماسيين المقيمين ، وما يترتب لهم من حقوق وامتيازات وحصانات ، وما عليهم من واجبات وقوانين للتعامل.

المطلب الثاني

الدبلوماسية عبر التاريخ

إن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : هل الدبلوماسية بما فيها من لباقة وحسن تصرف ومن تفاوض مقصورة على العصر الحالي من عمر الحضارات الإنسانية المتأخرة وخصوصاً الحديثة والمعاصرة منها ؟ أم هي كما أشرنا سابقاً قديمة بقدم التعايش الإنساني وضرورة من ضروراته ؟ وإذا كانت الدبلوماسية كذلك فلابد من الإشارة وباختصار إلى تطور الدبلوماسية عبر التاريخ. فنقول إن الحضارات القديمة في كل من بابل وأشور ومصر والشام عرفت نظام المبعوثين الدبلوماسيين الذين كانوا يقومون بمهام الاتصال والتمثيل والتفاوض ويتوصلون لعقد الاتفاقات والتحالفات. ويثبت ذلك الاكتشافات الأثرية التي برهنت على وجود وثائق دبلوماسية كانت تكتب بحروف مسمارية، وباللغة الآرامية التي كانت في حينها لغة التجارة والدبلوماسية وتكتب على الرّق ، ومن أشهر هذه الوثائق المعاهدة التي عقدت بين الحثيين ورمسيس الثاني عام ١٢٧٨ قبل الميلاد. وتنص هذه المعاهدة على شروط الصلح وتبادل الأسرى وحسن الجوار وتوزيع المغانم ، وتحديد مناطق النفوذ بعد الحروب وتنظيم التحالفات العسكرية والمصالح التجارية.

ومع دخول العصر الإغريقي نشأ تطور جديد عرف بالمدينة والدولة ، وكانت علاقة الكيانات ببعضها تتسم بالصراع أحياناً وبالوفاق والتحالف أحياناً أخرى في مواجهة خطر خارجي ، واستمرت الحال كذلك من القرن السادس قبل الميلاد حتى

مجيء الإسكندر المقدوني وتمكنه من توحيد وإنشاء إمبراطورية ضخمة امتدت شرقاً حتى نهر الهندوس وجنوباً لتشمل مصر وشماليَّ أفريقيا. وتركت الحضارة الإغريقية تراثاً خصباً من الفلسفة والتاريخ والفكر السياسي والدبلوماسي. وكان إسهامها في مجال الدبلوماسية كبيراً من حيث تحديد كيفية اختيار السفراء وإيفاد السفارات، وتطوير مفهوم الحصانات الدبلوماسية مثل عدم خضوع المبعوث الدبلوماسي لقانون وقضاء الدولة المرسل إليها. ووضعوا وظيفة القنصل ، كما اتخذت من غصن الزيتون علامة للسلام، وأنشئت أساليب حديثة للمفاوضات وعقد المؤتمرات والتحالفات ، واستخدمت في هذا العهد سمة المبعوث من قطعة معدنية مطوية عرفت بـ((دبلوما)) التي اشتقت منها كلمة دبلوماسية.

ثم انتقل التراث الإغريقي إلى الإمبراطورية الرومانية التي بلغت أوجها في القرن الأول قبل الميلاد واستمرت حتى عام ٤٧٦ ميلادية، العام الذي انهارت فيه روما وانقسمت الإمبراطورية إلى شرقية أو بيزنطية وغربية أو المقدسة. وقد عرفت المرحلة الأولى من هذه الحقبة عقد التحالفات وإبرام الاتفاقات. وكانت لها الهيمنة الوحيدة في أوروبا والشمال الإفريقي وشرق المتوسط. واهتمت بتطوير القوانين والتشريعات لكل شعب تابع على حدة ، كما طوروا المراسم الدبلوماسية عبر تشريعهم لقوانين خاصة باستقبال السفراء ومراتبهم وإقامتهم ومعاملتهم ومنحهم المزايا والحصانات الضرورية ، وكان الجانب السلبي من الممارسة الدبلوماسية لدى الإمبراطورية الرومانية الموحدة هو الغالب فكانت قائمة على القوة والهيمنة والتسلط على الشعوب الأخرى ومعاملة مبعوثيها معاملة السيد للعبيد ، وشهدت الدبلوماسية تدنياً في أساليب التعامل والهيمنة ، فقد طور الأباطرة أساليب جديدة مليئة بالمكر والدهاء.

وفي الحضارة البيزنطية طور أباطرتهم جهازاً منظماً للشؤون الخارجية ، وأدخلوا مهمة جديدة للدبلوماسية وهي مهمة جمع المعلومات إلى جانب المهمتين الرئيسيتين: التمثيل والمفاوضة. وقاموا بتدريب عناصر متميزة على العمل الدبلوماسي حيث ظهر

لأول مرة في التاريخ الدبلوماسي المحترف ، وظهرت معه السفارات الدائمة حيث كانت مهام الدبلوماسي تتطلب بقاءه مدة طويلة في البلد الموفد إليها ، كذلك طور البيزنطيون أصول الممارسة الدبلوماسية واهتموا بوسائل البروتوكول والمراسم والاحتفالات وانشأوا إدارة خاصة لهذه الأمور، ولجأوا أيضاً إلى وسائل الزيف والخداع والرشوة والنفاق من أجل إشاعة الفرقة بين الدول المجاورة ، وإيهامها بقوة الدولة البيزنطية ومنعتها . فكانوا عند استقبال سفراء الدول الأخرى يقيمون احتفالاً عسكرياً كبيراً تمر فيه القوات المسلحة حاملة أسلحتها، ثم تدخل بباب وتعود فتخرج من باب آخر حاملة أسلحة أخرى بقصد إيهام السفير بأنها وحدات عسكرية جديدة[1].

وفي العصور الوسطى وفي الأقاليم الإيطالية حدث اهتمام كبير بالمراسم الدبلوماسية أو البروتوكول ، قام حينها نيقولو ميكيافيلي عام ١٥١٣م بإصدار كتاب سماه ((الأمير)) بيّن فيه الكثير من الحيل الدبلوماسية والمراسم التي تتناقض مع الأخلاق والقيم في سبيل السلطة ، ومن المسائل التي وردت في الكتاب: أن يثبت الحاكم سلطته محلياً ودولياً دون أن يكون للأخلاق دخل في ذلك ، وللحاكم أن يكذب في سبيل تثبيت دعائم حكمه ، كما له أن يغدر ويخون ويخدع غيره ، وقد تأثرت كثير من الدول آنذاك بهذا الكتاب ؛ فانتشرت الرشوة للحصول على المعلومات ، وكذلك انتشرت سرقة الوثائق المهمة وكثر العمل السري ، وتأكدت قاعدة أن الغاية تبرر الوسيلة والواسطة.

وفي عام ١٨١٥م. استقرت مراسم مسألة تسوية أقدمية المبعوثين في اتفاقية فينا وقسمتهم إلى السفراء وممثلي البابا والوزراء المفوضين والوزراء المقيمين والقائمين بالأعمال، وقد وضع نظام تقديم أوراق الاعتماد بشكل مقبول.

(١) للتوسع انظر: د. محمود خلف، الدبلوماسية، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٨٩م؛ وجمال بركات، الدبلوماسية، الرياض ١٩٨٥م؛ وهارولد نيكسون، الدبلوماسية، ترجمة وتعليق وتقديم/ محمد مختار الزقزوق، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٧م.

المطلب الثالث

الدبلوماسية المعاصرة

تعد الدبلوماسية المعاصرة استمراراً للعلاقات الإنسانية عبر التاريخ بين الأفراد والجماعات والدول ، ومظهراً من مظاهر تقدم التفكير البشري الحضاري ، فصاغ العقل الإنساني قواعد وسنّ قوانين شكلت أرضية تمثلتها الدبلوماسية العالمية ومن أهمها:

أ – **الإفادة من التطورات العالمية في تطوير الأساليب الدبلوماسية** ، فتطور الاتصال استلزم تطوير الأداء الدبلوماسي ، لأن كل شيء أصبح ميسور المعرفة مما دفع باتجاه تطور الأساليب الدبلوماسية المتعلقة بالمراسم أو البر وتوكول.

ب – **الإفادة من تداعي وانهيار الاستعمار القديم**، في إسباغ الفعالية على الممارسة الدبلوماسية ، ولا شك أن الاستعمار الذي كانت تمارسه الدول الأوربية على كثير من دول العالم كالهند ومصر والسودان والمغرب العربي وبلاد الشام ودول أميركا اللاتينية وأفريقيا وآسيا كان هذا الاستعمار – إذ يستند إلى مبدأ القوة العسكرية – عقبة في سبيل تطور النشاط الدبلوماسي ؛ ولذا فإنه ما إن رحل الاستعمار عن هذه الدول حتى حدث تطور في الممارسة الدبلوماسية فيها.

ج – **الإفادة من انتهاء الحرب العالمية الثانية**، وإنشاء محضن عالمي لممارسة الدبلوماسية الراقية ، متمثلاً بالجمعية العامة للأمم المتحدة التي أرسى ميثاقُها مبادئ دبلوماسية منها: اتباع الدبلوماسية العلنية ، ونبذ المعاهدات السرية ، ومنح الشعوب حق تقرير المصير ، وتحسين العلاقات الدولية ، والاعتراف بالمساواة في السيادة وتأكيد حق وحصانة المبعوثين الدبلوماسيين ، واحترام الرأي العام العالمي.

وقد ساعد على بلورة المبادئ الدبلوماسية عدة عوامل من أهمها: التطور التكنولوجي، وتطور الاتصال والمواصلات، وانتشار الفكر الحر، وقوة تأثير الرأي العام المحلي والعالمي، وضخامة تأثير وسائل الإعلام، وظهور التكتلات

الاقتصادية، والوحدة والأوروبية والاتحادات الإقليمية، وسرعة نقل الأخبار، وانتشار العولمة التي أصبحت حقيقة دولية، وانهيار الاتحاد السوفياتي وتفككه وظهور فكرة القطب العالمي الأوحد متمثلاً بالولايات المتحدة الأميركية وظهور نماذج دبلوماسية جديدة منها:

١ – دبلوماسية المؤتمرات.
٢ – المنظمات الدولية الإقليمية.
٣ – دبلوماسية الهيئات الشعبية.
٤ – الوفود البرلمانية والثقافية.
٥ – الجمعيات المدنية والأهلية.
٦ – ظهور دبلوماسيات الملوك والمبعوث الخاص.
٧ – عقد مؤتمرات القمة.

د – الإفادة من الوسائل الحديثة المتاحة:

١ – مباشرة الدبلوماسية أحياناً من خلال الملك أو رئيس الدولة.
٢ – اعتماد دبلوماسية القمة.
٣ – اهتمام بدور وزير الخارجية.
٤ – اعتماد الدول نظام المستشار الخاص للملك أو رئيس الدولة وتوسيع نطاق دوره الدبلوماسي .

هـ – الإفادة من الأجهزة التنفيذية:

وزارة الخارجية هي الجهاز التنفيذي الأول للدبلوماسية، ومن اختصاصات وزير الخارجية:

١ – الاشتراك في وضع السياسة الخارجية.
٢ – الإشراف على العلاقات الدولية عن طريق تمثيل بلاده في الخارج لدى الحكومات والمنظمات الدولية وغيرها، وبواسطة تنظيم التمثيل الدبلوماسي والقنصلي مع الدول الأخرى.

٣ – التعريف ببلاده في الخارج لدى الدول الأخرى.

هذه هي مهام وزير الخارجية، أما مهام وزارته فتتمحور حول تنظيم الإدارات التي تهتم وتعتني بجميع أوجه النشاط الدولي ، ومثالاً على ذلك وزارة الخارجية والكومونولث البريطانية التي نُظمت تنظيماً عالمياً ، وفيها ٥٩ إدارة من أهمها: إدارة الإسكان، وإدارة مراقبة ونزع السلاح، وإدارة التبادل الثقافي، وإدارة الدفاع، والإدارة المالية، وإدارة الشؤون الإدارية للإعلام وإدارة الأنباء، وإدارة خدمات الإفراد، وإدارة المنظمات الغربية.

و – الإفادة من نظام تشكيل البعثة الدبلوماسية:

حيث تتكون البعثة الدبلوماسية من رئيس البعثة، ومعاوني رئيس البعثة من مختلف الدرجات الدبلوماسية ، إضافة إلى ذلك تضم البعثة مكاتب فنية منها: المكتب العسكري والمكتب التجاري والمكتب الثقافي والمكتب الصحفي، إضافة إلى مكاتب أخرى كالمكتب العمالي والصناعي والزراعي والعلمي والصحي والسياسي.

هذا ويوجد لكل دولة نظامها الخاص بالهيكل الوظيفي لنظام السلك الدبلوماسي.

ز – الإفادة من جوهر عمل الدبلوماسي ومهامه:

ومن أهم وظائفه كما ورد في نص المادة الثانية من اتفاقية فيينا لعام ١٩٦١م وظيفة تمثيل الدولة ورعاية مصالح الدولة وفق وسائل ودية أو غير ودية.

ومن الوسائل الودية: المفاوضات والمساعي الحميدة والتحقيق والوساطة والتوفيق والتحكيم والتسوية القضائية.

ومن الوسائل غير الودية: استدعاء السفير أو سحبه ، وقطع العلاقات الدبلوماسية وسحب الرعايا ، وطرد رعايا الدول الأخرى ، وتجميد الأرصدة وتجميد العلاقات التجارية والحصار والاقتصادي.

دور القنصليات في رعاية مصالح المواطنين وعمل الدبلوماسيين :

للقنصليات دور هام في رعاية مصالح المواطنين في الخارج ورعاية المصالح التجارية ، هذا والدبلوماسي سواء كان سفيراً أو قنصلاً أو غيرهما مكلف بكتابة تقارير لها مصادر علنية وسرية واتصالات شخصية ، ولا بد أن يكتب التقرير بقدر كبير من الوضوح والتركيز والموضوعية والشمول والأمانة والتحليل ، كما ينبغي أن يُراعى في هذه التقارير التوقيت الصحيح والسرعة ومواكبة الأحداث الجارية .

دور الاتصالات والمفاوضات الدبلوماسية :

إن للاتصالات والمفاوضات الدبلوماسية دوراً هاماً وخطيراً في العلاقات الدولية وتعد المكاتب الدبلوماسية من الوسائل العادية للاتصال وأيضاً المكاتبات ، ولها مظاهر عدة منها: الكتاب الرسمي والمذكرة المكتوبة والمذكرة الشفوية والمفكرة المساعدة والمفكرة الشارحة. هذا وتلعب المفاوضات الرسمية وشبه الرسمية دوراً هاماً في الحياة الدبلوماسية. ويجب على الدبلوماسي مراعاة الواجبات الاجتماعية بغرض تعزيز العلاقات الودية مع الدول الأخرى والحصول على المعلومات ونشر ثقافة بلده والتعريف بها ، وعادة ما تتبع لتحقيق هذه الغاية مراسم ودعوات خاصة.

المطلب الرابع

امتيازات الدبلوماسيين وحصاناتهم في القانون الدولي

مما لا شك فيه أن الرجل الدبلوماسي هو شخص غير عادي بل هو شخص يتمتع بصفات وخصائص وصفات عديدة غير موجودة في غيره، فعلى الصعيد الشخصي يتمتع بالذكاء الحاد والكياسة والحكمة والهدوء ، وعلى الصعيد الاجتماعي يتصف باللباقة وحسن الخلق وحسن التصرف والمرونة والتحفظ مع الكتمان والقدرة على التوفيق والمواءمة. إضافة إلى هذه الخصائص الشخصية والاجتماعية التي يتمتع بها

الدبلوماسي، فإن القانون أعطاه امتيازات كثيرة وحصانة تمكنه من أداء واجباته وفقاً لمعيار التعاون الدولي المتبادل ، وأصبحت هذه الامتيازات والحصانات من مقتضيات ومتطلبات الأعمال الوظيفية للمبعوث الدبلوماسي. وهذا ما أكدته اتفاقية فيينا لعام ١٩٦١م في ديباجتها حيث نصت على أن: "مقصد هذه الامتيازات والحصانات ليس إفادة الأفراد بل ضمان الأداء الفعال لوظائف البعثات الدبلوماسية بوصفها ممثلة للدول، وأكدت على ضرورة استمرار قواعد القانون الدولي العرفي في تنظيم المسائل التي لم تنظمها صراحة هذه الاتفاقية". وفي هذا البحث نذكر أهم هذه الحصانات والامتيازات التي أعطيت للمبعوثين الدبلوماسيين ومقراتهم الرسمية.

ومنها: أن الحصانة تقتضي توفير الملجأ السياسي أي للاجئ السياسي الحق في الاحتماء بدار البعثة الدبلوماسية السفارة أو القنصلية وتأمين سلامته ؛ لأن اللاجئ السياسي ليس مجرماً هارباً من العدالة بل هو مفكر مخالف في الرأي أو الفكر، يلجأ للبعثات الدبلوماسية الأجنبية هرباً من البطش والانتقام والتصفية الجسدية.

ومنها: أن الحصانات والامتيازات الدبلوماسية ليست مطلقة وإنما لها مدة معينة تنتهي بانتهائها، أي أنها تبدأ بعد التعيين وحين دخول حدود الدولة المبعوث إليها الدبلوماسي سواء كان رئيساً للبعثة أو عضواً فيها، وذلك وفقاً للمادة ٣٩ من اتفاقية فيينا لعام ١٩٦١م. وتنتهي هذه الحصانة بعد انتهاء مهمته الدبلوماسية لحين خروجه ومغادرته الإقليم المبعوث إليه.

ومنها: أن من حق الدبلوماسي أن يعامل برفق أثناء عبوره دولة ثالثة من مقر عمله أو إليه أثناء المرور البري له ولأسرته حسب اتفاقية هافانا لعام ١٩٢٨م. بشرط إخبار دول المرور وأن يكون الإخبار رسمياً. ونصت المادة ٤٠ من اتفاقية فيينا آنفة الذكر لعام ١٩٦١م . على أن تقوم الدولة الثالثة بمنح هذه الحصانة الشخصية وعدداً آخر من الحصانات التي يتطلبها ضمان مرور الدبلوماسي أو عودته بشرط أن يحمل

جوازه سمة تؤكد صفته الرسمية وأن يكون ماراً بالإقليم الثالث وأن يتعلق ذلك بتولي منصبه أو انتهاء مهامه أو أعمال رسمية بينهما.

ومنها: أن الحصانة تشمل جميع الأشخاص الذين يحق لهم التمتع بها وهم: رئيس البعثة وأفراد أسرته، والموظفون الإداريون والفنيون العاملون بالبعثة بشرط ألا يكونوا من مواطني الدولة المعتمدة لديها البعثة، وبشرط ألا يكونوا مقيمين فيها إقامة دائمة، ومستخدمو البعثة بالشرطين السابقين وكذلك موظفو البعثة الآخرون.

ومنها: تنوع وتعدد الحصانات وهي التالية:

حصانة تقتضي الحماية الشخصية، وحصانة حرية المخابرة والاتصال بأي مكان، وصيانة الاتصال بالرسائل الرمزية والدبلوماسية والحقيبة الدبلوماسية، وحصانة حرية الانتقال فيما عدا المناطق المحظورة والمحمية إلا بعد الحصول على إذن مسبق. وحصانة الإجراءات القضائية فيعفى من القضاء الجنائي لذا لا يجوز للسلطات المحلية القبض على الدبلوماسي أو توقيفه أو احتجازه أو تقديمه للمحاكمة، وقد أوردت اتفاقية فيينا لعام ١٩٦١م. في المادة ٣١ ثلاث حالات استثناء على مبدأ الإعفاء من القضاء المدني :

الحالة الأولى: بعض الدعاوي بشرط أن تكون دعاوي عينية عقارية أو خاصة أو كانت في إقليم الدولة المعتمدة لديها ، وأن لا تكون الحيازة لها بالواسطة من الدولة المعتمدة لاستخدامها في أغراض البعثة.

الحالة الثانية: بعض دعاوي الأحوال الشخصية وهي: دعاوي الإرث والتركات.

الحالة الثالثة: الدعوى المتعلقة بالنشاط المدني والنشاط التجاري.

وحصانة الإعفاء من أداء الشهادة فلا يستدعى ، ولكن له الحق في الإدلاء بها اختيارياً دون جبر أو طلب. وحصانة الإعفاء من الضرائب سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة. وحصانة الإعفاء من الرسوم الجمركية للمواد الخاصة بالاستعمال الشخصي والرسمي ، ويستثنى من هذا الإعفاء تكاليفُ التخزين والنقل والحراسة وأقساط التأمين.

المبحث الثاني

البروتوكول أو المراسم (التشريفات)

بعد أن تحدثنا عن الدبلوماسية التي تعد جزءاً من تعريف البروتوكول كما بينا سابقاً عندما قلنا إن البروتوكول هو نظام التشريفات الدبلوماسية والعسكرية ، لابد لنا الآن من الشروع في الحديث عن التشريفات نفسها أو المراسم. ونبدأ بتعريف المراسم أو التشريفات أو البروتوكول من باب إطلاق الجزء على الكل أو الكل على الجزء فنقول:

المطلب الأول
التعريف بالمراسم

تعرف المراسم بأنها دستور التعامل وفن التعايش مع الآخرين ، وتعرف أيضاً بأنها القوانين والقواعد والعادات والأعراف التي تنظم بمقتضاها الاحتفالات ذات الطابع الرسمي بالنسبة للملوك ورؤساء الدول، والدبلوماسي بالنسبة لأعضاء السلك الدبلوماسي والمنظمات الدولية، والاجتماعي بالنسبة للمؤسسات والأفراد والجمعيات[1].

ويشرف على تطبيق المراسم مسؤول غير عادي يتمتع بالذكاء والإحساس المرهف ، والذوق الرفيع والملاحظة الدقيقة ، وسرعة البديهة والتحرك السريع ، وحسن التصرف والكياسة والبشاشة واللباقة والأناقة.

هذا وتحتاج الممارسة اليومية لشؤون المراسم لعدة قواعد أساسية منها: احترام تراث التجارب، ومراعاة ظروف كل بلد على حدة، والممارسة الهادئة، وعدم الإفراط أو التفريط، والتناغم مع الظروف المجتمعية العالمية، والاهتمام بالحياة اليومية المعاصرة، وعدم تجاوز المألوف، وتناسي الضغائن بين الدول والاحترام المتبادل.

(١) للتوسع انظر: المراسم للسفير صلاح عبوس، مكتبة مكة.

المطلب الثاني
إدارات شؤون المراسم في كل دولة

يوجد في كل دولة إدارات مختصة تتولى شؤون المراسم، وتنحصر في ثلاث إدارات:

الأولى: إدارات التشريفات في القصر الملكي أو في رئاسة الدولة أو في رئاسة الجمهورية أو السلطنة أو الإمارة.

الثانية: إدارة المراسم في رئاسة الحكومة.

الثالثة: إدارة المراسم في وزارة الخارجية.

وتختلف صلاحيات هذه الإدارات بحسب القواعد البروتوكولية في كل دولة من دول العالم وخاصة في الدول الغربية.

وتتشعب هذه الصلاحيات تبعاً لما إذا كان الملك أو الرئيس أو الأمير أو السلطان هو رمز الدولة وممثلها الأول ، وبذلك يحظى بأرقى المراسم وأهمها: مراسم اعتلاء العرش، ومراسم استقبال وتوديع الملك، ومراسم الاحتفال الرسمي للملوك والرؤساء والزوار، وإعداد برنامج زيارة ملك أو رئيس دولة أجنبية، وإعداد الرسائل والبرقيات الجوابية، وتنظيم مراسم تقديم أوراق اعتماد السفراء الجدد، وتنظيم مراسم حلف اليمين للسفراء المبعوثين، والإشراف على مراسم الاحتفالات التي يحضرها الملك، وتنظيم الزيارات التي تقوم بها الشخصيات العالمية للملك، وإعداد ترتيبات إقامة المآدب، وتنظيم سجل التشريفات، هذا على صعيد إدارة المراسم في القصر الملكي أو الرئاسي أو الأميري أو السلطاني.

أما صلاحيات إدارة المراسم في رئاسة الوزارة فمن أهمها الأمور التالية: تنظيم مراسم استقبال رؤساء الحكومات الأجنبية، وتنظيم مراسم توديع رؤساء

الحكومات الأجنبية، وإعداد البرقيات والرسائل الواردة من الشخصيات العالمية أو المرسلة إليهم، وتنظيم المقابلات للزوار بناء على موعد سابق باستثناء رئيس المجلس النيابي أو مجلس الشورى ورئيس الوزراء.

إضافة إلى ذلك توجد اختصاصات مشتركة بين إدارة التشريفات في القصر الملكي وإدارة المراسم بوزارة الخارجية، وكذلك يوجد اختصاصات مشتركة مع إدارة المراسم بوزارة الخارجية في الدول الغربية.

وبقي أن نتحدث عن صلاحيات إدارة المراسم في وزارة الخارجية. تعد إدارة المراسم في وزارة الخارجية عنصراً مشتركاً في سائر المراسم والتشريفات وتعمل على تطبيق قواعد الأسبقية حسب اللوائح الخاصة بكل دولة ، ولهذه الإدارة دور هام بالنسبة للبعثات الدبلوماسية الأجنبية إذ إنَّ لها وظائف تمثيلية أو إدارية أو إعلامية أو تشريفية أو دولية.

فمن الوظائف التمثيلية التي تقوم بها هذه الإدارة ، تمثيل وزارة الخارجية لدى كافة البعثات الدبلوماسية في كل الظروف والأحوال والمناسبات.

ومن الوظائف الإدارية: إنجاز كافة المعاملات الخاصة بترشيح وقبول السفراء الأجانب الجدد، واستقبال كل السفراء ورؤساء البعثات الدبلوماسيين الجدد، وتوديع كافة السفراء ورؤساء البعثات الدبلوماسية عند مغادرتهم البلاد نهائياً، وتقديم كافة السفراء الجدد إلى وزير الخارجية الذي يقوم باستلام نسخة من أوراق اعتمادهم، وتسليم كل السفراء الجدد البيانات المفصلة عبر مراسم تقديم أوراق الاعتماد إلى الملك أو رئيس الدولة أو رئيس الجمهورية مشفوعةً بلائحة الزيارات الرسمية التي يقوم بها بعد تقديم أوراق اعتماده، واصطحاب السفراء الجدد في السيارات المخصصة للمراسم عند تقديم أوراق اعتمادهم، وتجديد أرقام لوحات السيارات الدبلوماسية للسفراء وأعضاء البعثات الدبلوماسية، وتزويد كافة السفارات كل مدة

معينة هي في العادة أربعة أشهر بلائحة تتضمن صورة العلم الوطني ونوتة موسيقية للنشيد الوطني وعنوان السفارة شاملاً أرقام الهاتف والتلكس والفاكس والموقع على شبكة الإنترنت والبريد الإلكتروني وكل ما يسهل الاتصال، وأسماء كافة أعضاء البعثات الدبلوماسية وعناوينهم فضلاً عن تاريخ مباشرة كل منهم عمله، ولائحة الأسبقية الخاصة بالسفراء ورؤساء البعثات، وأسماء وأعضاء الهيئات القنصلية وعناوينهم.

ومن الوظائف ذات الصبغة الدولية البحتة: معالجة سائر شؤون الحصانات الدبلوماسية والامتيازات والإعفاءات، وتزويد السفارات كل أربعة أشهر بلائحة بالمنظمات الإقليمية والدولية مع بيان أسماء أعضائها وعناوينهم.

ومن الوظائف التشريفية: إنجاز المعاملات الخاصة بترشيح وقبول السفراء الأجانب الجدد ، وتزويد وزير الخارجية مسبقاً بنبذة عن السفير وعن بلاده وبنسخة من الخطاب الذي سيلقيه لحظة تقديم أوراق اعتماده إذا كان يريد إلقاء خطاب. إضافة إلى هذا الدور الذي تقوم به إدارة المراسم في وزارة الخارجية بالنسبة للبعثات الدبلوماسية الأجنبية لابد من الإشارة إلى الدور الذي تنجزه بالنسبة للبعثات الدبلوماسية المحلية. وهذا الدور يتجلى بإعداد وثائق محددة لأعضاء البعثات الدبلوماسية المحلية التي سيتم اعتمادها في الخارج ، ومن ذلك المحاضر الخاصة بحلف اليمين للسفير المحلي قبل أن يسافر إلى الخارج لاستلام عمله، والبراءة القنصلية للقنصل العام المعتمد في الخارج ، وكذلك الإجازة القنصلية للقنصل الأجنبي المعتمد محلياً، وإصدار جوازات السفر الدبلوماسية لأعضاء السلك الدبلوماسي، ومد سائر البعثات الدبلوماسية والقنصلية الموجودة في الخارج بجميع التعليمات والإرشادات المتعلقة بالمراسم، ولائحة تتضمن أسماء موظفي وزارة الخارجية وأسماء أعضاء البعثات والقنصليات المعتمدة في الخارج مع ذكر جميع عناوينهم، وإنجاز كافة

المعاملات الخاصة بالسفراء ورؤساء البعثات التي تتعلق بترشيحهم، وموافقة الدولة المعتمدة لديهم.

المراسم المتبعة بالنسبة للملوك ورؤساء الدول أو الجمهوريات:

من أهم هذه المراسم التنسيق مع سفير الدولة المراد زيارتها لوضع برنامج الزيارة الذي يتضمن تفاصيل الزيارة والترتيبات المتعلقة بها .

ففيما يتعلق بالزيارة فلابد من بيان: أيام الزيارة والبرنامج المعد لها ، وأسماء الشخصيات التي ترافق الضيف ، وأسماء بعثة الشرف المحلية التي ستقوم بمرافقة الضيف.

أما فيما يخص الترتيبات فإنها كثيرة ومتنوعة وأهمها: تزيين ساحة المطار بالأعلام الوطنية وبأعلام دولة الضيف، وتزيين الشوارع التي سيمر بها موكب الضيف بأعلام البلدين، واستقبال الضيف من قبل نظيره، وصعود سفير دولة الضيف مع رئيس إدارة التشريفات في الدولة المضيفة إلى الطائرة للترحيب بالضيف، وإطلاق المدفعية إحدى وعشرين طلقة ترحيباً بالضيف، والتصافح والتوجه لمنصة الشرف، وعزف السلام أو النشيد الوطني لدولة الضيف ثم دولة المضيف بعد ذلك، واستعراض حرس الشرف، وتحية العلم، ومصافحة رئيس الحرس، ومصافحة المستقبلين، ودخول الضيف والمضيف إلى قاعة الشرف لتناول المرطبات ومغادرة المكان بسيارة المضيف وسط ركب حافل، ومغادرة المضيف مقر استراحة الضيافة، وقيام الضيف بتوديعه عند مدخل المقر، وإقامة المضيف حفل عشاء للضيف.

المبحث الثالث

آداب السلوك وقواعد البروتوكول في الغرب

تنحصر قيم السلوك الاجتماعي والبروتوكول الدبلوماسي ، بثلاثة أمور رئيسية مستقاة من المبادئ الإنسانية والدينية وهي : الاحترام والذوق والنظام وتمثل هذه المبادئ كيفية التعامل والتعايش بين الفرد وبقيّة أفراد المجتمع الواحد وبينه وبين الأفراد في المجتمعات الأخرى جاعلة منه شخصاً محبوباً في بيئته ومحترماً بين الناس من الشعوب والأجناس الأخرى.

يقول المهتمون والدارسون والباحثون: إن قواعد البروتوكول أو الاتيكيت تضم مجموعة القواعد والمبادئ المكتوبة أو غير المكتوبة، التي تنظم المجاملات والأسبقية ومختلف المناسبات والحفلات والمآدب الرسمية والاجتماعية[1].

وتبرز هذه القواعد الأخلاقَ الحميدة التي تجمع بين الفهم الجيد ، والأصالة في العمل ، والبساطة في التصرف ، والذوق السليم في التعامل مع الآخرين.

المطلب الأول
قواعد البروتوكول وآداب السلوك

المجاملةُ من أهم قواعد البروتوكول وآداب السلوك في العالم ، ويقصد بها التأدب الشديد في معاملة الغير ، وتتضمن الإخلاص والبساطة وصدق المشاعر. وعند القيام بواجب المجاملة لابد من مراعاة الأمور التالية: عدم التباهي أمام الغير، وعدم الإلحاح بالسؤال ، والاكتفاء بالتعبير عن المشاعر بكلمة رقيقة موجزة، وعدم الإسراف في تكاليف الضيافة ، وعدم الضغط على الضيف ، وعدم التردد في قبول

(١) للتوسع انظر: البروتوكول الدبلوماسي والاجتماعي، الطبعة الأولى، دار المستقبل العربي ١٩٨٧م، حسن كامل.

المجاملة من شخص آخر عند الدخول أو الخروج أو الصعود أو الركوب ، وعدم الإلحاح في تقديم المساعدة لشخص ذي عاهة أو مسن، وتدوين تواريخ المناسبات وأسماء وعناوين الأشخاص الذين ترغب في تهنئتهم ، ومراعاة إرسال بطاقات التهاني، والمبادرة إلى الرد على التهنئة.

المطلب الثاني
الأسبقية

يراد بالأسبقية البروتوكولية مراعاةُ الأولوية بين الشخصيات الدولية الدبلوماسية والحكومية والعاملين في الهيئات الرسمية ، استناداً إلى القواعد والأعراف الدولية والمحلية.

ويرى المختصون أن نظام الأسبقية يطبق في الأحوال التالية: بين الدول والملوك والرؤساء ، أو بين الممثلين الدبلوماسيين والسياسيين للدول الأجنبية، وفي المآدب والحفلات ومقاعد السيارات والأسبقية في السير، والأسبقية على الموائد والأسبقية عند المقابلة والتحية.

المطلب الثالث
التعارف والمصافحة

أولاً : التعارف:

بواسطة التعارف يستطيع الإنسان أن يكتسب الصداقات ويكتشف الثقافات في مختلف البيئات ، إلا أنه ليس من المستحسن إجراء التعارف في المناسبات غير السارة لاعتبارات عاطفية قد تؤدي إلى نتيجة عكسية ، لأن القصد من المتعارفين إقامة علاقات طيبة وفرحة فيما بينهم لا يستدعيها المقام.

قد يحدث التعارف بواسطة طرف ثالث ، وفي المناسبات الرسمية يجب على من يقدم شخصاً لآخر أن يكون واثقاً من رضاء الطرفين بهذا التعارف ، كما أنه قبل تقديم شخص لآخر كبير في السن أو المقام يجب استئذانه، ويجب استشارة السيدة قبل تقديم شخص إليها لأنه قد تكون هناك أسباب مانعة من التعارف خاصة بها.

أما في المناسبات العادية فللمضيف حريةُ تقديم بعض الضيوف لبعض، وبالنسبة للشخص الوافد على جماعة في اجتماع خاص يقدم إلى الحاضرين باسمه ووظيفته وصفته ، وفي الدول الأوروبية تقوم المضيفة بمهمة التعارف بين المدعوين.

وإذا أراد شخص أن يتعرف على شخص كبير المقام فإنه يلجأ إلى وساطة شخص معادل له في المقام أو قريب من ذلك ، ويتولى السكرتير الخاص لأحد المديرين أو الرؤساء تقديم الوافدين لمقابلته ، وإذا كنت برفقة شخص وقابلت شخصاً ثالثاً يجب أن تبادر بتعريف كلٍّ منهما بالآخر بادئاً بالأصغر سناً أو مقاماً.

ولابد من تبادل الحديث عقب التعارف ، هذا بالنسبة للتعارف بواسطة طرف ثالث ، أما التعارف بدون وسيط فهناك آداب خاصة بذلك أيضاً يجب اتباعها ومنها: أن يقدم نفسه بالاسم والصفة منذ دخول حفل رسمي ، ويصافح من يكون في صف الاستقبال. وأن يبدأ الأصغر سناً أو مركزاً بتقديم نفسه إلى الأكبر منه والتحية بالابتسامة والتحفظ تجاه من يتحدث إلينا من الغرباء.

ثانياً: المصافحة:

تعد المصافحة وسيلةً من وسائل تأكيد وتوثيق الروابط بين الأشخاص على الصعيدين الرسمي والشعبي ، وهي تجسيد للتسامح والترحيب والروح الرياضية. وغالباً ما تختم اتفاقاتُ الصلح بالمصافحة تعبيراً عن حلول التسامح محل النزاع.

وللمصافحة آداب عامة منها أن تجري وقوفاً بين الرجال ، ولا تقف السيدة أو الآنسة الجالسة لذلك إلا لاعتبار قوي، وعدم التعجيل بمد اليد لمصافحة سيدة أو من هو أكبر سناً أو مركزًا. وفي اللقاء المشترك تبدأ السيدات أولاً بالمصافحة بينهن ثم يصافحهن الرجال، وعدم المصافحة عند الانصراف من حفل استقبال أو وليمة، بحيث لا يجب مصافحة كل المدعوين ، وتسليم الجائزة باليد اليسرى والمصافحة باليد اليمنى عند تسلم شخص جائزة أو شهادة.

ثالثاً: طريقة المصافحة:

ولطريقة المصافحة قواعد ، منها أن تكون اليد عند تقديمها للمصافحة مفتوحة على نحو طبيعي دون ليونة أو شدة مع التأكد من جفاف راحة اليد قبل المصافحة، وكون العينين في اتجاه الشخص الذي تصافحه، والمسارعة إلى مد اليد إلى اليد الممدودة إليها لأنَّ رفض مد اليد أو تقديم طرف الأصابع يعتبر من الإهانات التي تتنافى مع الذوق وتدعو إلى السخط والاشمئزاز.

رابعاً: يد السيدات:

يوجد في الغرب عادة تقبيل يد السيدة في بعض المناسبات وليس في جميع الحالات ، وطريقة تقبيلها تقتضي رفع يد السيدة حتى تصل إلى عينيه كأنه يتفحص خاتماً في أصابعها ، ولا يقبل الرجل يد سيدة متزوجة إلا إذا كانت ذات مركز اجتماعي مرموق ، ولا يجوز تقبيل يد السيدة في الطريق العام ، وبالنسبة لمن لا يحبذ هذه العادة فإنه يقف وقفة انتباه ويحني الرأس قليلاً ويصافحها عندما تقدم له يدها ليقبلها ، إلا أن هذه العادة لا تنطبق على الدبلوماسي المسلم لأنه ليس لها أساس في الدين الإسلامي والعادات العربية.

خامساً: آداب أخرى:

هذا ويوجد في الغرب آداب خاصة بمعاملة السيدات ، تبين مستوى تربية الفرد ومعرفته بآداب السلوك المتبعة مع المرأة. وتمارس هذه الآداب مع المرأة أثناء

الولائم والاستقبالات والأمكنة العامة وفي الطريق وفي وسائل المواصلات ، ومن هذه الآداب المتبعة مع المرأة في وسائل النقل مثلاً: فتح الباب للسيدة لتصعد أولاً ، وعند النزول تسبق ليفتح لها الباب وصعود السيدة إلى السيارة من الجانب الأيمن وصعود الرجل من الجانب الأيسر ليجلس إلى يسارها ، واستئذانها في حالة الجلوس بالمقعد المجاور لها ، أو إذا أراد أن يفتح النافذة أمامها. ومعاونة السيدة التي تحمل الحقائب عند تحميلها وعند إنزالها. وإخلاء المقعد لسيدة من قبل الجالس في مركبة.

ومن الآداب الأخرى المتبعة في الغرب آدابٌ خاصة بتبادل الهدايا ومنها: تقديم الهدية مع بطاقة التهنئة ولا يشترط أن تكون الهدية باهظة الثمن ، وعدم فتح الهدية عند تلقيها من شخص أثناء وجود آخرين وعرضها عليهم ، أما إذا لم يكن يوجد آخرون فيجب فتحها فوراً تكريماً لصاحبها. أما إذا كانت الهدية من الحلوى فيجب فتحها.

ومن هذه الآداب الأخرى آداب خاصة بالضحك والابتسام وقسموا الضحك إلى صريح وثقيل مزعج ومصطنع ومكتوم وجنونيٍ ، والمقبول من هذه الأنواع الضحكة الصريحة التي لا يرتفع صوتها.

أما الابتسامة فهي - بالنسبة لرجل الأعمال - الصاحبُ الذي لا يفارق ؛ حتى إن بعض رجال الأعمال يكتب عبارة : حافظ على الابتسام. وتعد إحدى ضرورات الاستقبال والتوديع ، وعند التحية بشكل عام.

المطلب الرابع
إعداد الولائم

تقام أنواع كثيرة من الولائم والحفلات في المناسبات الاجتماعية والسياسية والأعياد القومية والدينية. ولهذه الولائم والحفلات ضوابط وأصول هي من التقاليد

المرعية في البروتوكول والمراسم باعتبارها وسيلة فعالة للتعارف وتعزيز الصلات بين الأفراد والهيئات. وتشمل هذه الولائم والحفلات تلك التي تقيمها الدولة لضيوفها من ملوك ورؤساء وشخصيات مرموقة بما فيهم رؤساء البعثات الدبلوماسية.

ومن أهم المبادئ التي يجب مراعاتها والالتزام بها الأمور التالية: الاحتفاظ بتواريخ المناسبات ، والاحتفاظ بقوائم تحديد المدعوين وصفاتهم ، وعدم حمل السكين والشوكة عند التوقف قليلاً عن الأكل، وغسل أصابع اليد بإناء صغير خاص بذلك بعد الانتهاء من الطعام للتهيؤ لتناول الحلوى ، وجوب التعرف على قائمة الطعام كي لا يتناول طعاماً لا يستسيغه.

ولتناول المأكولات طريقة خاصة يجب مراعاتها لا يسع هذا البحث ذكرها ، كما وأن للشراب وأكوابه تقاليد خاصة. هذا وتتضمن قائمة الطعام في المآدب الرسمية ألواناً خاصة من الطعام منها على سبيل المثال: الكافيار والحساء والسمك والطيور والسلطات والحلويات والمثلجات والفاكهة والقهوة والشاي مع مراعاة الأصناف التي تناسب أذواق المدعوين.

المطلب الخامس

مراسم رفع وتنكيس الأعلام

يمثل العلم بشكله وألوانه شعار الدولة ورمز استقلالها وسيادتها ، ولرفعه وتنكيسه مراسم خاصة بكل نوع من أنواعه المتعددة وهي: العلم الوطني ، والعلم الشخصي لرئيس الدولة ، وأعلام القوات المسلحة ، وأعلام هيئة الشرطة ، وأعلام المنظمات ، وأعلام الدول التي ترفع على سفاراتها وقنصلياتها.

ونكتفي هنا بذكر ملاحظات عامة خاصة بالعلم الوطني يجب مراعاتها وهي التالية: عدم استخدام العلم الوطني علامة تجارية ، وعدم تركه يلامس الأرض ، ولا يجوز السير عليه ، ولا يجوز أن يعلو أيُّ علم عليه ، ولا يجوز استخدامه لغطاء موائد الاحتفالات أو منصات الخطابة ، ويجب إعدامه بالحرق في حالة اهترائه ، ويجب رفعه بطريقة لا تعرضه للتمزق ولا يكتب عليه شيء ولا تزين به الملابس ، والساري الذي يحمله لا يحمل معه غيره ، ويُرى العلم على الساري حتى نهايته ، وعند التنكيس يخفض لمنتصفه ، وعندما يكون مع أعلام أخرى يرفع أولاً وينزل آخراً ، ويجوز لفُّ الشهداء بالعلم الوطني على أن لا يمس الأرض ، ويجب حفظه في مكان أمين ، ولا ينكس علم رئيس الدولة مطلقاً إلا في حالة الحداد الوطني. كما أن علم المملكة العربية السعودية هو الوحيد الذي لاينكس ، لأن فيه (لا إله ‘لا الله محمد رسول الله) ولا يجوز تنكيسه .

هذا ونص القانون على عقوبة إهانة العلم الوطني ، ولا بد من الإشارة هنا إلى النشيد الوطني الخاص بكل دولة ، الذي يعزف في المناسبات الرسمية والقومية ، إضافة إلى شعارها الخاص بها الذي يطبع على صدر إداراتها ليميزها بالطابع الرسمي.

الفصل الخامس

مفهوم مراسم السلوك الإسلامي

الفصل الخامس

مفهوم مراسم السلوك الإسلامي

المبحث الأول

عموميات

أولاً : السلوك الاجتماعي جزء من الآداب الشرعية :

السلوك الاجتماعي وآداب اللياقة هما جزء لا يتجزأ من الآداب الشرعية الإسلامية ، وهذه الآداب هي طريق أخلاقيٌ من طرق هداية المسلمين ، من تمسك بها لا يضل في دنياه ، ولا يشقى في أخراه ، قال تعالى: ﴿ يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [1] . والآداب الشرعية هي الأحكام الأخلاقية التي شرعها الله تعالى في الكتاب أو السنة أو أجمع عليها علماء الأمة بعد وفاته ﷺ.

فمصادر الآداب العامة هي المصادر الأساسية للتشريع الإسلامي.

والسبب في ذلك أن الآداب العامة جزء من التشريع الإسلامي ، فلا انفصال في الإسلام بين الشريعة والعقيدة أو بين الأخلاق والشريعة والعقيدة ، وهذا هو الجانب الأساسي الذي يميز شريعة الله بأخلاقياتها عن كل أنظمة الأرض بمادياتها.

(والمجاملة ليست قواعد مكتوبة ، بل هي إحساس الشخص بأن ما يأتيه من تصرف سيدخل السرور والشعور بالرضى إلى نفس الغير ، والشخص الناجح في مجاملاته هو الذي يتمكن من أن يصل إلى قلب الآخرين ويحتل مكانة بين عواطفهم.

---

(١) سورة طه: ١٢٤ .

وقواعد البروتوكول إن دلت على شيء فإنما تدل على الخلق السليم القويم الذي يجمع بين الحسن والرقة والبساطة والجمال ، كما يمكن تعريف هذه القواعد بأنها فن الخصال الحميدة.

فالبروتوكول أو الإتيكيت هو مجموعة القواعد والمبادئ المكتوبة وغير المكتوبة التي تنظم المجاملات والأسبقية ، في مختلف المناسبات والحفلات والمآدب الرسمية والاجتماعية.

وتدل هذه القواعد والمبادئ على الخلق السليم القويم الذي يجمع بين الحسن والرقة والبساطة والجمال.

يمكن تعريف الإتيكيت على أنه فن الخصال الحميدة أو أنه المجاملة ، والمجاملة هي فن الإرضاء وهي الصفة التي تجد دائماً طريقها إلى كل قلب وتعطي فكرة حسنة عن صاحبها.

وهي تقوم على أساس أن يراعي المرء ويضع في اعتباره شعور وحقوق وأماني الآخرين.

والبساطة واللياقة والمجاملة والإخلاص من الصفات البارزة التي تدل على الأصل الطيب.

لذلك ينبغي تجنب الادعاء والتباهي لأنها عادات غير كريمة)[1].

والعلم بالآداب العامة يحقق سعادة الدارين ، لأن العلم أول مراتب العمل ، ومن علم وعمل ، فقد حقق المنهج الرباني في خاصة نفسه ، وتمسك بهدى نبيه ، واتبع طريق الخير ، ونأى عن طريق الشر.

(١) آداب السلوك في الإسلام الإتيكيت والبروتوكول ، كمال محمد علي – دار غريب للطباعة/ القاهرة ٢٠٠٠م.

والآداب الاجتماعية تحقق صحة الروح ، ورشد العقل ، وسلامة البدن؛ لأن الأدب هو جمع لكل خصال الخير في الإنسان ، لأنه أدب شامل يبدأ بالأدب مع الله تعالى ، فالأدب مع رسوله ﷺ ، ثم الأدب مع الخلق والأدب مع الله لا يكون إلا بثلاثة أشياء ، معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته ، ومعرفته جل شأنه بدينه وشرعه ، ومعرفته سبحانه بما يحب ويكره ويأمر وينهي. ثم إنه يلزم مع كل ذلك ، وجود نفس مستعدة ، قابلة ، لينة ، متهيئة لقبول الحق علماً وعملاً حالاً ومآلاً[1].

والأدب مع رسول الله ﷺ يكون بكمال التسليم له ، والانقياد لأمره ، وتلقي خبره بالقبول والتصديق والعمل بهديه ﷺ.

والأدب مع الخَلق يكون بحسن معاملتهم ، على اختلاف مراتبهم ، فللوالدين أدب خاص ، وللضيف أدب أخص[2] ، وهكذا فإن السلوك الاجتماعي وآداب اللياقة جزء لا يتجزأ من الآداب الشرعية.

والسلوك الاجتماعي: هو السلوك الرشيد القويم الذين يسلكه الإنسان مع ربه ومع هدى نبيه ومع الناس أجمعين ، وهو سلوك أخلاقي. قال ﷺ: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))[3] ، ومعنى ذلك من منظور الآداب الاجتماعية أن من أهداف بعثة الرسول ﷺ تنمية الإحساس الأخلاقي في بني البشر ، ووضعهم على طريق الكمال في التعامل ، وجعلهم يسعون في حياتهم على بصيرة ، وهكذا تتأكد الحقيقة التي أثبتناها آنفاً وهي أن العلاقة جد وثيقة بين الدين والأخلاق ، ولذا جاز لبعض الباحثين القول : إن الأخلاق هي دين تجسد في صورة قواعد للسلوك ، وكان

(١) مدارج السالكين : (٢/ ٣٨٧) .

(٢) مدارج السالكين: (٢/ ٣٨٧) .

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات : (١/ ١٩٢) ، والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٣٨١) ، والإمام البخاري في الأدب المفرد ص ٢٧٣ ، والحاكم في المستدرك : (٢/ ٦١٣) ، ومالك في الموطأ : (٢/ ٦٩٠) . حديث صحيح صححه السيوطي راجع الجامع الصغير ٢٥٨٤ و راجع صحيح الجامع ٢٣٤٩ صحيح الأدب المفرد باب حسن الخلق ٢٠٧/ ٢٧٣

رسول الله ﷺ هو النموذج الأخلاقي الكامل والأسوة الحسنة للمسلمين وهي أسوة يجب الاقتداء بها والسير على نهجها . وهذه الأمور الثلاثة يلحظها المسلم اتباعاً في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1]. وقوله جل شانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2] ، وقوله عزّ من قائل: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[3] .

ثانياً : متابعة رسول الله ﷺ هي قاعدة السلوك الاجتماعي الأخلاقي في الإسلام

فهي من جهة تجمع للإنسان بين خيري الآخرة والدنيا فقد قال بعض أهل العلم: ((من أراد خير الآخرة ، وحكمة الدنيا ، وعدل السيرة ، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها ، واستحقاق الفضائل بأسرها ، فليقتد بمحمد رسول الله ﷺ ، وليستعمل أخلاقه وسيره ما أمكنه ، أعاننا الله على الائتساء به بمنه آمين))[4].

وهي من جهة أخرى توقظ في الناس الإحساس بمنهج السلف الصالح ، سواء في مجال الأخلاق أو الاعتقاد أو طرق التفكير ، فكلها تؤدي إلى منابع التوحيد الصافية ، وقد كان السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، يعطرون أنفاسهم بالقرآن العظيم وسنة المصطفى الكريم ، وكانوا ينتصرون للحق بمنهج قويم ، فعلا شأنهم وانقمع السلوك الذي لا يرضي الله فيهم ؛ فلم يقولوا إلا حقاً ولم يفعلوا إلا صدقاً ، فسمت عقيدتهم وصفت نفوسهم وكانوا سادة في الدنيا ومقبولين عند الله في الآخرة.

---

(١)سورة القلم: ٤.

(٢) سورة الأحزاب: ٢١.

(٣) سورة آل عمران: من الآية ٣١.

(٤) رسائل ابن حزم ١/ ٣٤٥.

وهي من جانب ثالث: تعطي غير المسلم فكرة كريمة عن عقيدة المسلم ، وسنقدم أمثلة كثيرة على ذلك ، وهي تصلح في الجملة أدوات للدعاة إلى الله لبيان عظمة شرع الله ، وحسبنا الآن أن نشير بإيجاز إلى جانب موجز من جوانب السلوك الإسلامي المتحضر مع الحيوان بما يدل على أن الإسلام لم يحترم فقط حقوق الإنسان بل ثبت أيضاً حقوق الحيوان الذي لا ينطق ولا يتكلم فما أعظمها من شريعة عظيمة وآداب إسلامية قويمة.

عن عائشة رضي الله عنها ، أنها ركبت بعيراً وكانت في قيادته صعوبةٌ فجعلت تردده ، فقال لها رسول الله ﷺ: ((عليك بالرفق))[1] ، عَنْ جَرِيرٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ يُحْرَمْ الرِّفْقَ يُحْرَمْ الْخَيْرَ[2].

والسلوك الإسلامي مع الحيوان سلوك شامل ، جزاءُ إساءته عذاب الله. عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ[3].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنْ النَّاسِ وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ قَالَ فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ فَقَالَ مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ فَجَاءَ فَتًى مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ)[4].

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة باب فضل الرفق (٤٦٩٥).

(٣) متفق عليه رواه البخاري في بدء الخلق باب خمس من الدواب (٣٠٧١) ومسلم في التوبة في سعة رحمة الله تعالى(٤٩٥١).

(٤) رواه أبو داود في الجهاد باب ما يؤمر به من القيام(٢٥٤٩) أو (٢١٨٦). وراجع صحيح أبي داود ٢٥٤٩.

وعن سهل بن الحنظلية - رضي الله عنه - قال: ((مر رسول الله ﷺ ببعير قد لحق ظهره ببطنه، فقال: اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة: فاركبوها صالحة وكلوها صالحة)) [1].

وفي المؤتمرات العالمية عندما يسمع غير المسلمين أن الإسلام يأمر بالإحسان إلى الحيوان عند ذبحه وتحديد الشفرة التي يذبح بها يتعجبون لهذا الرقي الأخلاقي البادي في حديث: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ[2].

قواعد الإسلام في أدب الحديث :

١ - احترام الكلام ومراعاة أهميته وقيمته والتنبيه على خطورته ، يقول تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[3] .

ويقول الرسول ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"[4].

ويقول النبي ﷺ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا فِي الْجَنَّةِ[5] .

٢ - التحدث بصوت منخفض من آداب الإسلام، وتجنب الكلام بصوت مرتفع حرصاً على عدم تنفير السامعين وإزعاج الحاضرين.

---

(١) رواه أبو داود في الجهاد باب ما يؤمر به وراجع صحيح أبي داود ٢٥٤٩.

(٢) رواه مسلم في الصيد باب الأمر بإحسان الذبح(٣٦١٥).

(٣) سورة ق: آية ١٨.

(٤) متفق عليه تقدم ص ٦١.

(٥) بهذا اللفظ رواه مالك في الجامع باب ما يؤمر به من التحفظ (١٥٦٣). ورواه غيره منهم الترمذي بنحوه إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ و قَالَ الترمذي هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

قال تعالى ممتدحاً صحابة رسول الله ﷺ الذين كانوا يغضون أصواتهم عند رسول الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (١).

فالإسلام يربط دائماً السلوك الأخلاقي بالخشية من الله ، إذ تنص الآية على ارتباط هذا السلوك بالتقوى والخشية من الله تعالى ، لأن سلوك المؤمن على الأرض ينطلق من نظرة مرتبطة بنظرته إلى السماء وهذا يصحح مسار الإنسان في سلوكه ويجعله مجرداً من الشوائب.

وإيضاحه وتكرار بعض عباراته حتى يتمكن السامع من الفهم والاستيعاب.

يقول سيد الخلق: "ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء".

ومن الآداب الابتعاد عن التقعر والتكلف عند المخاطبة يقول المعصوم: "إن أبغضكم إليَّ وأبعدكم عنّي مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدّقون والمتفيقهون".

ومن الآداب النهي عن المناجاة: "أي الكلام الهامس في أذن الآخرين" في المجالس ، خاصة إذا كان الحاضرون ثلاثةً مراعاةً للمشاعر ، فلا يظن الثالث أن ذلك الهمس يخصه هو.

- استحباب طيب الكلام وطلاقة الوجه عند اللقاء.

قال تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢).

وقال عزّ من قائل: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ (٣)،

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ

(١) سورة الحجرات: آية ٣ .
(٢) الحجر: آية ٨٨ .
(٣) آل عمران: ١٥٩.

صَدَقَةٌ[1]،عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ[2] أي: متهلل بالبشر والابتسام ، لأن الظاهر عنوان الباطن تلقياه بذلك يشعر بمحبتك له وفرحك بلقياه، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ[3]

- التكلم باللغة التي يفهمها الحاضرون ويتكلمون بها حتى لا يشعر من لا يفهمها بحرج وضيق.
- التمهل في الكلام أثناء الحديث ، حتى يفهم المستمع أو المستمعون المراد منه.
- ألا يتكلم في قبيح وأن يختار الألفاظ المناسبة.

قال المصطفى ﷺ: (رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت عن سوء فسلم)[4]

- أن يكون صوته هادئاً متزنا.
- أن يتجنب الغيبة والنميمة: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾[5]، أو السخرية من أحد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾[6] .

وقد ذكر المولى – سبحانه – النساء في حين أن كلمة (قوم) تكفي وتشير

(١) جزء من حديث متفق عليه رواه البخاري في الجهاد باب من أخذ بالركاب (٢٧٦٧) ومسلم في الزكاة اسم الصدقة(١٦٧٧).

(٢) رواه مسلم في البر باب استحباب الوجه الطلق(١٦٧٧).

(٣) رواه الترمذي في كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ بَاب مَا جَاءَ فِي صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ (١٨٧٩) قَالَ أَبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ وراجع صحيح الترمذي(١٩٥٦).

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد عن خالد بن أبي عمران مرسلا ، حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير المجلد الأول رقم ٣٤٩٦

(٥) الحجرات: ١٢.

(٦) الحجرات: ١٢.

إلى الرجال والنساء لكن ذكرهن ، فكأنما ذكرن مرتين لما جبلت عليه طبيعة النساء من السخرية من زميلاتهن مما يحمل تأكيداً للنساء بالابتعاد عن السخرية والنميمة والحديث في سيرة الآخرين كما هي عادة الكثيرات منهن.

- أن يكون الحديث مناسباً لثقافة الحاضرين ومتفقاً مع عقولهم وأفهامهم.
- أن يحسن الاستماع كما يحسن الكلام.
- قال أحد الحكماء: (يا بنَّي تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الحديث ، وليعلم الناس أنك أحرص على أن تستمع منك على أن تقول، واحذر أن تسرع في القول فيما يجب عنه الرجوع بالفعل). وقال - عزَّ من قال - : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[1].
- قال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - : "والذي لا إله غيره ، ما على ظهر الأرض أحوجُ إلى طول سجنٍ من لسان"[2].

آداب الجلوس

يعتقد الكثيرون أن طريقة جلوس المرء في حضور الآخرين تعكس المنبت والتربية التي نشأ فيها هذا المرء ، وهو الأمر الذي يحسن معه اتباع العادات التالية:

- فالواجب الجلوس باعتدال متأدبا دون التحديق في الآخرين أو التنقل من مكان لآخر؛ لأن ذلك يتنافى والذوق السليم ولما ينبغي مراعاته في الجلوس.
- لا تضع ساقاً فوق ساق وأنت في حضرة أو اجتماع مع رئيسك ، لأنه يرى فيه استهانة بشأنه.
- ليس من الأصول الرسمية مضغ اللسان في الحضور الرسمي ، أو إخراج مسبحة أو الالتهاء بشيء آخر يفقد الشخص مهابته ومكانته أو المكان المضيف له.

(١) سورة البقرة: ٨٣.
(٢) رواه الطبراني .

- لا تجلس على حافة المقعد أيا كانت أهمية ومركز الشخص الذي تقابله.
- مهما اتسم جو اللقاء بالألفة وعدم الرسمية:
  - فلا تجلس منزلقا أو غائصا حتى نصف جسمك في المقعد.
  - لا تجلس واضعاً ساقيك تحت مقعدك.
  - لا تخلع حذاءك.
  - لا تضع حذاءك في مواجهة شخص آخر.
  - لا تهزّ ولا تحرك ركبتك أو فخذك.
- جرت العادة أن يقفل الرجل زراير الثوب عند الوقوف وعند الجلوس ما دام في حضور رسمي.

ومن الآداب التي يجب على المسلم أن يراعيها في جلوسه ، ما يلي:

- مجالسة الصالحين: فالمسلم يحسن اختيار من يجلس إليهم ويصاحبهم فيختارهم من أهل الصلاح والتقوى وممن يعرفون بطاعة الله وعبادته، والمسلم لا يتخذ جلساءه ممن لا دين لهم ولا أدب ، لأن الجليس والرفيق له تأثير كبير في نفس من يجالسه ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِطُ وَقَالَ مُؤَمَّلٌ مَنْ يُخَالِلُ) [1]. ومن ثم يجب الابتعاد عن مجالسة العاطلين والمدمنين والمنحرفين أخلاقياً عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ)[2]، وشبه الرسول ﷺ الصاحب الصالح والصديق الحسن بحامل المسلك ، أما الجليس السوء فهو كالذي ينفخ في النار فيؤذي صاحبه، عن أَبِي مُوسَى

(١) رواه أحمد٧٦٨٥ والترمذي ، وأبو داود ، والبيهقي في ' شعب الإيمان ' وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب . وقال النووي: إسناده صحيح. كما في مشكاة المصابيح ٥٠١٩.

(٢) رواه أبو داود في الأدب باب من يؤمر أن يجالس (٤١٩٢)، والترمذي في كِتَاب الزُّهْدِ بَاب مَا جَاءَ فِي صُحْبَةِ الْمُؤْمِنِ وحسنه الألباني(٢٣٩٥) راجع صحيح الجامع ٧٣٤١.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكِيرِ الْحَدَّادِ لَا يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ وَكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً[1].

- **إلقاء السلام والجلوس حيث انتهى المجلس: فالمسلم إذا دخل على مجلس قوم وأراد أن يجلس معهم ألقى عليهم السلام وجلس حيث ينتهي جلوس القوم، ولا يجوز له أن يقيم أحداً من مكانه ليجلس فيه مهما كانت مكانته؛ فالناس لآدم، وآدم من تراب لا فرق بينهم،** عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ فَيَجْلِسَ فِيهِ وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا [2]. **ولا يجلس المسلمُ وسط المجلس فقد روي** عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ مَنْ جَلَسَ وَسْطَ الْحَلْقَةِ[3]. **ولا يجلس بين اثنين إلا بإذنهما،** عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما) عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا [4].

(١) متفق عليه رواه البخاري في البيوع باب في العطار (١٩٥٩)، و مسلم في البر ب استحباب مجالسة الصالحين (٤٧٦٢).

(٢) متفق عليه رواه البخاري في الاستئذان باب لا يقيم الرجل الرجل (٥٧٩٨)، و مسلم في السلام ب تحريم إقامة الإنسان ...(٤٠٤٤).

(٣) رواه أبو داود في كتاب الأدب بإسناد حسن كما قال النووي في رياض الصالحين، وقال الألباني ضعيف كما في ضعيف أبي داود٤٨٢٦ ص ٤٧٦.

(٤) رواه أبو داود في كتاب الأدب(٤٨٤٥). ورواه الترمذي في كِتَاب الأدب ب مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ الْجُلُوسِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ بِغَيْرِ إِذْنِهِمَا وصححه ٢٧٥٢ ووافقه الألباني.

- الابتعاد عن الجلوس في الطرقات والأسواق ، لتحذير النبي ﷺ من ذلك مما يسبب أذى الناس، وإذا اضطر البعض لذلك وجب عليه مراعاة حق الطريق من غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- الابتعاد عن أماكن الشبهات: فالمسلم لا يجلس على المقاهي إلا لضرورة، كذلك يبتعد عن الملاهي والخمارات، ويعلم أن هذه مجالس الشياطين فلا يقربها.

- الإفساح للقادم: فإذا كانت هناك جماعة تجلس وقَدم عليهم آخرون ، وكان المكان ضيقاً وجب على الجالسين أن يفسحوا للقادمين، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ ﴾ [1].

- عدم القيام للقادمين بقصد تعظيمهم: ولا مانع من القيام للوالدين أو لرجل كبير أو لعالم جليل أو (لولي أمر) أو لأستاذ له الفضل أو القيام بقصد المصافحة أو المعانقة أو التهنئة.

- دعاء كفارة المجلس: فالمسلم يذكر ربه في مجلسه دائماً، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَفَّارَةُ الْمَجَالِسِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ) سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك أستغفرك و أتوب إليك [2].
- أمانة المجلس: فالمسلم يحفظ سر المجلس إذا تركه ولا يتحدث بما دار فيه لأن الحديث أمانة.

---

(١) المجادلة: ١١ .

(٢)رواه أحمد (٨٤٦٢) ورواه الطبراني راجع صحيح الجامع الصغير (٤٤٨٧) .

(١) الجلوس في المكان المخصص له، فإذا لم يكن هناك تخصيص للأماكن فليجلس حيث ينتهى به المجلس، ولا يطلب من أحد أن يقوم من مكانه ليجلس فيه.
(٢) ألا يجلس بين اثنين إلا بإذنهما.
(٣) أن يجلس هادئا ويحسن الاستماع ولا يقاطع غيره في الكلام، وألا يكثر الحديث عن نفسه إذا تكلم.
(٤) أن يستأذن قبل انصرافه من المجلس، ويسلم.

آداب الكلام والحديث والمزاح :

من الآداب الاجتماعية التي لها أثرها في سلوك الفرد نحو الجماعات الحديث والكلام ، فإن أحسن الفرد الكلام أحبته الجماعة واحترمته وقدرته، وإن أساء الحديث والتعبير نفر منه الناس وابتعدوا منه وتجنبوا الكلام معه.

التحدث في المجتمعات من أدق وسائل الاتصال ، ومن أيسر أدوات توثيق الصداقات وإقامة العلاقات ، فضلاً عما يضفيه الحديث الشيق المتزن على صاحبه من سمات شخصية تخرجه عن الخجل والاستكانة والانعزال، وصناعة الكلام فن تتفاوت قيمته بمقدار تأثير وقعه وحسن أسلوبه، وتعد اللغة السليمة ومن باب أولى تعدد معرفة اللغات أمضى أسلحة التوفيق في هذا المضمار.

وهي بذاتها في مقدمة قواعد فن الحديث ، كما لا ينبغي أن يفوتنا أن حسن الاستماع فن يُتوج آداب فن الحديث ، فيجب أن نبذل في الاستماع إلى محدثنا نفس الاهتمام والشغف الذي نرجوه إذا كنا نحن المتحدثين إليه، فالمحادثة فن جميل ولكن أجمل منه فن الصمت[1].

(١) آداب السلوك في الإسلام: كمال محمد علي.

والشخصية الرقيقة لا تتلفظ بألفاظ جارحة، ولا يكون الكلام مصاحباً حركاتٍ وإشارات من اليد والرأس، وقد يصاحب الكلامُ المجاملة وهي أرق أنواع التعبير عن الود الذي يكنه الشخص للآخرين ، خاصة إذا كانت صادقة بعيدة عن النفاق والرياء والتملق، وهي أوسع آداب اللياقة مجالاً لأنها تتناول جميع مناسبات الحياة اليومية والموسمية ، وتمثل خيط البداية الذي إذا امتد كان وشيجة قوية من وشائج العلاقات الاجتماعية والروابط الإنسانية.

يقول المولى عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[1]. فما أجدرنا نحن المسلمين أن نستلهم من هذه الآداب القرآنية والأساليب التربوية والأخلاقية في أدب الحديث في حوارنا ، حيث ترشدنا الآية إلى خفض الصوت مع رسول الله ﷺ ، ومنها نتعلم أن خفض الصوت أدب عام مع جميع الناس في حياتنا المعاصرة مع آبائنا أم مربينا أم معلمينا ؛ لأن الصوت العالي دليل على فساد الطباع وسوء المزاج، والمؤمن لا يكون بمثل هذه الرعونة، ولقد نبهنا القرآن الكريم إلى مثل هذا الخلل السلوكي التربوي منذ ما يقرب خمسة عشر قرنا من الزمان من أن الصوت المناسب يعبر عن الوقار والتبجيل والاحترام.

لذلك كانت وصية لقمان الحكيم لابنه: ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾[2].

- ومن نصائح الرسول ﷺ لأبي ذر: "عليك بطول الصمت فإنه مطردة للشيطان وعون لك على أمر دينك"[3].

(١) سورة الحجرات: آية ٣.

(٢) لقمان: الآية ١٩.

(٣) رواه الطبراني وغيره وقال الألباني ضعيف جدا و راجع ضعيف الجامع الصغير (٢٢١٢).

- يجب النظر في وجه الشخص الذي تتحدث إليه، فإن عادة النظر إلى أي اتجاه آخر عند محادثة شخص معين غيرُ مستحبة وتوحي بعدم الاكتراث بالحديث.
- يجب عدم التحدث بصوت عال ، فليس الشخص المتحدث إليك بالأصم ، ولكن لا يعني ذلك أيضاً خفض الصوت جداً بحيث لا يسمع المتحدَّث إليه الكلام وإنما التوسط في درجة الصوت هي المطلوبة.
- يجب عدم التحدث بصوت منخفض جداً مما يضطر المتحدث إليه إلى تكرار كلمة ماذا أو ماذا قلت؟ وحتى لا يشرد ذهنه بسبب عدم سماعه ما يقال له.
- يجب عدم الاقتراب بالوجه من المتحدث إليه.
- يجب عدم الكلام بسرعة ، فالكلام بسرعة يزعج المستمع ، على ألا يكون الكلام أيضاً ببطء شديد حتى لا يملَّ المتحدث إليه.
- عدم الاشتراك في الحديث في موضوعين ومع شخصين في آن واحد.
- عدم مقاطعة من لا يزال يتحدث في موضوع ما ، فإن ذلك عادة سيئة جداً، ولكن المقاطعة مسموحٌ بها فقط إذا كانت في أمر مهم وضروي[1].

المبحث الثاني

خصوصيات تتعلق ببعض أخلاقيات النبي ﷺ وآدابه

لو علم العالم ، ما كانت عليه أخلاق النبي ﷺ وآدابه ، لتغير وجه الأرض كليا وجزئياً ومن ذلك:

أولاً: حسن خلقه ﷺ:

ما أعظم شهادة الله - سبحانه - وتعالى لنبيه محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2].

(١) آداب السلوك في الإسلام: كمال محمد علي.
(٢) سورة القلم: الآية ٤.

فهذه السمة من آدابه ﷺ تبين للناس حِكَما عظيمة ، أخصُّها وجوب قيام علاقات الناس على حسن الأخلاق.

عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ ، قال: ((**ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق**))[1].

عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا[2] ، فسكت القوم ، فأعادها مرتين أو ثلاثاً ، قال القوم: نعم يا رسول الله قال: ((**أحسنكم خُلُقاً**)) [3].

٣. وعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: **لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً**

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَكَانَ يَقُولُ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَكَانَ يَقُولُ إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا[4].

٤. وعن أنس - رضي الله عنه - قال: خدمت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لفظ البخاري حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ سَمِعَ سَلَّامَ بْنَ مِسْكِينٍ قَالَ سَمِعْتُ ثَابِتًا يَقُولُ حَدَّثَنَا أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ خَدَمْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ وَلَا لِمَ صَنَعْتَ وَلَا أَلَّا صَنَعْتَ

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة ٧٨٣ وقال الألباني: صحيح.

(٢) رواه الترمذي في البر والصلة باب ما جاء في معالي الأخلاق(١٩٤١) وحسنه. وقَالَ أَبو عِيسَى:وَالثَّرْثَارُ هُوَ الْكَثِيرُ الْكَلَامِ وَالْمُتَشَدِّقُ الَّذِي يَتَطَاوَلُ عَلَى النَّاسِ فِي الْكَلَامِ وَيَبْذُو عَلَيْهِمْ. وراجع صحيح الجامع ٢ / ٢٤(٢١٩٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد برقم (٦٧٣٥) وأخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٢٧٥) .

(٤) متفق عليه رواه البخاري في المناقب باب صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣٥٥٩) رواه مسلم في الفضائل ب كثرة حيائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢٣٢١).

لفظ الترمذي عَنْ أَنَسٍ قَالَ خَدَمْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَهُ وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ لِمَ تَرَكْتَهُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا وَلَا مَسَسْتُ خَزًّا قَطُّ وَلَا حَرِيرًا وَلَا شَيْئًا كَانَ أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا شَمَمْتُ مِسْكًا قَطُّ وَلَا عِطْرًا كَانَ أَطْيَبَ مِنْ عَرَقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَبو عِيسَى وَفِي الْبَاب عَنْ عَائِشَةَ وَالْبَرَاءِ [1].

ثانياً: تواضعه وحياؤه وكرمه:

ترك رسول الله ﷺ سيرة رائعة من التواضع الكريم والحياء المستقيم والكرم العميم على نحو لو تمثله المسلمون الآن لسمت آدابهم وارتفعت ألوية الحق في عالمهم، ومن ذلك هذه الأمثلة:

- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ) [2].
- وعن ابي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ [3].
- وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ [4].

---

(١) متفق عليه رواه البخاري في الأدب باب حسن الخلق (٥٥٧٨). ومسلم في الفضائل ب أحسن الناس خلقا (٤٢٦٩).

(٢) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء باب قول الله واذكر في الكتاب (٣١٨٩).

(٣) رواه البخاري في المناقب ب صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣٢٩٨). ومسلم في الفضائل باب كثرة حيائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤٢٨٤).

(٤) متفق عليه رواه البخاري في بدء الوحي (٥) ومسلم في الفضائل ب كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجود الناس (٤٢٦٨).

- وعَنْ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ سَمِعْتُ جَابِرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ مَا سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ لَا) [1].
- وعن أنس - رضي الله عنه - قال: ما سئل النبي ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه ، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين ، فرجع إلى قومه ، فقال: ((يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة)) [2].

ثالثاً: رفقه وعفوه ورحمته وشفقته:

كان رسول الله ﷺ يتمثل لأوامر الله تعالى في بيان مكارم الأخلاق والرفق في القول والعمل عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾(فصلت : ٣٣-٣٤).

عَنْ عَمْرَةَ يَعْنِي بِنْتَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ) [3].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا [4].

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ

(١) رواه البخاري في الأدب باب حسن الخلق (٥٥٧٤)
(٢) رواه مسلم في الفضائل باب ما سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئا (٤٢٧٥).
(٣) متفق عليه رواه البخاري في استتابة المرتدين ب إذا عرض الذمي (٦٤١٥) و مسلم في البر والصلة ب فضل الرفق (٤٨٩٧).
(٤) متفق عليه رواه البخاري في الأدب ب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسروا (٥٦٦٠). و مسلم في الجهاد ب في الأمر بالتيسير (٣٢٦٤).

أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا[1].

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا فَقَالَ الْأَقْرَعُ إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنْ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ)[2].

وشملت رحمةُ رسول الله ﷺ الخدم والأطفال ، والناس أجمعين حتى الأعداء منهم:

فمن رحمته بالخدم قوله ﷺ : ((**هم إخوانكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فأطعموهم مما تأكلون ، وألبسوهم مما تلبسون ، ولا تكلفوهم ما لا يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم**))[3].

ومن رحمته بالأطفال أن قتادة - رضي الله عنه - قال: خرج علينا النبي ﷺ وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه فصلى ، فإذا ركع وضعها ، وإذا رفع رفعها .[4]

ومن رحمته بالناس جميعاً ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ ، قال: ((**إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن منهم الضعيف ، والسقيم ، والكبير ، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليقلْ كيف يشاء**))[5].

(١) متفق عليه، رواه البخاري في الأنبياء ب صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومسلم في الفضائل ب مباعدته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للآثام(٢٣٢٧).

(٢) متفق عليه رواه البخاري في الأدب ب رحمة الولد ..(٥٥٣٨)، ومسلم في الفضائل باب رحمته الصبيان والعيال...(٤٢٨٢).

(٣) متفق عليه رواه البخاري في العتق ب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العبيد إخوانكم (٢٣٥٩)، و مسلم في الأيمان ب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه ..(٣١٣٩).

(٤) متفق عليه : أخرجه البخاري برقم (٥٩٩٦) ومسلم برقم (٥٤٣) .

(٥) متفق عليه : أخرجه البخاري برقم (٧٠٣) ومسلم برقم (٤٧٦).

لقد كان ﷺ أرفق ما يكون بالأطفال من أهل بيته وغيرهم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «قبل رسول الله ﷺ الحسن أو الحسين بن علي وعنده الاقرع بن جابر التيمي فقال الأقرع: إن لي عشرة الولد ما قبلت منهم أحداً قط . فنظر إليه رسول الله وقال : «مَنْ لا يَرحم لا يُرحم». وفي رواية: « أوَ أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك». رواه البخاري.

ومن رحمته بالأعداء ما رواه أنس - رضي الله عنه - قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض ، فأتاه النبي ﷺ يعوده ، فقعد عند رأسه فقال له: ((**أسلم**)) ، فنظر إلى أبيه وهو عنده ، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ ، فأسلم ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: ((**الحمد لله الذي أنقذه من النار**))[1].

وعن شفقته بأمته: قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٨] .

وعن جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: ((**مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفرائس يقعن فيه ، وهو يذبهن عنها ، وأنا آخذ بحجزكم عن النار ، وأنتم تفلتون من يدي**))[2].

رابعاً : حلمه وصبره :

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: يا رسول الله ، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: ((**لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا يليل بن عبد كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب ، فرفعت**

(١) متفق عليه : أخرجه البخاري برقم (١٣٥٦).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٨٥) .

رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال: إن الله - عز وجل - قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم)) ، فقال: ((فناداني ملك الجبال وسلم عليّ ، ثم قال: يا محمد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين)) .

فقال رسول الله ﷺ: ((بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً)) [1].

وعن خباب بن الأرت - رضي الله عنه - قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة ، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: ((قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه ، فما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله ، والذئبَ على غنمه ولكنكم تستعجلون))[2].

خامساً: ضحكه وبكاؤه وغضبه لأمر الله:

عن جرير - رضي الله عنه - قال: ((ما حجبني النبي ﷺ منذ أسلمت ، ولا رآني إلا تبسم في وجهي))[3].

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ((ما رأيت النبي ﷺ مستجمعاً قط ضاحكاً حتى أرى منه لهواته ، إنما كان يبتسم))[4].

وعن عبدالله بن الشخير - رضي الله عنه - قال: ((رأيت رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء)) [5].

---

(١) متفق عليه : أخرجه البخاري برقم (٣٢٣١) ومسلم برقم (١٧٩٥).
(٢) أخرجه البخاري ، برقم (٦٩٤٣).
(٣) متفق عليه : أخرجه البخاري برقم (٦٠٨٩) ومسلم برقم (٢٤٧٥).
(٤) متفق عليه : أخرجه البخاري برقم ٦٠٩٢ ومسلم برقم ٨٩٩.
(٥) رواه أبو داود في الصلاة ب البكاء في الصلاة (٩٠٤) أو (٧٦٩). ورواه النسائي في السهو ب البكاء في الصلاة (١١٩٩)، أو (١٢١٤) وقال الألباني: صحيح كما في صحيح أبي داود (٩٠٤).

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال لي النبي ﷺ: ((اقرأ علي)) ، قلت: يا رسول الله ، أقرأ عليك ، وعليك أنزل؟ قال: "نعم" ، فقرأت سورة النساء ، حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ ، قال: ((حسبك الآن)) فالتفتُ إليه فإذا عيناه تذرفان[1].

وأما بشأن غضبه ﷺ لأمر الله :

فعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: أتى رجل النبي ﷺ ، فقال: إني لأتأخَّر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا ، قال: فما رأيت رسول الله ﷺ قط أشد غضبا في موعظة منه يومئذ ، قال: فقال: ((**يا أيها الناس إنَّ منكم منفِّرين ، فأيكم صلى بالناس ، فليتجوَّز فإن فيهم المريض والكبير وذا الحاجة**)) [2].

سادساً : شجاعته وعدله :

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال: ((**لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ ، وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذٍ بأساً**))[3].

وعن عائشة رضي الله عنها ، أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت... وفي الحديث: فكلمه أسامة بن زيد ، فقال رسول الله ﷺ: ((**أتشفع في حد من حدود الله؟**)) ثم قام فخطب ثم قال: ((**إنما أهلك الذين قبلكم ، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**)) [4].

---

(١) متفق عليه : أخرجه البخاري برقم (٥٠٥٠) ومسلم برقم (٨٠٠) .
(٢) متفق عليه : أخرجه البخاري برقم (٦١١٠) ومسلم برقم (٤٦٦) .
(٣) رواه أحمد ٢/ ٨١(٦٥٤) وصححه المحقق ط مؤسسة الرسالة .
(٤) متفق عليه : أخرجه البخاري برقم (٣٤٧٥) ومسلم برقم (١٦٨٨).

سابعاً : أسلوبه في الإقناع:

من شمائله ﷺ أسلوبه في محاورة وإقناع الآخرين ومن مارواه الإمام أحمد .

روى الإمام أحمد عن أبي أمامة أن فتى شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ائذن لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه. وقالوا : مه مه ! فقال : «ادنه » . فدنا منه قريبا . فقال : «اجلس» . فجلس فقال: أتحبه لأمك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك . قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم . قال : أتحبه لا بنتك؟ قال : لا والله يا رسول الله ، جعلني الله فداك، قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم. قال : أتحبه لأختك؟ . قال : لا والله جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم . قال : أتحبه لعمتك؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال: أتحبه لخالتك؟ قال : لا والله جعلني الله فداك. قال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال : فوضع يده عليه وقال : اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه، وأحصن فرجه.

قال : فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.))

يدل هذا الحوار على الحكمة والرحمة والإقناع بالحجة والمنطق السليم، وأبلغ ما فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم استخدم للإقناع أفكارا لمست وجدان الفتى وأيقظت فيه الفطرة السوية، وبعثت فيه الرغبة في تبني الأعمال الفاضلة التي يساوي فيها بين نفسه وأقاربه وبين الآخرين.

ثامناً : أسوته الحسنة ودلالتها :

يمكن الآن الاكتفاء بما تقدم ، لأن الهدف ليس هو السرد ، وإنما الهدف هو فهم أبعاد الحكمة المرجوة من الناس برسول الله ﷺ ، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ وعلى ذلك فيمكن للناس أن تعي هذه الصفات وتعلم أنها وإن كانت من أخص خصوصياته ﷺ إلا أن التأسي بها هو اتباعٌ لتشريع حقيقي يحقق للإنسان المزايا التالية:

١ – اتباع النبي ﷺ:

وأهم ما يناله المسلم من اتباع النبي ﷺ هو غنم حب الله ، وما أعظمه من حب؛ لأنه مقرون بغفران الذنب ، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران: الآيتان ٣١ ، ٣٢] .

كذلك فإن المسلم باتباع الصفات الكريمة والآداب العظيمة التي دعا إليها أو عاشها رسول الله ﷺ يتطلّع إلى غنم آخر هو الهداية الربانية ، فقد علق الله سبحانه وتعالى هذه الهداية على اتباع نبيه محمد ﷺ ، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٥٨] .

واتباع آداب النبي ﷺ يحقق للمسلم كسباً عظيماً آخر هو دخول الجنة:

قال ﷺ: ((**من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله...**)) الحديث[١]. وقال ﷺ: ((**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**)) قيل: ((**يا رسول الله! ومن يأبى ، قال: "من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**))[٢].

والإضافة في ذلك تجعل الفكرة لا تنتهي ، ولذا نكتفي الآن بأثر آخر للاتباع وهو توقي عذاب الله سبحانه وتعالى وأمن الفتنة والعذاب. قال جل شأنه: ﴿ وَمَآ

(١) رواه الإمام أحمد في (باقي مسند المكثرين) برقم (٧٣٨٦) والبخاري في كتاب الأحكام برقم (٧١٣٧) ومسلم في الإمارة برقم (١٨٣٥) .

(٢) رواه الإمام أحمد في الموضع ذاته برقم (٨٥١١) والبخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة برقم (٧٢٨٠).

ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [سورة الحشر: الآية ٧] ، وقال عز من قائل: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة النور: الآية ٦٣] .

٢ – إشاعة السلوك دعوياً في شتى بقاع الأرض:

إن من الأفضل أن يبدأ الإنسان بنفسه ، ولكن إذا كان الله سبحانه وتعالى قد وفق الناس للبدء بأنفسهم ، وشاعت الآداب الإسلامية بينهم فلا بد من الانتقال إلى مرحلة الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، وذلك بإشاعة سلوك الاتباع في شتى بقاع الأرض.

ولعل كل فرد مسلم في هذا الزمن يحاول قدر استطاعته نصرة دين الله ومحاولة تصحيح ومعالجة مالحق بهذا الدين من تشويه وإساءه من أولئك الذين أضروا بالإسلام – من حيث يعلمون أولا يعلمون – عندما بدأنا نرى أن كل عمل شائن يلصق بالإسلام ، من قتل وقطع رؤوس أناس مظلومين لاحول لهم ولا قوة من المأسورين في عمليات الاختطاف أثناء الحروب أو التفجير أو الإرهاب بشكل عام ، وينسبون ذلك إلى الإسلام ، وهو مع شديد الأسف لا يمت إلى الإسلام وتعاليمه بأي صلة ، والإسلام بريء منه براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام.

أقول : إنه عندما يبدأ المرء بنفسه بصفته الشخصية أو بصفة رسميه في رحلة للعمل أو الدراسة أو السياحة خارج الوطن وربما يكون يتميز بصفات حميده قد أنعم الله عليه بها ويأتي من يسأله كيف تعلمت هذه الصفات الطيبه ؟ فيجيبه هذا الشخص بقصر نظر : إنني تعلمتها من أبي أو أمي أو من أسرتي الفاضله ، أو بلدي ولا يعلم أن من هداه وعلّمه تلك الصفات وهيأ له البيئة التي تعلمها فيها هو الله سبحانه وتعالى ؛ بأن خلقه مسلماً قبل كل شيء ، ووفقه لذلك في أبوين مسلمين أو عائلة كريمة ، سخرها الله ليربى

فيها ويتعلم تلك الصفات . ومن هنا فماذا ينقصه أو يضره لو قال لمن سأله (إن هذه الصفات اكتسبتها من الإسلام) وبهذا فهو يرجع الفضل ، لصاحب الفضل وهو الخالق جلَّ وعلا ثواب شكر هذه النعمة - أولاً ثم يقوم بتصحيح الصورة عن الإسلام ، ويجعل الآخرين يبدون إعجابهم بهذا الدين ، ويكون بهذا قد قام بالدعوه إلى التمعن والإعجاب بالإسلام.

وبياناً لذلك فإن آداب الإسلام ، لابد أن تسود الدنيا ، لأنها هي الأفضل ، والأبقى والآدوم وأول مراحل سيادتها هو تعريف الناس بها ، فالشريعة كنز عظيم ، ولا يمكن لأحد أن يعرف قيمة هذا الكنز إلا إذا اطلع على ما فيه من كنوز أخرى تتعلق بآداب الإسلام في مجالات عديدة منها:

- مجال السلام وإشاعته وفهم أصوله وكيفيته وجدواه وضرورته.
- مجال الأكل والشرب ، لأننا نتلقى من غيرنا بعض العادات الوافدة ، بعضها طيب وبعضها ليس كذلك ، ولكنها في كل الأحوال لا ترقى إلى مجال عظمة الإسلام ، فلو علم غيرنا حقاً بعظمة أدبنا الإسلامي الحق في المأكل والمشرب لأخذ به حقاً وفضله على كل ما سواه.
- مجال آداب السفر: وما فيها من ضوابط أخلاقية وقواعد عقدية ونصوص من السنة المطهرة ، واجتهادات من أهل العلم ، وتطبيقات على الصعيد العملي من لدن رسول الله ﷺ وحتى الآن.
- مجال آداب النوم والاستيقاظ وغيرها: وذلك أن الإنسان إذا أراد أن ينام فلذلك آداب وأحكام ، وإذا استيقظ كان عليه أن يكرر ما كان يردده رسوله الكريم ﷺ.

كذلك فإن للرؤيا آداب ، وللطريق آداب وللاستئذان آداب وعيادة المريض لها آداب شرعية كذلك ، وللباس آداب إسلامية لا يمكن لأحد أن يتجاهل أهميتها في حياة المسلم ولذا فإنه لابد من معالجة هذه الآداب وغيرها دون إدخال كلام البشر في الموضوع إلا فيما ندر اكتفاء بالوحي ، لأن دعوة الناس إلى الله وإلى آداب الإسلام يجب أن تتم من خلال هدى الكتاب والسنة وهذا ما ننتقل إليه الآن .

الفصل السادس

آداب دبلوماسية التعامل الإسلامي

الفصل السادس

آداب دبلوماسية التعامل الإسلامي

ينطلق الإسلام من كونه نظامًا شاملا للحياة الإنسانية وفق المنهج الرباني، جاء بأصح عقيدة، بالتوحيد الخالص، وبأكمل شريعة في الأحكام المنظمة للحياة، وبالمعاملات التي يتحقق عن طريقها الأمن والسلام واحترام الحقوق الإنسانية وحفظ كرامة الإنسان، وقامت دولة الإسلام على أسس قويمة في العلاقات الدولية، والآداب المرعية في معاملة الأفراد والأقليات، يحترم الإنسان الحقوق والحريات الأساسية المقررة لجميع الأفراد تباعا تحقيقا لكرامة الإنسان المكرم بنص القرآن الكريم.

ويمكن تلخيص الحقوق والحريات الأساسية فيما يأتي:

١- حق الحياة : فحياة الإنسان في الإنسان مكفولة مصانة ومحفوظة بإستثناء الأحكام المنظمة لسلبها . وهي من الكليات الخمسة التي جاءت الشريعة لحفظها ، درءًا للمفاسد، وجلبا للمصالح .

٢- الحرية الشخصية : وهي صون الحقوق الأساسية وأساس حفظ الكرامة، فحرية الأشخاص مصونة في حدود أحكام الشرع.

٣- حرمة المنزل : وهي حرمة واجبة على الحكام ومرؤوسيهم فلا يجوز دخول المنازل دون استئذان ، ولا يجوز التجسس ، وهتك الأستار والأسرار.

٤- حرية إبداء الرأي : وكانت هذه سنة رسول الله ﷺ ، حرص صحابته، وخلفاء المسلمين من بعده وأولياء أمورهم على استثمارها وتنظيمها في نظام الشورى الإسلامية.

٥- حق التعلم والإبداع الحضاري، ولا يوجد دين أو شريعة رعت هذا الحق وحثت على تطويره واستثماره كما فعل الإسلام.[1]

---

(١) المرجع : سمير عاليه، نظرية الدولة وآدابها في الإسلام، دراسة ومقارنة ، الطبعة الأولى، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) (ص ص ١١٤ - ١٤٢) (بتصرف).

٦- حق الملكية : كفل الإسلام هذا الحق، ولكن لم يجعله حقا مطلقا وإنما قيده بوظائف اجتماعية واقتصادية تضمن استقرار الحياة.

٧- حق العمل: حق الإسلام على العمل والكسب وضمن طلب الرزق بالطريقة الحلال، وحرم الكسب الحرام، ونظم العلاقات بين العمال وأصحاب العمل.

٨- التضامن الاجتماعي مع المحتاج : الإسلام دين الرحمة والتضامن والتكافل والبر والصدقات ، ومنهجه الأخلاقي في القمة بين المناهج.

وكلمة الدبلوماسية ، تدل في الظروف الراهنة ، على السياسة الخارجية لدولة معينة ، مشمولة بالحكمة من جهة ، وحسن التصرف بين الأفراد من جهة أخرى ، كما تدل على عمل الممثلين الدبلوماسيين أو السياسيين المعتمدين ، وهم رؤساء البعثات الدبلوماسية وأعضاؤها ، وأعضاء السفارات والمفوضيات وكبار موظفي وزارة الخارجية ورؤساء الوفود إلى المؤتمرات الدولية الذين سمو بالدبلوماسيين[1]. ويعيش الدبلوماسيون في إطار متكامل من الشكليات التي تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما:

١- المراسم أو البروتوكول أي التقاليد والأصول ومظاهر الحفاوة الواجبة الاتباع في الشئون الرسمية وفي مختلف المناسبات المنصوص عليها في مؤتمري فيينا لعامي ١٨١٥ و ١٩٦١م.

٢- آداب اللياقة أو ما يعرف بالإتيكيت ، وتعني التصرفات اللائقة في شتى المناسبات الاجتماعية سواء بالنسبة للدبلوماسي أو للإنسان المتحضر بوجه عام.

(١) د. محمد نادر عطار ، آداب اللياقة في حياة الدبلوماسي وأصولها في التراث الإسلامي ط ١ ، ١٤٠٨هـ صـ٤.

ونشير هنا إلى آداب اللياقة في حياة الدبلوماسي ، أو الإتيكيت ، أما البروتوكول أو المراسم فسوف تلي ذلك في فصل آخر ، ويقال إن أصل كلمة الإتيكيت أو آداب اللياقة هي كلمة ستيكوس اليونانية بمعنى النظام ومراعاة ترتيب الدرجات ، ويقول الألمان إن أصل الكلمة ألماني ، ويقول الفرنسيون : إن أصل الكلمة فرنسي ، ويؤكد البريطانيون بدورهم أن أصلها إنجليزي. والإتيكيت يعني السلوك الذي يفرضه الخلق الحسن والتصرف السليم، والإسلام يعرض لآداب اللياقة أو الاتيكيت أو دبلوماسية التعامل باعتبار هذه المصطلحات دالة على الأخلاق القويمة والتصرفات الأصولية المنبثقة من الأصول الشرعية ، والدالة على تميز الرجل المحنك باستعمال الأساليب الأخلاقية في سلوكاتة الاجتماعية[1].

ونعرض لأهم هذه الآداب فيما يلي :

أولاً : آداب السفر :

ليس مقصودنا هنا بيان آداب السفر في الغرب ، وإنما هدفنا هو بيان آداب السفر في الإسلام ليعيها أبناء الإسلام ويأخذها الغرب عنا ، فنحن لسنا في حاجة إلى تراث غيرنا ، وما عندنا يكفينا بحول الله تعالى ، ومن أهم آداب السفر ما يلي:

١ – إسلام الأمر لله :

ويتحقق ذلك بأن يتوكل الإنسان على الله ، ويتيقن أنه لا يعرف ماذا يكسب غداً ولا بأي أرض يموت فيلزمه لذلك أن يبدأ قبل سفره ، برد المظالم ، وقضاء ما عليه من ديون ، وإعداد النفقة لمن يلزمه نفقته ، ورد ما عساه أن يكون لديه من ودائع وأمانات[2] ، ولا يأخذ لزاده إلا حلالاً طيباً ، وأن يزيد من مأخذه حتى يوسع على رفقائه ، ويجب أن يظهر مكارم الأخلاق ولا يتكلم إلا طيباً.

(١) قارب د. محمد نادر عطار في مؤلفه السابق صـ ٥.

(٢) ابن قدامة المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين ، القاهرة ، د. ت ص ١١٦.

٢ – اختيار الرفيق وتوديع الأصحاب:

أمَا اختيار الرفيق ، فهذا أمر ضروري ، فالرفيق قبل الطريق[١] ، أو الرفيق ثم الطريق وقد نهى ﷺ عن سفر الرجل وحده ، وقال: ((الثلاثة نفر)) **وأوصى بإمارة أحدهم: "إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم"**[٢].

وكان ﷺ إذا ودَّع أصحابه في السفر يقول لأحدهم: **أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك" وقال أنس: كان النبي ﷺ إذا علا شرفاً من الأرض أو نشزاً قال: "اللهم لك الشرف على كل شرف ، ولك الحمد على كل حال". وكان يقول: "لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس"**[٣].

٣ – الإتيان بركعتين لله:

فقد صح عنه ﷺ أنه قال: **"إذا همّ أحدكم بالأمر ، فليركع ركعتين"**[٤]. وفي هذا الإطار فالمقصود أنه إذا همّ أحد الناس بالأمر الذي يحتاج إلى السفر في قضائه أو كان فيه مخاطر ومشقات ، فعليه بأداء ركعتين لله"[٥].

٤ – ترديد ما قاله ﷺ في سفره:

حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّ عَلِيًّا الْأَزْدِيَّ أَخْبَرَهُ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ عَلَّمَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ

---

(١) انظر: تفاصيل ضافية في الأبشيهي ، شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح (المستطرف من كل فن مستظرف) القاهرة ١٣٧٩هـ ج ، صـ٣٨.

(٢) رواه أبو داود في الجهاد ب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم ، راجع صحيح أبي داود ٢/ ٤٩٤(٢٢٧٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢١١٣). وانظر: مختصر زاد المعاد لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ، مرجع سابق ص ٩٨.

(٤) رواه البخاري في جامعه الصحيح ، التهجد (٣/ ٤٠) باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى.

(٥) سعيد محمد اللحام ، شرح مختصر زاد المعاد لابن القيم تأليف الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، دار الفكر ١٤١٠هـ ص ٩٧ هامش ١.

سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَمِنْ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ)[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبَّر ثلاثاً ، ثم قال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾[2]، **اللهم نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى ، اللهم هوِّن علينا سفرنا هذا ، واطو عنا بُعده ، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل.**

اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنظر ، وسوء المنقلب في المال والأهل ، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: آيبون تائبون ، عابدون لربنا حامدون[3].

٥ – أن يستصحب معه خمسة أشياء:

قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ **إذا سافر حمل معه خمسة أشياء: المرآة والمكحلة والمقراض والسواك والمشط** ويجب عليه أن يدعو الله بكل ما يحب فدعوة المسافر مستجابة. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يُقَالُ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْمُؤَذِّنُ وَلَا نَعْرِفُ اسْمَهُ وَقَدْ رَوَى عَنْهُ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ غَيْرَ حَدِيثٍ[4].

---

(١)رواه مسلم في الحج ما يقول إذا ركب إلى سفر .. (٢٣٩٢).

(٢) سورة الزخرف: الآيتان ١٣ ، ١٤.

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٣٤٢).

(٤) رواه الترمذي في البر والصلة ب ماجاء في دعوة الوالدين (١٨٢٨)، و راجع صحيح الترمذي ٣/ ١٥٦(٢٧٤١).

ويجب على المسافر بحراً أن يطلب الأمان من الله تعالى قال ﷺ: "**أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا أن يقولوا : بسم الله مرساها ومجراها ، إن ربي لغفور رحيم**"[(١)].

٦ – تعجيل العودة : إذا قضى ما سافر لأجله :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ، قال: "**السفر قطعة من العذاب ، يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه ، فإذا قضى أحدكم نهمته فليعجل إلى أهله**"[(٢)].

٧ – الصلاة بالمسجد عند العودة :

عن كعب بن مالك رضي الله عنه؛ **أن رسول الله ﷺ كان لا يقدم من سفر إلا نهاراً في الضحى ، فإذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ، ثم جلس فيه**"[(٣)].

ثانياً : أصول التعامل خارج الوطن

١ – أخذ ما يلزم وعدم الفش :

قد تقتضي حياة المسلم خروجه من بلده إلى بلد آخر ، وعندئذ يجب أن يتحلّى بكل قيم الإسلام وأخلاقه وآدابه لأنه سفير الإسلام لدى كل بلد يزوره ، ومن المعلوم أن تجار الجزيرة العربية ، هم الذين نشروا بسلوكهم القويم ، دين الله ، حيث كانوا لا يقولون إلا حقاً ، ويتمثلون أخلاق القرآن في كل معاملاتهم ، وهذا أمر يجب استمرار التأسي به ، وقد أوصانا السلف الصالح قبل أكثر من سبعة قرون بما يلزمنا اتباعه من آداب اللياقة في الخارج ، فقال: "وليجتهد ـ أي: المسافر ـ على تعلم ما يحتاج إليه في سفره ، وإن كان رسولاً من سلطان إلى سلطان أو نحوه اهتم بتعلم ما يحتاج إليه من آداب مخاطبات الكبار وجوابات ما يعرض له من المحاورات ، وما يحلُّ له من الضيافات والهدايا وما لا يحل ، وما يجب عليه من مراعاة النصيحة ،

---

(١) انظر: في كل ما تقدم وغيره الإمام محي الدين أبا زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي ، الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار تحقيق خورشيد ، دمشق ١٤٠١هـ ص (٢٩٤ – ٢٩٥).

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٠٠١) ومسلم برقم (١٩٢٧) .

(٣) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٤١٨) ومسلم برقم (٧١٦) .

وإظهار ما يبطنه وعدم الغش والخداع والنفاق ، والحذر من التسبب إلى مقدمات الغدر أو غيره مما يحرم وغير ذلك..."[1].

عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:) الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ[2]

عن جابر رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ: "**كل معروف صدقةٌ ، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلقٍ ، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك**"[3]

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**)[4]

وعنه ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنْ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنْ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ)[5]

---

(١) الإمام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدمشقي ، الأذكار المنتخبة مصدر سابق صـ٢٩٦.

(٢) متفق عليه رواه البخاري في الإيمان ب أمور الإيمان (٨)، و مسلم في الإيمان بيان عدد شعب الإيمان(٥١).

(٣) رواه الشيخان البخاري عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ رواه البخاري في الأدب كل معروف صدقة (٥٥٦٢)، ومسلم : عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ عَنْ حُذَيْفَةَ فِي حَدِيثٍ قُتَيْبَةَ قَالَ قَالَ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ رواه أيضا مسلم في الزكاة باب اسم الصدقة يقع على ..(١٦٧٣) ، رواه الترمذي في البر .. ب ماجاء في طلاقة الوجه ..(٢٠٥٤) وراجع صحيح الترمذي ٢/ ١٨٨(١٦٠٥).

(٤) رواه مسلم في البر والصلة باب استحباب طلاقة الوجه (٤٧٦٠).

(٥) قَالَ أَبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ ، رواه الترمذي في البر.. ب ما جاء في صنائع المعروف (١٨٧٩)، وراجع صحيح الترمذي ٢/ ١٨٥(١٥٩٤).

٢ – طلاقة الوجه وتمثل الأخلاق مع الناس:

روى أبو حفص في "الأدب" له بإسناده عن عائشة مرفوعاً: "إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم طلاقة الوجه وحسن البشر"[١] وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: "إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً"[٢]، وفي بعض طرق البخاري: "إن خياركم أحسنكم أخلاقاً"[٣].

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنْ النَّاسِ[٤].

ثالثاً: فنُّ التعامل في الاستئذان عند الدخول

أولا: آداب الطارق:

١- لا يجوز دخول بيت الغير إلا بالاستئذان والسلام: فالسلام يحمي الخصوصية والحريات الشخصية والأمان في المكان، قال ابن الجوزي: لا يجوز أن تدخل بيت غيرك إلا بالاستئذان لقوله تعالى: ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾[٥].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك في العلم باب خذوا العفو من .. ١/ ١٢٤ وصححه وأورده السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٣٨٩(٢٥٤٥) و عزاه للبزار وأبي نعيم والحاكم والبيهقي، وقال السيوطي:حسن وضعفه الألباني كما في ضعيف الجامع ص٢٩٧(٢٠٤٣).

(٢) متفق عليه رواه البخاري في المناقب ب صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣٥٥٩) رواه مسلم في الفضائل ب كثرة حياءه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢٣٢١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٦٠٣٥ في الأدب باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل.

(٤) رواه أحمد ١/ ٤١٥ و في الطبعة المحققة ٧/ ٥٢(٣٩٣٨)، و حسنه المحقق ، ورواه الترمذي بنحوه في صفة القيامة ب ٤٥ (٢٤٨٨)، وقال الترمذي: حسن غريب. وصححه الألباني كما في صحيح الترمذي ٢/ ٣٠٤(٢٠٢٢).

(٥) سورة النور من الآية: ٢٧.

وقال سبحانه في الإسلام: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾ [1].

٢- لا يجوز استقبال الباب عند الاستئذان: وإنما يجب البعد عنه والتعريف بشخص طارق الباب بالاسم دون الاكتفاء بذكر كلمة أنا ، وهكذا فلا يجوز أن يواجه الرجل الباب في استئذانه؛ لأن رجلاً استأذن على النبي ﷺ ، فقام مستقبل الباب ، فقال له عليه السلام: "هكذا عنك وهكذا فإنما الاستئذان من النظر" [2] ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا دَخَلَ الْبَصَرُ فَلَا إِذْنَ [3].

٣- وجوب العودة بعد الاستئذان ثلاثاً دون إذن: ومعنى ذلك أنه ليس من اللياقة استمرار الطرق على الباب أو الاستئذان إلى ما لا نهاية ، ففي الصحيحين عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ إِذْ جَاءَ أَبُو مُوسَى كَأَنَّهُ مَذْعُورٌ فَقَالَ اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ فَقَالَ مَا مَنَعَكَ قُلْتُ اسْتَأْذَنْتُ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ . فقال : والله لتقيمن عليه بينة . أمنكم أحد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبيّ بن كعب : والله لا يقوم معك : والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم فقمت معه ، فأخبرت عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك))[4].

---

(١) النور: ٦١ .

(٢) رواه أبو داود في الأدب ب في الاستئذان وصححه الألباني كما في صحيح أبي داود ص ٩٧٢ (٤٣١٠).

(٣) رواه أبو داود في الأدب في الاستئذان (٤٥٠٥) و أحمد(٨٤٣١)، وضعفه الألباني كما في ضعيف أبي داود ص٥١١ (١١١٠) وراجع السلسلة الضعيفة (٢٥٨٦).

(٤) رواه البخاري ب التسليم و الاستئذان ثلاثا (٥٨٦٧)، ومسلم في الآداب باب الاستئذان (٤٠٠٦).

ثانياً: آداب المطروق بابه:

(١) عدم ترك الأمر للحاجب ومؤانسة الطارق:

قال مروان لابنه عبدالعزيز حين ولاه مصر: يا بني مُر حاجبك يخبرك من حضر بابك كل يوم، فتكون أنت تأذن وتحجب، وآنس من دخل إليك بالحديث فينبسط إليك، ولا تعجل بالعقوبة إذا أشكل عليك الأمر، فإنك على العقوبة أقدر منك على ارتجاعها[١].

(٢) تنفيس الكرب:

وأفضل ما يقوم به المزور لزائره أن يكرم وفادته وأن ينفس عنه كربته، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)[٢].

(٣) القيام للقادم: وفي الأمر تفصيل:

فقد قال الخطابي: إن النبي ﷺ كان يقوم لابن أم مكتوم كلما أقبل ويقول: "مرحباً بمن عاتبني فيه ربي عز وجل"[٣].

وعن عائشة، قالت: دخل زيد بن حارثة المدينة ورسول الله ﷺ في بيتي، فأتاه فقرع الباب، فقام إليه رسول الله ﷺ...[٤] الحديث.

---

(١) ابن مفلح المقدسي، الآداب الشرعية، مصدر سابق جـ ٢ صـ١٠.

(٢) رواه مسلم في الذكر باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ٤/ ٢٠٧٤ (٢٦٩٩).

(٣) ذكره ابن العربي في عارضة الأحوزي ١٢/ ٢٣٢ وانظر ابن مفلح المقدسي، مؤلفه السابق جـ ٢ صـ٣٧.

(٤) رواه الترمذي في الاستئذان باب المعانقة (٢٧٣٢) وقال: حسن غريب وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي ص ٣٢٦(٢٨٨٨).

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الْهَمْدَانِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ السَّائِبِ حَدَّثَهُ أَنَّهُ بَلَغَهُ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ جَالِسًا فَأَقْبَلَ أَبَوهُ مِنْ الرَّضَاعَةِ فَوَضَعَ لَهُ بَعْضَ ثَوْبِهِ فَقَعَدَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَقْبَلَتْ أُمُّهُ مِنْ الرَّضَاعَةِ فَوَضَعَ لَهَا شِقَّ ثَوْبِهِ مِنْ جَانِبِهِ الْآخَرِ فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ أَقْبَلَ أَخُوهُ مِنْ الرَّضَاعَةِ فَقَامَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْه) [1].

وروى البيهقي من طريق الواقدي بسنده: أن رسول الله ﷺ لما دخل عليه عكرمة بن أبي جهل مسلماً مهاجراً ، فقام إليه فرحاً بقدومه[2].

وقال البيهقي: باب القيام لأهل العلم على وجه الإكرام. ثم ذكر قيام طلحة إلى كعب ، وقوله عليه السلام لما جاء سعد: " قوموا إلى سيدكم " وقال مسلم: لا أعلم في قيام الرجل للرجل حديثاً أصح من هذا[3].

وروي عن أبي هريرة ، قوله: كان النبي ﷺ يجلس معنا في المجلس ، يحدثنا فإذا قام قمنا قياماً حتى نراه قد دخل بعض بيوت أزواجه... الحديث[4].

وهكذا يبدو أن القيام لأهل العلم ولأصحاب المكانة جائز ، وفي النهي عن القيام أحاديث عديدة.

فعن أبي أمامة ، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئاً على عصا ، فقمنا إليه ، فقال: " لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً "[5].

---

(١) رواه أبو داود في الأدب في الاستئذان (٥١٤٥) و وضعفه الألباني كما في السلسلة الضعيفة (١١٢٠)

(٢) ورد في مغازي الواقدي ٢/ ٨٥١-٨٥٢ ورواه مالك عن الزهري مرسلاً في الموطأ ٢/ ٥٤٥ وأخرجه من طريقه البيهقي ٧/ ١٨٧.

(٣) وحديثه ﷺ أخرجه البخاري ٣٠٤٣ ومسلم ١٧٦٨. ونظر ابن مفلح المقدسي، في المصدر السابق صـ٣٥.

(٤) أخرجه أحمد ٢/ ٢٨٨، والنسائي ٨/ ٣٣-٣٤ وأبو داود ٤٧٧٥.

(٥) رواه أبو داود في الأدب ب في قيام الرجل للرجل ، وضعفه الألباني كما في ضعيف أبي داود ص ٥١٦ (١١٢٠).

وعن أنس ، قال: لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلموا من كراهيته لذلك ، رواه أحمد والترمذي[1].

وفي النهاية فقد صح عنه عليه السلام ، قال: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا" [2].

وقال ابن الجوزي: وقد كان النبي ﷺ إذا خرج لا يقومون له لما يعرفون من كراهيته لذلك[3] ، وهذا كان شعار السلف ، ثم صار ترك القيام كالاستعانة بالشخص فينبغي أن يُقام لمن يصلح.

وقال الشيخ تقي الدين في الفتاوى المصرية: ينبغي ترك القيام في اللقاء المتكرر المعتاد ونحوه ، لكن إذا اعتاد الناس القيام ، وقدم من لا يرى كرامته إلا به ، فلا بأس به ، فالقيام دفعاً للعداوة والفساد ، خير من تركه المفضي إلى الخسارة ، وينبغي مع هذا ، أن يسعى في الإصلاح على متابعة السنة[4].

رابعاً: التواضع ومكارم الأخلاق علامة فارقة مقارنة بالتشريفات الغربية

التواضع سمة من أهم سمات الآداب الإسلامية بوجه عام ، وآداب اللياقة بوجه خاص ، ولذا فإنه يمكن ذكر بعض الأمثلة.

أولاً: عموميات:

١ – حسن الخلق هو حسب الإنسان: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصيته لابنه: لا مال أعود من العقل ، ولا فقر أشد من الجهل ، ولا وحدة أوحش من العجب ولا مظاهرة كالمشاورة ، ولا حسب كحسن الخلق[5].

---

(١) وقال: حسن صحيح غريب، وهذا حديث صحيح أخرجه أحمد ٣/ ١٣٢، ٢٥٠-٢٥١ والبخاري في الأدب المفرد ٩٤٦ والترمذي في السنن ٢٧٥٤.

(٢)حديث صحيح راجع صحيح الجامع ص٩٥٧ (٥٤٤٤) وص٩٥٨(٥٤٤٥)

(٣) رواه أحمد ٣:١٣٢ و ط المحققة ١٩:٣٥٠ (١٢٣٤٥) وقال المحقق : إسناده صحيح.

(٤) انظر: ابن مفلح المقدسي، المصدر السابق جـ٢ صـ٢٧.

(٥) ابن مفلح المقدسي، الآداب الشرعية، مصدر سابق جـ٢ صـ٣٢٣.

٢ - والتواضع لا يكون إلا لكريم: وإذا كانت الراحة ثمرة القناعة ، والمحبة ثمرة التواضع ، فإن للتواضع ضوابطه ومنها ما قاله عبدالله بن المبارك: التعزز على الأغنياء تواضع ، وكان سليمان بن داود عليهما السلام يجيء إلى أوضع مجالس بني إسرائيل ويقول: مسكين بين ظهراني مساكين ، وقال لقمان لابنه: يا بني تواضع للحق تكن أعقل الناس ، وقال بعض الحكماء: إذا نسك الشريف تواضع ، وإذا نسك الوضيع تكبر ، وقال البعض: أظلم الناس لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ورغب فيمن يبعده[١].

٣ - والتواضع تذكر لأول الإنسان وآخره: قال مالك بن دينار: كيف ينبه من أوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة.

ثانياً: أساسيات نبوية شريفة:

١- ذكر ابن عبدالبر الخبر عن رسول الله ﷺ: " لا حسب إلا في التواضع ، ولا نسب إلا بالتقوى ولا عمل إلا بالنية ، ولا عبادة إلا باليقين "[٢].

٢- وقال ﷺ: " ثلاث من حرمهم فقد حرم خير الدنيا والآخرة: عقل يداري به الناس ، وحِلم يردُّ به السفيه ، وورع يحجزه عن المحارم "[٣].

٣- وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ ، فقالت: كان خلقه القرآن[٤].

٤- وكان ﷺ يعامل كل إنسان على قدر عقله ، فعن أنس رضي الله عنه أن امرأة كان في عقلها شيء ، فقالت: يارسول الله! إن لي إليك حاجة ، فقال: ياأم فلان! انظري أي السكك شئت عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا

(١) المصدر السابق صـ٣٢١.
(٢) بهجة المجالس ١/ ٤٤٣.
(٣) عزاه ابن مفلح في الآداب الشرعية مصدر سابق جـ٢ صـ٣٢٢ في إخراجه إلى ابن أبي الدنيا في العقل وفضله صـ٦٨.
(٤)رواه البخاري في الأدب المفرد بهذا اللفظ، وكذلك رواه أحمد وعبد الرزاق و ابن جرير في تفسير سورة القلم، ورواه مسلم بمعناه في أثناء حديث في كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل (٧٤٦)، ورواه بنحوه أبو داود، وانظر أيضا صحيح الجامع ٤/ ٢٣٨(٤٦٨٧).

شَيْءٌ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً فَقَالَ يَا أُمَّ فُلَانٍ انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا) (١).

٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ) (٢).

وقال ﷺ: "إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً" (٣).

حَدَّثَنَا مُحَاضِرٌ أَبُو الْمُوَرِّعِ حَدَّثَنَا عَاصِمٌ عَنْ عَوْسَجَةَ بْنِ الرَّمَّاحِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْهُذَيْلِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ اللَّهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقِي فَأَحْسِنْ خُلُقِي) (٤).

وعن ابن مسعود مرفوعاً: "حُرم على النار كلُّ هين لين سهل قريب من الناس" (٥).

(عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ) (٦).

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:) لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ) (٧).

---

(١) رواه مسلم في الفضائل باب قرب النبي عليه السلام من الناس (٢٣٢٦)

(٢) رواه البخاري في الهبه وفضلها باب التقليل من الهبة (٢٣٨٠)

(٣) متفق عليه رواه البخاري في المناقب ب صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣٥٥٩) رواه مسلم في الفضائل ب كثرة حياءه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢٣٢١).

(٤) رواه أحمد النسخة المحققة ٦/ ٣٧٣(٣٨٢٣) قال المحقق:إسناده حسن... وورد حديث صحيح آخر عن عائشة كما في صحيح الترغيب والترهيب(٢٦٥٧).

(٥) رواه أحمد ١/ ٤١٥ و في الطبعة المحققة ٧/ ٥٢(٣٩٣٨)، و حسنه المحقق ، ورواه الترمذي بنحوه في صفة القيامة ب ٤٥ (٢٤٨٨)، وقال الترمذي: حسن غريب. وصححه الألباني كما في صحيح الترمذي ٢/ ٣٠٤(٢٠٢٢).

(٦) رواه أبو داود في الأدب باب حسن الخلق (٤١٦٧) راجع صحيح أبي داود ٣/ ٩١١ (٤٠١٥).

(٧) رواه مسلم باب استحباب طلاقة الوجه ...ص ٢٠٢٦(٢٦٢٦).

وروى الخلال عن سهل بن سعد مرفوعاً: " إن الله كريم يحب الكريم ومعالي الأخلاق ويكره سفسافها " وروى أيضاً عن جابر مرفوعاً: " إن الله يحب مكارم الأخلاق ويكره سفسافها "[1].

خامساً: السلوك الإسلامي في المأكل والمشرب :

إنَّ تربية الذوق وتنميته لدى الشخص المسلم يبدأ منذ نعومة أظافره ، فمن الأمور المطلوبة تدريبُ النشءِ على تذوق الجمال ؛ حيث إن الكون أمامه وهو كتاب الله المنظور قد حفل بصور الجمال والبهاء والجلال ، فتتعود العين على تذوق الجمال في الورود والأزهار والأشجار والأنهار وألوان الشفق والغسق وفي الروائح والأصوات الرخيمة والألوان المتناسقة[2].

ومن سلوك المسلم السوى الإيثار وهو أن تؤثر بالموجود ، وألا تطلب المفقود والقرآن يشير إليه في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[3].

ومن الإيثار أن تقدم حقوق الخلق أجمع على حقك ، لا تميز في ذلك بين أخ وصاحب وصديق.

ويدعو الإسلام لمقابلة الآخرين بالانبساط والسرور وهذا يؤدي إلى تأليف القلوب.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ أَبُو الْحَسَنِ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:) يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ)[4].

---

(١)رواه الحاكم في الإيمان١/ ٤٨ وصححه ووافقه الذهبي

(٢) محمد نعمان جلال.. دراسة حول قواعد البروتوكول، القاهرة، الهيئة ١٩٩٥.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٤) رواه البخاري في الاستئذان باب تسليم القليل .. الفتح ١٤:١١(٦٢٣١)، ومسلم في السلام باب تسليم الراكب ..(٢١٦٠).

حتى إذا دخل المسلم بيته ولم يجد أحداً فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وإذا دخل مجلساً فسلم وأراد القيام فيسن له أيضاً السلام إذا انصرف من المجلس ، وينبغي الإشارة إلى أن السلام للنساء لا ينبغي أن يكون فيه مصافحة باليد ، بل يكتفي بإلقاء السلام مشافهة ، وقد بايع النبي ﷺ النساء دون أن يصافحهن ، وقال: " إني لا أصافح النساء إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة " ، [مالك].

أما بالنسبة للرجل مع الرجل والمرأة مع المرأة ، والرجل مع محارمه فلا مانع من المصافحة باليد ، بل إنها تستحب.

وكما أن المصافحة تتأكد عند حصول الفرح والمرح والسرور ليكون ذلك للتعبير عن فرح المؤمن بفرح أخيه والمباركة له ، فإنها تتأكد أيضاً عند حصول المصيبة تعبيراً عن الحزن لما نزل به ، ومن باب المواساة والحث على الصبر والتسليم ، وفي قصة توبة كعب بن مالك رضي الله عنه بعد هجر المسلمين له وبعد أن نزلت التوبة من السماء يقول كعب: " دخلت المسجد فإذا برسول الله ﷺ ، فقام إليَّ طلحة بن عبيدالله يهرول حتى صافحني وهنأني ، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره ، فكان كعب لا ينساها لطلحة. ومن أجل ذلك كان للمصافحة شأنها وأجرها الكريم عند الله ، فقد روي عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ فَتَصَافَحَا وَحَمِدَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَاسْتَغْفَرَاهُ غُفِرَ لَهُمَا) [1] ، وعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ عَبْدِ اللَّهِ الْخُرَاسَانِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَصَافَحُوا يَذْهَبْ الْغِلُّ وَتَهَادَوْا تَحَابُّوا وَتَذْهَبْ الشَّحْنَاءُ)[2].

ويحثُّ الإسلام المرء على أن يكون نظيفاً في ملابسه وأن تكون رائحته زكية.

(١) رواه أبو داود في الأدب باب في المصافحة (٥٢١٢) ورواه أيضا أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني راجع صحيح أبي داود (٤٣٤٣) ٣/ ص٩٧٩

(٢) متفق عليه رواه البخاري مطولا و مختصرا في ١٧ موضعا والرواية المطولة في المغازي باب حديث كعب.. (٤٤١٨) و مسلم في التوبه باب حديث توبة كعب ص٢١٢٠ (٢٧٦٩).

وليس من الضروري أن يكون المسلم جادا طوال الوقت ولكن يمكن أن يمزح ويتبسط مع الناس بالمداعبة ، وإن كان الإسلام لا يحبذ كثرة المزاح لأنه يفقد المهابة والاحترام[1].

ومن آداب الإسلام في التعامل مع الناس توقير الكبير واحترامه ، وإظهار الرحمة والشفقة على الصغير.

وقد نهى ديننا الحنيف عن أكل الثوم والبصل والكرات أو غيره مما له رائحة كريهة عند دخول المسجد قبل زوال رائحته إلا لضرورة وكذلك ينبغي في أماكن التجمعات واللقاءات ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ زَعَمَ عَطَاءٌ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزِلْنَا أَوْ قَالَ فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِقِدْرٍ فِيهِ خَضِرَاتٌ مِنْ بُقُولٍ فَوَجَدَ لَهَا رِيحًا فَسَأَلَ فَأُخْبِرَ بِمَا فِيهَا مِنْ الْبُقُولِ فَقَالَ قَرِّبُوهَا إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ كَانَ مَعَهُ فَلَمَّا رَآهُ كَرِهَ أَكْلَهَا قَالَ كُلْ فَإِنِّي أُنَاجِي مَنْ لَا تُنَاجِي[2].

وجدير بالإشارة أن الإمام الغزالي حاول في كتابه (جواهر القرآن) أن يحلل جوهر القرآن إلى عنصرين أساسيين يتصل أحدهما بالمعرفة ويتصل الآخر بالسلوك ، وانتهى إلى أن حصر في القرآن من النوع الأول سبعمائة وثلاثاً وستين آية ، وحصر من النوع الثاني سبعمائة وإحدى وأربعين آية.

إن الإسلام روحاً وفكراً وفلسفة وسلوكاً عقيدة وشريعة ما زال حياً ينبض بكل القيم ومظاهر السلوك التي لا تتنافى مع مقتضيات العصر الحديث بل تسايره وتتفوق عليه ، ونتحدث فيما يلي من فصول عن آداب السلوك والأتيكيت والبروتوكول في الإسلام في الحياة الخاصة والعامة[3].

---

(١) محمد نعمان جلال. دراسة حول قواعد البروتوكول. القاهرة، الهيئة ١٩٩٥.

(٢) متفق عليه رواه البخاري في الأذان باب ماجاء في الثوم ... (٨٥٣) ورواه مسلم في المساجد باب من أكل ثوما ... ١/٣٩٦(٥٦٤).

(٣) من كتاب: آداب السلوك في الإسلام، الإيتيكت والبروتوكول، كمال محمد علي.

جملة آداب إسلامية في الطعام والشراب لحماية الصحة العامة

(١) النهي عن التنفس في الإناء والنفخ فيه :

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يَتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ وَأَنْ يَمَسَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَأَنْ يَسْتَطِيبَ بِيَمِينِهِ متفق عليه رواه البخاري في الأشربة في الإناء النهي عن التنفس في الإناء الفتح ١٠/ ٩٢(٥٦٣٠) [١] .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يَتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ وَأَنْ يَمَسَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَأَنْ يَسْتَطِيبَ بِيَمِينِهِ عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه[٢]

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ النَّفْخِ فِي الشَّرَابِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ النَّفْخِ فِي الشُّرْبِ فَقَالَ رَجُلٌ الْقَذَاةُ أَرَاهَا فِي الْإِنَاءِ قَالَ أَهْرِقْهَا قَالَ فَإِنِّي لَا أَرْوَى مِنْ نَفَسٍ وَاحِدٍ قَالَ فَأَبِنْ الْقَدَحَ إِذَنْ عَنْ فِيكَ[٣]

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يَتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ وَأَنْ يَمَسَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَأَنْ يَسْتَطِيبَ بِيَمِينِهِ[٤]

---

(١) رواه مسلم في الطهارة باب النهي عن الاستنجاء. .. (٢٦٧).

(٢) رواه الترمذي في كِتَاب الْأَشْرِبَةِ بَاب مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ النَّفْخِ فِي الشَّرَابِ و (١٨٨٩) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني راجع صحيح الترمذي١٨٨٨

(٣) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيح رواه الترمذي في كِتَاب الْأَشْرِبَةِ بَاب مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ النَّفْخِ فِي الشَّرَابِ قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وصححه الألباني راجع صحيح الترمذي ١٨٨٧.

(٤) متفق عليه رواه البخاري في الأشربة في الإناء النهي عن التنفس في الإناء الفتح ١٠/ ٩٢(٥٦٣٠) رواه مسلم في الطهارة باب النهي عن الاستنجاء. .. (٢٦٧).

(٢) النهي عن الأكل من أعلى الإناء:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلَا يَأْكُلْ مِنْ أَعْلَى الصَّحْفَةِ وَلَكِنْ لِيَأْكُلْ مِنْ أَسْفَلِهَا فَإِنَّ الْبَرَكَةَ تَنْزِلُ مِنْ أَعْلَاهَا) [١].

عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُسْرٍ قَالَ كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَصْعَةٌ يُقَالُ لَهَا الْغَرَّاءُ يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ فَلَمَّا أَضْحَوْا وَسَجَدُوا الضُّحَى أُتِيَ بِتِلْكَ الْقَصْعَةِ يَعْنِي وَقَدْ ثُرِدَ فِيهَا فَالْتَفُّوا عَلَيْهَا فَلَمَّا كَثُرُوا جَثَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ مَا هَذِهِ الْجِلْسَةُ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُوا مِنْ حَوَالَيْهَا وَدَعُوا ذِرْوَتَهَا يُبَارَكْ فِيهَا [٢].

(٣) الأكل من موضع واحد إذا كان لون الطعام واحداً وإلا فتعدد الأماكن جائز:

فعن عكراش بن ذؤيب التميمي رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، أنه أخذ بيده ، فانطلق به إلى منزل أم سلمة رضي الله عنها ، فقال: ' هل من طعام؟ ' فأتتنا بجفنة كثيرة الثريد والودك فأقبلنا نأكل منها ، فقبض رسول الله ﷺ بيده اليسرى على يدي اليمنى ثم قال: ياعكراش كل من موضع واحد حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا الْعَلَاءُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي سَوِيَّةَ أَبُو الْهُذَيْلِ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عِكْرَاشٍ عَنْ أَبِيهِ عِكْرَاشِ بْنِ ذُؤَيْبٍ قَالَ بَعَثَنِي بَنُو مُرَّةَ بْنِ عُبَيْدٍ بِصَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ فَوَجَدْتُهُ جَالِسًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ قَالَ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَانْطَلَقَ بِي إِلَى بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ فَقَالَ هَلْ مِنْ طَعَامٍ فَأُتِينَا بِجَفْنَةٍ كَثِيرَةِ الثَّرِيدِ وَالْوَدْرِ وَأَقْبَلْنَا نَأْكُلُ مِنْهَا فَخَبَطْتُ بِيَدِي مِنْ نَوَاحِيهَا وَأَكَلَ

(١) رواه أبو داود في الأشربة ب ما جاء في الأكل من أعلى .. (٣٧٧٢) وصححه الألباني راجع صحيح أبي داود (٣٢٠٦) ٢/ ص٧١٨

(٢) رواه أبو داود في الأشربة ب ما جاء في الأكل من أعلى .. (٣٧٧٣) وصححه الألباني راجع صحيح أبي داود (٣٢٠٧) ٢/ ص٧١٩

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَقَبَضَ بِيَدِهِ الْيُسْرَى عَلَى يَدِي الْيُمْنَى ثُمَّ قَالَ يَا عِكْرَاشُ كُلْ مِنْ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ فَإِنَّهُ طَعَامٌ وَاحِدٌ ثُمَّ أُتِينَا بِطَبَقٍ فِيهِ أَلْوَانُ الرُّطَبِ أَوْ مِنْ أَلْوَانِ الرُّطَبِ عُبَيْدُ اللَّهِ شَكَّ قَالَ فَجَعَلْتُ آكُلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَجَالَتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الطَّبَقِ وَقَالَ يَا عِكْرَاشُ كُلْ مِنْ حَيْثُ شِئْتَ فَإِنَّهُ غَيْرُ لَوْنٍ وَاحِدٍ ثُمَّ أُتِينَا بِمَاءٍ فَغَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ وَمَسَحَ بِبَلَلِ كَفَّيْهِ وَجْهَهُ وَذِرَاعَيْهِ وَرَأْسَهُ وَقَالَ يَا عِكْرَاشُ هَذَا الْوُضُوءُ مِمَّا غَيَّرَتْ النَّارُ قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ الْعَلَاءِ بْنِ الْفَضْلِ وَقَدْ تَفَرَّدَ الْعَلَاءُ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَلَا نَعْرِفُ لِعِكْرَاشٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا هَذَا الْحَدِيثَ [1].

(٤) تسمية الله تعالى والأكل باليمين من الشيء القريب:

يقول ابن القيم رحمه الله في ذكر الطعام والشراب ، قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [2] ، عن عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ يَقُولُ كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ عن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ كُنْتُ فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ [3] ، **وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: " إذا أكل أحدكم**

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الأطعمة باب ما جاء في التسمية على الطعام (١٧٤٩)

و اللفظ الخطأ فأكل و الصح: فقبض وضعفه الترمذي وانظر أيضا ضعيف الترمذي ص ٢١٠ (٣١٦).

(٢) سورة البقرة: ١٧٢.

(٣) رواه البخاري في الأطعمة باب التسمية على الطعام الفتح ٩/ ٥٢١ (٥٣٧٦) ومسلم في الأشربة ب أداب الطعام (٢٠٢٢).

فليذكر اسم الله تعالى في أوله ، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل: بسم الله أوله وآخره[1].

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا وَرَجُلٌ يَأْكُلُ فَلَمْ يُسَمِّ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ طَعَامِهِ إِلَّا لُقْمَةٌ فَلَمَّا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ فَلَمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ اسْتَقَاءَ مَا فِي بَطْنِهِ)[2].

(٥) كراهة الاكل والشرب قائماً فثم مانع ومبيح :

قال ابن حزم: اتفقوا على إباحة الأكل والشرب في غير حال القيام ، واختلفوا في الأكل والشرب قائماً فمن مانع ومبيح[3].

وفي مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ الشُّرْبِ قَائِمًا[4] ، وروى أن قتادة قال: قلت لأنس: فالأكل؟ قال: ذاك أشر وأخبث[5] ، ولمسلم من حديث أبي هريرة: "فإذا نسى فليستقئ"[6].

ولكن عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرِبَ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ وَهُوَ قَائِمٌ)[7] ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى الظُّهْرَ ثُمَّ قَعَدَ فِي حَوَائِجِ النَّاسِ فِي رَحَبَةِ الْكُوفَةِ حَتَّى حَضَرَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ ثُمَّ أُتِيَ بِمَاءٍ فَشَرِبَ وَغَسَلَ

(١) رواه أبو داود في الأشربة باب التسمية على الطعام (٣٧٦٧) وصححه الألباني راجع صحيح أبي داود (٣٢٠٢) ٢/ ص٧١٨ تقدم مفصلا ص ١٥٣

(٢) رواه أبو داود في الأطعمة باب التسمية على الطعام (٣٢٧٦) و ضعفه الألباني راجع ضعيف أبي داود ص ٣٧١ (٨٠٦).

(٣) أورده ابن مفلح المقدسي في الآداب الشرعية جـ٣ صـ٣٠٧.

(٤) رواه مسلم في الأشربة باب كراهية الشرب قائما (٢٠٢٥)أو (٣٧٧٤).

(٥) أخرجه مسلم ٢٠٢٥ والترمذي ١٨٧٩.

(٦) صحيح مسلم ٢٠٢٠٦.

(٧) رواه البخاري في رواه مسلم في الأشربة باب الشرب من زمزم قائما(٢٠٢٧) أو (٣٧٧٧).

وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَذَكَرَ رَأْسَهُ وَرِجْلَيْهِ ثُمَّ قَامَ فَشَرِبَ فَضْلَهُ وَهُوَ قَائِمٌ ثُمَّ قَالَ إِنَّ نَاسًا يَكْرَهُونَ الشُّرْبَ قِيَامًا وَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُ)[1].

عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ كُنَّا نَأْكُلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نَمْشِي وَنَشْرَبُ وَنَحْنُ قِيَامٌ [2] **ويُسَنُّ أن يصغر اللقمة ويجيد المضغ كما يُسَنُّ الأكل بثلاثة أصابع ويسن أن يلعق أصابعه قبل غسلها أو مسحها.** عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى وَلْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ وَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ بِالْمِنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ)[3].

(٦) حمد الله على الأكل والشرب وعدم عيبه :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنْ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا)[4]. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ مَا عَابَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا قَطُّ كَانَ إِذَا اشْتَهَى شَيْئًا أَكَلَهُ وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ)[5].

عن وَحْشِيُّ بْنُ حَرْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ قَالَ فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ)[6].

---

(١) رواه البخاري في الأشربة باب الشرب قائما (٥١٨٥).

(٢) قَالَ أَبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ رواه أَبو عِيسَى الترمذي في كِتَاب الْأَشْرِبَةِ بَاب مَا جَاءَ فِي الرخصة في الشرب (١٨٠٢). راجع صحيح الترمذي ٢/ ١٧٢ (١٥٣٣) ورواه أيضا ابن ماجه وأحمد.

(٣) رواه مسلم في الأشربة باب استحباب لعق ...((٢٠٣٣) أو (٣٧٩٣).

(٤) رواه مسلم في الذكر والدعاء باب استحباب حمد الله ...(٤٩١٥)

(٥) متفق عليه رواه البخاري في المناقب باب صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٣٢٩٩) و رواه مسلم في الأشربة باب لا يعيب طعاما (٣٨٤٤).

(٦) رواه أبو داود في كتاب الأطعمة باب الاجتماع على طعام/ راجع صحيح سنن أبي داود كتاب الأطعمة باب الاجتماع على طعام ٧١٧\١٢(٣١٩٩)

عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) [1].عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مُوَدَّعٍ وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا) [2]عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ وَقَالَ مَرَّةً إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قَالَ(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَانَا وَأَرْوَانَا غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مَكْفُورٍ وَقَالَ مَرَّةً الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبَّنَا غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مُوَدَّعٍ وَلَا مُسْتَغْنًى رَبَّنَا) [3].

(٧)وجوب المضمضة من شرب اللبن وكل دسم :

فضل اللبن عظيم ، ذكره الأطباء ، وهو غذاء الوليد والشيخ الفاني وله آدابه ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَطْعَمَهُ اللَّهُ الطَّعَامَ فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ وَمَنْ سَقَاهُ اللَّهُ لَبَنًا فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزِئُ مَكَانَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ غَيْرُ اللَّبَنِ [4].

وتُسنُّ المضمضة من شربه ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرِبَ لَبَنًا ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَتَمَضْمَضَ وَقَالَ إِنَّ لَهُ دَسَمًا)[5] ، وشيب له بماء فشرب وذلك في الصحيحين[6].

(١) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ رواه الترمذي في الدعوات باب مايقول إذا فرغ من الطعام ، راجع صحيح سنن الترمذي في الدعوات باب مايقول إذا فرغ من الطعام ١٥٩\٣ (٢٧٥١)وقال الألباني: حديث حسن .

(٢) رواه البخاري في كتاب الأطعمة باب مايقول إذا فرغ من طعامه (٥٤٥٨) أو (٥٠٣٧).

(٣) رواه البخاري في كتاب الأطعمة باب مايقول إذا فرغ من طعامه (٥٤٥٩) أو (٥٠٣٨).

(٤)قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ رواه الترمذي في الدعوات باب مايقول إذا أكل طعاما ٤٧٢:٥ (٣٤٥٥) وحسنه وحسنه الألباني أيضا. راجع صحيح سنن الترمذي في الدعوات باب مايقول إذا..٣/ ١٥٨(٢٧٤٩)

(٥) متفق عليه رواه البخاري في الوضوء باب (٢٠٤) ومسلم في الحيض باب نسخ الوضوء مما مست النار(٤٣٧).

(٦) ابن مفلح المقدسي، الآداب الشرعية، جـ٣ مصدر سابق صـ٣٦٧.

(٨) الحث على النظافة والتطيب:

ومن آداب اللياقة الصحية في الإسلام استحباب غسل اليدين قبل الطعام وبعده، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَعِيلَ حَدَّثَنَا قَيْسٌ عَنْ أَبِي هَاشِمٍ عَنْ زَاذَانَ عَنْ سَلْمَانَ قَالَ قَرَأْتُ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ بَرَكَةَ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ قَبْلَهُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ بَرَكَةُ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ قَبْلَهُ وَالْوُضُوءُ بَعْدَهُ وَكَانَ سُفْيَانُ يَكْرَهُ الْوُضُوءَ قَبْلَ الطَّعَامِ) [(١)]. والمقصود هو غسل اليدين ، وهو الوضوء اللغوي عند الحنفية ، وقال البيهقي: الحديث في غسل اليدين بعد الطعام حسن ولم يثبت في غسل اليدين قبل الطعام حديث[(٢)] ، قلت: ولكنه أولى إمعاناً في النظافة.

ومن الآداب الإسلامية في النظافة عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي حَسَّانَ قَالَ سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ فَنَظِّفُوا أُرَاهُ قَالَ أَفْنِيَتَكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ قَالَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِمُهَاجِرِ بْنِ مِسْمَارٍ فَقَالَ حَدَّثَنِيهِ عَامِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَهُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ نَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ[(٣)] وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ) [(٤)]. وكذلك استعمال ما يقوم مقام السواك مثل فرشاة الأسنان قبل النوم والعناية بنظافة الفم والأسنان. وقد حث القرآن الكريم على التزين والتطيب عند الذهاب إلى المسجد في قوله تعالى : ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ [سورة الأعراف ، ٣١]. عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) قَالَ أَبُو دَاوُد وَهُوَ ضَعِيفٌ راجع ضعيف أبي داود كتاب الأطعمة باب غسل اليد قبل ..ص٣٧٠(٨٠٤).
(٢) أورده ابن مفلح المقدسي في مصنفه السابق جـ٣ صـ٣٧١.
(٣) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَخَالِدُ بْنُ إِلْيَاسَ يُضَعَّفُ وَيُقَالُ ابْنُ إِيَاسٍ رواه الترمذي كِتَاب الأَدَبِ بَاب مَا جَاءَ فِي النَّظَافَةِ ٥/ ١٠٣ (٢٧٩٩) وحسنه الشيخ شعيب في جامع الأصول ٤/ ٧٦٦.
(٤) متفق عليه رواه البخاري في الجمعة باب السواك يوم الجمعة الفتح ٢/ ٣٧٤(٨٨٧)، ومسلم في الطهارة باب السواك (٢٥٢).

وَسَلَّمَ حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ)[1] وقد أثر عنه ﷺ أن طيبه كان المسك وفي التأسي بالنبي ﷺ في النظافة واستعمال الطيب ما يقرب بين المسلمين، ولا ينفر بعضهم من بعض، وتتوثق أواصر القربى، ولا تنفر منهم الملائكة، ولهذا كرّه النبي ﷺ لمن أكل البصل أو الثوم أن يذهب إلى المسجد خشية إيذاء المصلين.

(٩) استجلاب البركة بالانتظار حتى يذهب فور الطعام الساخن:

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا أُتِيَتْ بِثَرِيدٍ أَمَرَتْ بِهِ فَغُطِّيَ حَتَّى يَذْهَبَ فَوْرَةُ دُخَانِهِ وَتَقُولُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ هُوَ أَعْظَمُ لِلْبَرَكَةِ [2].

(١٠) عدم إخجال الجليس بالقيام قبل رفع المائدة:

ومن آداب اللياقة بالغة الأهمية انتظار الآكلين بعضهم بعضاً حتى ترفع المائدة: عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يُقَامَ عَنْ الطَّعَامِ حَتَّى يُرْفَعَ [3].

عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(إِذَا وُضِعَتْ الْمَائِدَةُ فَلَا يَقُومُ رَجُلٌ حَتَّى تُرْفَعَ الْمَائِدَةُ ، وَلَا يَرْفَعُ يَدَهُ وَإِنْ شَبِعَ حَتَّى يَفْرُغَ الْقَوْمُ وَلْيُعْذِرْ فَإِنَّ الرَّجُلَ يُخْجِلُ جَلِيسَهُ فَيَقْبِضُ يَدَهُ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي الطَّعَامِ حَاجَةٌ) [4].

(١١) مراعاة آداب المائدة الأخرى:

يقول أهل العلم: يكره الأكل على الطريق ، ومن الأدب ألا يكثر النظر إلى وجوه الآكلين ، لأنه مما يحشمهم ، ولا يتكلم على الطعام بما يستقذر من الكلام ، ولا

---

(١) رواه النسائي في عشرة النساء ٧/ ٦١ باب حب النساء (٣٨٧٨) وراجع صحيح النسائي ٣/ ٨٢٧(٣٦٨٠).

(٢) رواه الدارمي في الأطعمة باب النهي عن أكل الطعام الحار (١٩٥٨). و رواه البيهقي في الصداق باب ماجاء في الطعام الحار ٧/ ٢٨٠.

(٣) رواه ابن ماجه في الأطعمة باب الأكل على الخوان (٣٢٩٤)أو باب نَهَى أَنْ يُقَامَ عَنْ الطَّعَامِ حَتَّى يُرْفَعَ .. (٣٢٨٥) ، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه ص٢٦٤ (٧١٢)

(٤) رواه ابن ماجه في الأطعمة باب الأكل على الخوان (٣٢٩٥) أو باب نَهَى أَنْ يُقَامَ عَنْ الطَّعَامِ حَتَّى يُرْفَعَ .. (٣٢٨٦) وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه ص٢٦٥ (٧١٣).

بما يضحكهم خوفاً عليهم من الشرق ، ولا بما يحزنهم لئلا ينغص على الآكلين أكلهم ، ويكره أكل البقلة الخبيثة وهي الثوم والبصل والكراث لكراهة ريحه... ولا يمسح يده بالخبز ولا يستبدله ولا يخلط طعاماً بطعام[1].

(١٢) عدم أكل الإنسان كل ما يشتهيه فذلك سرف:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مِنْ السَّرَفِ أَنْ تَأْكُلَ كُلَّ مَا اشْتَهَيْتَ[2] ، عَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ [3].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: " الكافر يأكل من سبعة أمعاء ، والمؤمن يأكل في معي واحد "[4].

(١٣) عدم وضع النوى مع التمر في الطبق:

ومن أطيب آداب الطعام ، أن ما يخرج من فم الإنسان أو من يده كالنوى لا يجوز وضعه مع التمر في إناء واحد إمعاناً في النظافة: فعن أنس رضي الله عنه أنه كان يكره أن يضع النوى مع التمر على الطبق[5] رد على ما ذكره البيهقي ، وقال ابن الجوزي في آداب الأكل: ولا يجمع بين النوى والتمر في طبق ، ولا يجمعه في كفه بل يضعه من فيه على ظهر كفه ثم يلقيه... ".

---

(١) ابن مفلح المقدسي، ومصدره الذي أشار إليه في مؤلفه السابق، جـ٣ صـ٣٥٣، ٣٥٤.

(٢) رواه ابن ماجه في الأطعمة باب إن من السرف.. ٢/ ١١١٢وقال البوصيري في الزوائد : ضعيف جدا، الألباني في ضعيف ابن ماجه ص ٢٧٠: موضوع.

(٣) رواه الترمذي في الزهد ب كراهية كثرة الأكل(٢٣٨٠) و قَالَ أَبُو عِيسَى الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، راجع صحيح سنن الترمذي في الزهد ب كراهية كثرة الأكل ٢/ ٢٨١(١٩٣٩) و رواه ابن ماجه في الأطعمة باب الاقتصاد في الأكل .. ٢/ ١١١١((٣٣٤٩).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم ٥٣٩٣ ومسلم برقم ٢٠٦٤.

(٥) انظر: ذلك في ابن مفلح المقدسي، والآداب الشرعية جـ٣ مصدر سابق صـ٣٧٤.

(١٤) ويستحب دعاء المرء لمن يأكل طعامه :

فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة فجاء بخبز وزيت فأكل ثم قال النبي ﷺ: "أفطرَ عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة"[(١)].

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ صَنَعَ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا فَدَعَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ فَلَمَّا فَرَغُوا قَالَ أَثِيبُوا أَخَاكُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِثَابَتُهُ قَالَ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا دُخِلَ بَيْتُهُ فَأُكِلَ طَعَامُهُ وَشُرِبَ شَرَابُهُ فَدَعَوْا لَهُ فَذَلِكَ إِثَابَتُهُ [(٢)].

(١٥) احترام النعمة وشكرها ولو تمثلت في كسرة ملقاة على الأرض :

فعن عائشة رضي الله عنها ، قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ فرأى كسرة ملقاة فمسحها ، فقال: "يا عائشة! أحسني جوار نعم الله عليك ، فإنها قلّ أن نفرت عن قوم فكادت أن ترجع إليهم"[(٣)].

وذكر ابن عبدالبر أن رسول الله ، قال: "ما أنعم الله على عبد نعمة فعلم أنها من عندالله إلا كتب الله عزّ وجلّ له شكرها ، وما علم الله من عبد ندامة على ذنب إلا غفر له قبل أن يستغفر ، وإن الرجل ليلبس الثوب فيحمد الله فما يبلغ ركبتيه حتى يغفر له"[(٤)].

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ١٤٢٥ وأحمد ٣/ ١٣٨ وأبو داود ٣٨٥٤ والبيهقي ٧/ ٢٢٨٧ والبغوي ٣٣٢٠ وابن حبان ٥٢٩٦ وهو صحيح.

(٢) رواه أبو داود في كتاب الأطعمة باب ما يقول الرجل إذا طعم، راجع ضعيف أبي داود كتاب الأطعمة باب ما يقول الرجل إذا طعم .. ص٣٨١(٨٣٠).

(٣) انظر: ابن مفلح المقدسي، في مؤلفه السابق جـ٣ صـ٣٨٠ ، وقال في هامش ١: أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر.

(٤) بهجة المجالس ١/ ٣١٢.

(١٦) الانتشار في الأرض بعد الطعام:

قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ ﴾ [١] ، وقال ابن الجوزي: كانوا يجلسون بعد الأكل فيتحدثون طويلاً ، وكان ذلك يؤذي النبي ﷺ ، ويستحي أن يقول لهم قوموا فعلمهم الله الأدب (والله لا يستحي من الحق) أي: لا يترك أن يبين لهم ما هو الحق ، فأما إن دلت قرينة على الإذن في الجلوس جاز ، ثم قد يكون مستحباً لميل صاحب الطعام إلى ذلك وقد يكون مباحاً[٢].

(١٧) الخروج مع الضيف بعد الأكل إلى باب الدار:

وهذا من أبلغ الآداب الإسلامية فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ: "إن من السنة أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار"[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال: "إن من السنة إذا دعوت أحداً إلى منزلك أن تخرج معه حتى يخرج"[٤].

(١٨) ذم البخل والشح ومدح الإنفاق في سبيل الله:

أ- عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ ، قال: "برئ من الشُّح من أدى الزكاة ، وقرى الضيف وأعطى في النائبة"[٥].

ب- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا[٦].

---

(١) الأحزاب: من الآية ٥٣.

(٢) ابن مفلح المقدسي، الآداب الشرعية جـ٣، مصدر سابق صـ٣٨٢.

(٣) رواه ابن ماجه ، وضعفه الألباني .

(٤) ذكره ابن عبدالبر.

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره جـ١٤ صـ٤٣، ٤٤.

(٦) رواه أبو داود في كتاب الزكاة باب الشح (١٤٤٧) ورواه أحمد (٦٥٠٢) وراجع صحيح الجامع ص ٥٢١(٢٦٧٨).

ج – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنْ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ الْجَنَّةِ قَرِيبٌ مِنْ النَّاسِ بَعِيدٌ مِنْ النَّارِ وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنْ اللَّهِ بَعِيدٌ مِنْ الْجَنَّةِ بَعِيدٌ مِنْ النَّاسِ قَرِيبٌ مِنْ النَّارِ وَلَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَالِمٍ بَخِيلٍ قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَقَدْ خُولِفَ سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ فِي رِوَايَةِ هَذَا الْحَدِيثِ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ إِنَّمَا يُرْوَى عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَائِشَةَ شَيْءٌ مُرْسَلٌ (١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا) (٢).

وهذه الأحاديث والآثار والأقوال ، تؤكد آداب اللياقة في مجال الإنفاق ، وثابت أن الإسلام يحضُّ على الإنفاق ، لا سيما إذا كان هذا الإنفاق في سبيل الله سبحانه وتعالى.

(١٩) هدى نبوي :

أ – في سقيا الغير :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِلَبَنٍ قَدْ شِيبَ بِمَاءٍ وَعَنْ يَمِينِهِ أَعْرَابِيٌّ وَعَنْ يَسَارِهِ أَبُو بَكْرٍ فَشَرِبَ ثُمَّ أَعْطَى الْأَعْرَابِيَّ وَقَالَ الْأَيْمَنَ فَالْأَيْمَنَ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهَا حُلِبَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاةٌ دَاجِنٌ وَهِيَ فِي دَارِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَشِيبَ لَبَنُهَا بِمَاءٍ

(١) رواه الترمذي في البر باب ما جاء في السخاء (١٨٨٤) وراجع ضعيف الترمذي في أبواب الأشربة ب ما جاء في أدب الخادم ص ٢٢١(٣٣٤).

(٢) متفق عليه رواه البخاري في الزكاة ب قول الله تعالى : فأما من أعطى .. (١٣٥١) ومسلم في الزكاة ب في المنفق والممسك (١٦٧٨).

مِنْ الْبِئْرِ الَّتِي فِي دَارِ أَنَسٍ فَأَعْطَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَدَحَ فَشَرِبَ مِنْهُ حَتَّى إِذَا نَزَعَ الْقَدَحَ مِنْ فِيهِ وَعَلَى يَسَارِهِ أَبُو بَكْرٍ وَعَنْ يَمِينِهِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ عُمَرُ وَخَافَ أَنْ يُعْطِيَهُ الْأَعْرَابِيَّ أَعْطِ أَبَا بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ عِنْدَكَ فَأَعْطَاهُ الْأَعْرَابِيَّ الَّذِي عَلَى يَمِينِهِ ثُمَّ قَالَ الْأَيْمَنَ فَالْأَيْمَنَ) [1].

ب – في عدم الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة:

عن حذيفة سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيبَاجَ وَلَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الْآخِرَةِ [2].

ج – في الإطعام والمواساة:

جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الِاثْنَيْنِ وَطَعَامُ الِاثْنَيْنِ يَكْفِي الْأَرْبَعَةَ وَطَعَامُ الْأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ) [3].

د – الأكل مع الخادم:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ فَلْيُنَاوِلْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ أَوْ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ فَإِنَّهُ وَلِيَ عِلَاجَهُ) ، ولفظ مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَنَعَ

---

(١) متفق عليه رواه البخاري في المساقاة ب في الشرب (١٢١٨) ومسلم في الأشربة ب استحباب إدارة الماء (٣٧٨٣).

(٢) متفق عليه رواه البخاري في الأطعمة ب في الأكل في إناء مفضض (٥٠٠٦) ومسلم في اللباس ب تحريم استعمال إناء الذهب ..(٣٨٥٠) .

(٣) رواه مسلم في الأشربة ب فضيلة المواساة ... (٣٨٣٦).

لِأَحَدِكُمْ خَادِمُهُ طَعَامَهُ ثُمَّ جَاءَهُ بِهِ وَقَدْ وَلِيَ حَرَّهُ وَدُخَانَهُ فَلْيُقْعِدْهُ مَعَهُ فَلْيَأْكُلْ فَإِنْ كَانَ الطَّعَامُ مَشْفُوهًا قَلِيلًا فَلْيَضَعْ فِي يَدِهِ مِنْهُ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ قَالَ دَاوُدُ يَعْنِي لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ [1].

هـ - تقديم العشاء على صلاة العشاء ، متى؟

عن عَائِشَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ(إِذَا وُضِعَ الْعَشَاءُ وَأُقِيمَتْ الصَّلَاةُ فَابْدَءُوا بِالْعَشَاءِ)[2].

و – والدعاء لمن سقاه:

اللهم أطعم من أطعمني ، واسق من أسقاني[3].

(١) متفق عليه رواه البخاري في العتق ب إذا أتاه خادمه (٢٣٧٠) ومسلم في الأيمان ب أطعام المملوك مما يأكل ..(٢٣٧٠).

(٢) متفق عليه رواه البخاري في الأذان ب إذا حضر ...(٦٣١) ، رواه مسلم في المساجد .. ب كراهة الصلاة ...(٨٦٨).

(٣) قطعة من حديث رواه مسلم في الأشربة ب إكرام الضيف ... (٣٨٣١).

خلاصة

آداب الطعام وسلوك المسلم:

الطعام ضروريٌ للإنسان إذ جعله الله سبحانه سبباً في حياة الإنسان وفي نموه وتكوينه. وإذا تناول الإنسان طعامه بنية إعطاء البدن حقه والتَّقوى على الطاعة كان أكله وشربه طاعةً يثاب عليها بشرط أن يكون الطعام حلالاً طيباً لا شبهة فيه.

وقد سن النبي ﷺ لنا سننا وآداباً في تناول الطعام وتقديمه ، ينبغي علينا أن نتحلَّى بها ، وأهمها:

- غسل اليدين قبل الطعام مع تسمية الله تبارك وتعالى قبل الأكل والشرب والدعاء: "اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه".

- الأكل باليد اليمنى ولا مانع من الأكل بأدوات المائدة ، بشرط استخدام اليمنى في وضع الطعام في الفم سواء بمعلقة أم شوكة أم غير ذلك مما هو مباح.

- التكلف في إعداد الطعام بحيث لا يقوى المضيف على ثمنه ممنوع ، وإنما يقدم للضيف ما هو مباح ، ولا يصح أن يستحي المضيف من تقديم ما عنده من طعام فهو رزق الله ، كما لا يصح للضيف أن يحقر ما يقدم له من طعام ، فقد ورد أنه: "ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط" ، [رواه البخاري].

- إذا كان الطعام أو الشراب يدور على الجالسين يُبدأ باليمين بغض النظر عن السنِّ أو المقام.

- على الآكل أن يأكل مما يليه (أمامه) ، وقد قال النبي ﷺ: "كل مما يليك" ، [رواه البخاري].

- على الإنسان ألا يأكل حتى يجوع ، وإن أكل لا يشبع ، فيراعى أن يكون ثلث البطن للطعام والثلث للماء والثلث للنفس كوصية رسول الله ﷺ: "ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيماتٌ يقمن صلبه ، فإن أكل لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه" ، [رواه الترمذي].
- من المستحب أكل الفاكهة قبل الطعام وليس بعده ، فقد جاء ذلك الترتيب في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [سورة الواقعة: آية ٢٠ ، ٢١].
- والجدير بالذكر أن أكل الفاكهة قبل الطعام يجعل المعدة تفرز إنزيمات تسهل عملية الهضم.
- لابد من مضغ الطعام جيداً (ثبت عملياً أنه يساعد على الهضم بالإضافة إلى الاستمتاع بالأكل).
- عدم فتح الفم وداخله الطعام أبداً.
- عدم أخذ لقمة ثانية – إلا بعد الانتهاء من مضغ اللقمة التي في الفم تماماً.
- التحدث خلال الطعام لإراحة المعدة بين الحين والحين.
- ليس من آداب الإسلام الإسراع في التهام الطعام وكأنه يسابق الآخرين ، بل الأفضل أن يترك نصيباً لغيره ويؤثرهم على نفسه: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة).
- ومن الآداب ألا تبدأ الطعام قبل اكتمال عدد الطاعمين وإلا لذهب السابقون بنصيب المتأخرين ، فمن واجب الأخوة اهتمام الأخ بأخيه ولا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

- يفضل أن يقوم صاحب الوليمة على خدمة المدعوين ، وأن يتشاغل بالطعام ، ولا يقوم من السفرة حتى يستوفوا حاجتهم من الطعام – وقد نهى رسول الله ﷺ أن يتبع الرجل ببصره لقمة أخيه.

- ليس من الأدب أن يتحكم الزائرون بطلب إضافة من الطعام غير موجودة على المائدة ، إلا إذا كان أحدهم مريضاً سأل عن طعام يناسب وضعه الصحي دون تكلف.

- يُفضل عدمُ التكلف في الطعام ، فإذا انقضى التكلف قويت روابط الأخوة وكثر التزاور وازدادت المحبة.

- ومن الأدب ألا نُعيب طعاماً بل يستحب امتداحُه تطييباً لخاطر صاحبه: مَا عَابَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا قَطُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مَا عَابَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا قَطُّ إِنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلَّا تَرَكَهُ ، [متفق عليه] (١).

- ومن الأدب أن نجلس جلسةً صحيحة متواضعة ، سواء كانت على الأرض أم على الكرسي. فقد كره رسولُ الله ﷺ الجلوسَ إلى الطعام متكئاً.

- ويُستحسن أن نُشجع الخجول على الطعام ليأكل حاجته منه ، كما ليس من الأدب أن تحلف عليه كي يأكل ، فإن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما ، قال: الطعامُ أهون من أن يُحلف عليه ، وأثر عن ابن عباس ، قوله: لكل داخل دهشة فابدأ بالتحية ، ولكل طعام حشمة فابدأ بالدعوة.

(١) رواه البخاري في الأطعمة باب ما عاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طعاما ...٩/ ٤٧٧، ومسلم في الأشربة باب صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢٠٦٤).

- يُستحب للصائم نفلاً أن يفطر إكراماً لصاحب الدعوة ، لأن المتنفل أمير نفسه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ[1] وذلك في وليمة النكاح.

- ومن الأدب ألا نصطحب أحداً إلى وليمة غير مدعو إليها إلا بعد استئذان ، لئلا يحرج صاحب الوليمة ، إذ لو أن كل مدعو أحضر معه مرافقاً لشق ذلك على صاحب الوليمة ، لأنه لم يستعد لهذا العدد الكبير من المدعوين.

- وليس من الأدب أن تزور أحداً وقت الإفطار أو الغداء أو العشاء.

- الانصراف فور الانتهاء من الطعام ، إذا كنت مدعواً لوليمة ؛ كي تتمكن ربة البيت من إعادة ترتيب بيتها وتنظيف الأواني والحجرات وإطعام بقية أفراد الأسرة.

- أن تتحرى أن يكون الطعام من مال حلال ولحم مذبوح على الطريقة الإسلامية وذكر اسم الله عليه[2].

- إذا أكل الإنسان بمفرده فليتأدب بآداب الطعام كما لو كان يأكل مع آخرين ، حتى تصبح تلك الآداب في تناول الطعام عادة له.

- عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَجَاءَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ فَأَكَلَ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ[3]

(١) رواه مسلم في النكاح باب الأمر بإجابة ... (١٤٣١) أو (٢٥٨٤).
(٢) انظر: الآداب الاجتماعية في الإسلام – محمد سعيد مبيض.
(٣) راجع صحيح سنن أبي داود كتاب الأطعمة باب في الدعاء لرب الطعام ٢/ ٧٣٠(٣٢٦٣).

- يحرم الأكل أو الشرب في آنية الذهب والفضة ، وكذلك الأدوات المصنوعة منها لقول النبي ﷺ: "إن الذي يأكل ويشرب في إناء الفضة ، إنما يجرجر في بطنه نار جهنم" ، [رواه البخاري ومسلم ومالك].

- كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا وَرَجُلٌ يَأْكُلُ فَلَمْ يُسَمِّ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ طَعَامِهِ إِلَّا لُقْمَةٌ فَلَمَّا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ فَلَمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ اسْتَقَاءَ مَا فِي بَطْنِهِ)[1]

- ويستحب غسل الكفين والفم من أثر الطعام.

- من السنة أن يحمد الإنسان ربه سبحانه بعد الانتهاء من الطعام قائلاً: "الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة".

أما آداب الشراب فهي :

- أن يبدأ بسم الله وينهيه بحمد الله ، وكان النبي ﷺ يشرب في ثلاثة أنفاس ، إذا أدنى الإناء إلى فيه يسمِّي الله ، وإذا أخره حمد الله يفعل ذلك ثلاثاً ، [رواه الطبراني][2].

سادساً : فن التعامل في الاستئذان واحترام الآخرين

أولاً : الاستئذان :

من أعظم آداب اللياقة قاطبةً ما أورده الإسلام في أصول الاستئذان وحسن السمت والمعاشرة ، ومن ذلك ما يلي:

---

(١) رواه أبو داود في الأطعمة باب التسمية على الطعام (٣٢٧٦) و ضعفه الألباني راجع ضعيف أبي داود ص ٣٧١ (٨٠٦).

(٢) آداب السلوك في الإسلام، كمال محمد علي.

(١) لا يجوز لرجل غاب عن أهله طويلاً أن يطرق بابهم ليلاً:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِذَا أَطَالَ الرَّجُلُ الْغَيْبَةَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ طُرُوقًا) أي ليلا ، وعَنْ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ طُرُوقًا) [١].

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا دَخَلْتَ لَيْلًا فَلَا تَدْخُلْ عَلَى أَهْلِكَ حَتَّى تَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ وَتَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ لفظ البخاري ، في مسلم : عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَدِمَ أَحَدُكُمْ لَيْلًا فَلَا يَأْتِيَنَّ أَهْلَهُ طُرُوقًا حَتَّى تَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ وَتَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ [٢]

فلابد للرجل أن يُؤْذن أهله بكتاب أو اتصال ، وذلك لكي لا يُظنُّ به أنه يتخونُّهم أو يطلب عثراتهم، وأيضاً كي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة . [٣]

(٢) يجب على المسلم أن يقرئ السلام على من عرف ومن لم يعرف:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ قَالَ تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ. [٤]

---

(١) متفق عليه رواه البخاري في النكاح باب لا يطرق أهله ...(٢٨٤٢) و رواه مسلم في الإمارة ب كراهة الطروق .. (٣٥٥٨).

(٢) متفق عليه رواه البخاري في النكاح باب طلب الولد ٤٨٤٥). و رواه مسلم في الإمارة ب كراهة الطروق ..(٣٥٥٧).

(٣) وردت هذه الإضافة في الصحيحين .

(٤) متفق عليه رواه البخاري في الإيمان باب إطعام الطعام من ...(١١) و رواه مسلم في الإيمان باب تفاضل الإيمان ... (٥٦).

(٣) ترتيب ودرجات السلام الهدف الإسلامي العميق وتطييب النفوس:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:) يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ) [١] ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ) [٢] .

(٤) وكان تسليمه على أهل منزله لا يوقظ النائم:

عَنْ الْمِقْدَادِ قَالَ أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنْ الْجَهْدِ فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُنَا فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْطَلَقَ بِنَا إِلَى أَهْلِهِ فَإِذَا ثَلَاثَةُ أَعْنُزٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احْتَلِبُوا هَذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا قَالَ فَكُنَّا نَحْتَلِبُ فَيَشْرَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَّا نَصِيبَهُ وَنَرْفَعُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصِيبَهُ قَالَ فَيَجِيءُ مِنْ اللَّيْلِ فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا وَيُسْمِعُ الْيَقْظَانَ) [٣]

(٥) إذا استأذن الرجل ثلاثاً فلم يؤذن له يرجع:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ إِذْ جَاءَ أَبُو مُوسَى كَأَنَّهُ مَذْعُورٌ فَقَالَ اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ فَقَالَ مَا مَنَعَكَ قُلْتُ اسْتَأْذَنْتُ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ) [٤]

---

(١) رواه البخاري في الاستئذان باب تسليم القليل .. الفتح ١١:١٤(٦٢٣١)، ومسلم في السلام باب تسليم الراكب ..(٢١٦٠)تقدم ص ١٥٢ .

(٢) رواه مسلم في السلام باب يسلم الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي (٤٠١٩).

(٣) رواه مسلم في الأشربة باب إكرام الضيف (٣٨٣١).

(٤) رواه البخاري ب التسليم و الاستئذان ثلاثا (٥٧٧٦)، ومسلم في الآداب باب الاستئذان (٤٠٠٦).

(٦) والسلام واجب حتى وإن دخل الإنسان بيتاً خالياً:

فقد روي عن ابن عمر أنه : كان إذا دخل بيتاً ليس فيه أحد قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، لقوله تعالى: " فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم "[١]

(٧) ويجدر إفراد العلماء بسلام خاص: فقد قال ابن الجوزي:

وإن دخل على جماعة فيهم علماء سلم على الكل ثم سلم على العلماء سلاماً ثانياً.[٢]

(٨) وسلام التحية لا يغني عن سلام الوداع:

فلكلٍ من القدوم والوداع سلام خاص، وقال ابن البنا : سلام التحية يكون منكَّراً وسلام الوداع يكون معرفاً بالألف واللام.

(٩) ووجود مانع من رد السلام يقتضي بيان العذر:

فيستحب لمن منعه من رد السلام مانع ، أن يعتذر إلى المسلم ويذكر المانع له.

(١٠) عدم رد السلام لا يعني انتفاء مطلق الرد أذ يرده من هو خير من الناس وهو الله – عز وجل – أو الملائكة : عن عبدالله بن مسعود قال: " إن السلام اسم من أسماء الله، وضع في الأرض فأفشوه بينكم، فإن العبد إذا سلم على القوم، فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة أنه ذكرهم السلام، وإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم وأطيب "[٣]

(١١) والسلام على المريض واجب ولو من الجماعات أو الأفواج التي تزوره ، فإنَّ أبا عبدالله لما اشتدَّ به المرض كان ربما أذن للناس فيدخلون عليه أفواجاً أفواجاً

---

(١) سورة النور: من الآية ٦١ وانظر ابن مفلح، في مؤلفه السابق ج١ ص ٤٨٢.

(٢) المصدر الآخير ص ٤٨٢

(٣) رواه الطبراني ١٠/ ١٨٢ (١٠٣٩١) و (١٠٣٩٢)، ورواه البزار في البحر الزخار ٥/ ١٧٤(١٧٧١) وقد روي بإسنادين مرفوع وموقوف والموقوف أصح كما ذكر المحققان نقلا عن العلل (لكل كتاب) ونقلا عن الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٩ أن رجال أحد الإسنادين رجال الصحيح.

فيسلمون عليه فيرد عليهم بيده[1]، وهكذا فإن رد السلام بالإشارة لغير القادر عليه جائزٌ شرعاً ولا غبار عليه.

(١٢) عن مَالِكُ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ أَبِي أُسَيْدٍ السَّاعِدِيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَبِي أُسَيْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَدَخَلَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ قَالُوا وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ قَالَ كَيْفَ أَصْبَحْتُمْ قَالُوا بِخَيْرٍ نَحْمَدُ اللَّهَ فَكَيْفَ أَصْبَحْتَ بِأَبِينَا وَأُمِّنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَصْبَحْتُ بِخَيْرٍ أَحْمَدُ اللَّهَ[2]

ثانياً: احترام الآخرين:

(١) لا حكم ولا خديعة ولا سخرية أو استهزاء:

فكل هذا محرم لقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ ﴾[3].

(٢) وقد يباح الكذب للإصلاح:

ويحرم الكذب لغير إصلاح، وحرب، وزوجة، قال ابن الجوزي: وضابطه أن كل مقصود محمود لا يمكن التوصل إليه إلا بالكذب فهو مباح ، إن كان ذلك المقصود مباحاً، وإن كان واجباً فهو واجب، وهو مراد الأصحاب، ومرادهم هنا لغير حاجة وضرورة، فإنه يجب الكذب إذا كان فيه عصمة مسلم من القتل، وعند أبي الخطاب يحرم أيضاً ولكن يسلك أدنى المفسدتين لدفع أعلاهما[4].

---

(١) ابن مفلح المقدسي، المرجع السابق ج ١ ص ٤٨٨.

(٢) رواه ابن ماجه في الأدب ب الرجل يقال له :.. ٢:١٢٢٢(٣٧١١)، وضعفه الألباني ص ٢٩٩(٨١١) كما في ضعيف ابن ماجه.

(٣) سورة الحجرات : من الآية ١١.

(٤) ابن ملفح، المصدر السابق ج ١ ص ص ٤٤, ٤٥

(٣) وقد يباح اليمين في إنجاء معصوم من هلكة [١]:

ولو احتاج إلى اليمين في إنجاء معصوم من هلكة وجب عليه أن يحلف، قال في المغني: لأن إنجاء المعصوم واجب وقد تعين في اليمين فيجب، عَنْ سُوَيْدِ بْنِ حَنْظَلَةَ قَالَ خَرَجْنَا نُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَنَا وَائِلُ بْنُ حُجْرٍ فَأَخَذَهُ عَدُوٌّ لَهُ فَتَحَرَّجَ الْقَوْمُ أَنْ يَحْلِفُوا وَحَلَفْتُ أَنَّهُ أَخِي فَخَلَّى سَبِيلَهُ فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّ الْقَوْمَ تَحَرَّجُوا أَنْ يَحْلِفُوا وَحَلَفْتُ أَنَّهُ أَخِي قَالَ صَدَقْتَ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ [٢].

(٤) عدم مماراة حكيم أو مجادلة لجوج أو معاشرة ظلوم :

قال لقمان لابنه: يابني لا تمارينَّ حكيماً، ولا تجادلن لجوجاً، ولا تعاشرنَّ ظلوماً، ولا تصاحبنَّ متهماً.

(٥) عدم الكذب : روي عن سفيان بن أسد مرفوعاً :

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ أَسِيدٍ الْحَضْرَمِيِّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كَبُرَتْ خِيَانَةً أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ لَهُ بِهِ كَاذِبٌ [٣]

(٦) ولكن الكذب في الحرب مباح : قال أبو عبدالله :

لا بأس أن يكذب لهم لينجو، يعني الأسير، قال النبي ﷺ: "الحرب خدعة" [٤]

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَقُولُ أَيُّهَا النَّاسُ مَا يَحْمِلُكُمْ عَلَى أَنْ تَتَابَعُوا فِي الْكَذِبِ كَمَا يَتَتَابَعُ الْفَرَاشُ فِي

---

(١) ابن مفلح، المصدر السابق ج١ ص ص ٤٤, ٤٥

(٢) رواه أبو داود في الأيمان والنذور باب المعاريض (٢٨٣٤) ورواه أيضا ابن ماجه وأحمد و راجع صحيح سنن أبي داود في الأيمان باب المعاريض .. ٢/ ٦٢٨(٢٧٩١)

(٣) رواه أبو داود في كتاب الأدب باب المعاريض (٤٩٧١) أو (٤٣٢٠) انظر ضعيف سنن أبي داود كتاب الأدب ص ٤٨٩ (١٠٥٨).

(٤) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٠٤) ، مسلم في الزكاة التحريض على قتل الخوارج (١٧٧١) .

النَّارِ كُلُّ الْكَذِبِ يُكْتَبُ عَلَى ابْنِ آدَمَ إِلَّا ثَلَاثَ خِصَالٍ رَجُلٌ كَذَبَ عَلَى امْرَأَتِهِ لِيُرْضِيَهَا أَوْ رَجُلٌ كَذَبَ فِي خَدِيعَةِ حَرْبٍ أَوْ رَجُلٌ كَذَبَ بَيْنَ امْرَأَيْنِ مُسْلِمَيْنِ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا (١)

(٧) عدم تكذيب ما حدَّث به أهل الكتاب دون تصديقهم:

عن أَبِي نَمْلَةَ الْأَنْصَارِيُّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ الْيَهُودِ مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَتَكَلَّمُ هَذِهِ الْجَنَازَةُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُ أَعْلَمُ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ إِنَّهَا تَتَكَلَّمُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ فَإِنْ كَانَ بَاطِلًا لَمْ تُصَدِّقُوهُ وَإِنْ كَانَ حَقًّا لَمْ تُكَذِّبُوهُ (٢)

(٨) عدمُ جواز الإعانة على خصومة بظلم:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَعْنَاهُ قَالَ وَمَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ بِظُلْمٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (٣)

(٩) وجوب حفظ اللسان:

صح عنه ﷺ أنه قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت" (٤)

وعن ابن عمر مرفوعاً "من صمت نجا" (٥)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ

---

(١) رواه الترمذي في البر ب إصلاح ذات البين (١٩٣٩) .. راجع صحيح سنن الترمذي ٢/ ١٨٣(١٥٨٢) ورواه أحمد ٦/ ٤٥٤(٢٦٢٨٩).

(٢) رواه أبو داود في العلم باب رواية حديث أهل الكتاب (٣١٥٩) راجع أيضا ضعيف سنن أبي داود ص ٣٦٢(٧٨٦).

(٣) رواه أبو داود في الأقضية باب فيمن يعين على .. (٣١٢٣) ورواه أيضا ابن ماجه وأحمد و انظر أيضا ضعيف سنن أبي داود في الأقضية باب فيمن يعين على .. ص٣٥٥ (٧٧٢).

(٤) أخرجه البخاري ٦٠١٩ ومسلم ٤٧.

(٥) أخرجه أحمد ٢/ ١٥٩ والترمذي ٢٥٠١.

مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ (١)

عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي (٢)

(١٠) يعرف المؤمن بوقاره:

ذكر ابن عبدالبر قول عائشة رضي الله عنها ، قلت: يا رسول الله بم يعرف المؤمن؟ قال: " بوقاره، ولين كلامه وصدق حديثه " وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: من كانت له عند الناس ثلاث وجبت له عليهم ثلاث: من إذا حدثهم صدقهم، وإذا ائتمنوه لم يخنهم، وإذا وعدهم وفَّى لهم، وجب له عليهم أن تحبه قلوبهم، وتنطق بالسلام عليه ألسنتهم ، وتظهر له معونتهم " (٣)

(١١) وجوب لزوم الحق:

لما احتضر أبوبكر أرسل إلى عمر رضي الله عنهما فقال: ياعمر: إن وُلِّيت على الناس فاتَّقِ الله، والزم الحق، فإنما ثقلت موازينُ من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم، وحُقَّ لميزان إذا وُضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً، وإنما خَفَّت موازينُ من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم، وحُقَّ لميزان وُضع فيه الباطل أن يكون خفيفاً، واعلم أن لله تعالى عملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدَّى الفريضة، وأن الله - عز وجل - ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم، وتجاوز عن سيئاتهم، فإذا

(١) متفق عليه رواه البخاري في الرقاق باب حفظ اللسان (٥٩٩٧) ومسلم في الزهد التكلم بالكلمة ...(٥٣٠٤).
(٢) رواه الترمذي في الزهد ٤/ ٥٢٥ باب ٦١ و راجع ضعيف الترمذي ص ٢٧٢ (٢٥٣٦).
(٣) ابن مفلح المقدسي، المصدر السابق ج ١ ص ٨٢.

ذكرتهم قلت: إني لخائف ألاّ ألحق بهم، وأن الله تعالى ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم، وردّ عليهم حسنها، فإذا ذكرتهم، قلت: إني لخائف أن أكون مع هؤلاء، وإنَّ الله - عز وجل - ذكر آية الرحمة، مع آية العذاب ليكون المؤمن راهباً راغباً، لا يتمنى على الله ولا يقنط من رحمة الله، فإن أنت حفظت وصيتي فلا يكون غائبٌ أحبَّ إليك من الموت وهو نازل بك، وإن أنت ضيّعت وصيتي، فلا يكون غاية أبغض إليك من الموت، ولست بمعجزه[1].

وقال مالك بن أنس رضي الله عنه : إذا ظهر الباطل على الحق ، ظهر الفساد في الأرض[2].

(١٢) وجوب اتّقاء ظنّ وفراسة المؤمن:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ ثُمَّ قَرَأَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ قَالَ لِلْمُتَفَرِّسِينَ[3].

وقال ابن سعود:

أفرسُ الناس كلهم فيما علمت ثلاثة:

العزيز في قوله لامرأته حين تفرّس في يوسف:

" أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا "[4]

- وصاحبة موسى عليه السلام حين قالت:

" يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القويُّ الأمين "[5]

---

(١) ابن مفلح المقدسي، المصدر السابق ج ١ ص ص ٨٥, ٨٦.

(٢) ابن مفلح المقدسي، المصدر السابق ج ١ ص ص ٨٥, ٨٦.

(٣) رواه الترمذي في التفسير باب ١٦ ٥/٢٧٨(٣١٢٧) و راجع ضعيف الترمذي ص ٣٨٧ (٦٠٧).

(٤) سورة يوسف: من الآية ٢١.

(٥) سورة القصص: الآية ٢٦.

وأبو بكر رضي الله عنه ، حين تفرس في عمر رضي الله عنه واستخلفه "[1]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا) ويشير إلى صدره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه "[2]

سابعاً: فن التعامل وتقدير خصوصية الغير في التناجي وحفظ الأسرار

هناك آداب لياقة (إتيكيت) غير مسبوقة كرسها الإسلام في صدد التناجي وحفظ الأسرار ومن أهمها:

(١) عدم تناجي اثنين دون الثالث:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَحِلُّ أَنْ يَنْكِحَ الْمَرْأَةَ بِطَلَاقِ أُخْرَى وَلَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَبِيعَ عَلَى بَيْعِ صَاحِبِهِ حَتَّى يَذَرَهُ وَلَا يَحِلُّ لِثَلَاثَةِ نَفَرٍ يَكُونُونَ بِأَرْضِ فَلَاةٍ إِلَّا أَمَّرُوا عَلَيْهِمْ أَحَدَهُمْ وَلَا يَحِلُّ لِثَلَاثَةِ نَفَرٍ يَكُونُونَ بِأَرْضِ فَلَاةٍ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا[3] .

---

(١) ابن مفلح المقدسي، المصدر السابق ج ١ ص ص ٩٢-٩٣.

(٢) متفق عليه رواه البخاري في الأدب باب ياأيها الذين آمنوا (٥٦٠٦) ومسلم في البر والصلة باب تحريم الظن ...(٤٦٤٦).

(٣) رواه أحمد ٦/ ٤٤٥ (٦٣٦٠) وأصل حديث النهي عن تناجي اثنين دون ثالث في الصحيحين دون لفظ/ بِأَرْضِ فَلَاةٍ.

(٢) وجوب حفظ أمانة الحديث لمن سمعه :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ[١].

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَمِعَ مِنْ رَجُلٍ حَدِيثًا لَا يَشْتَهِي أَنْ يُذْكَرَ عَنْهُ فَهُوَ أَمَانَةٌ وَإِنْ لَمْ يَسْتَكْتِمْهُ[٢].

وقال العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه ، لابنه عبدالله رضي الله عنه:

يا بني، إن أمير المؤمنين، يعني: (عمر بن الخطاب رضي الله عنه)، يدنيك، فاحفظ عني ثلاثاً: لا تفشينَّ له سراً، ولا تغتابنَّ عنده أحداً، ولا يطلعنَّ منك على كذبة. وقال أكثم بن صيفي: إنَّ سِرَّك من دمك، فانظر أين تريقه.

وكان يقال: أكثر ما يتم التدبير الكتمان ، ولهذا كان عليه السلام إذا أراد غزوة ورَّى بغيرها[٣].

ثامناً : آداب إسلامية عند النوم والاستيقاظ

وضع الإسلام قواعد وآداب عامة تتبع عند النوم ، تتعلق بإطفاء المصابيح وإغلاق الأبواب وإيكاء الأسقية وتخمير الطعام والشراب وغسل اليدين، وجمع الكفين والنفث فيهما وقراءة آيات قرآنية، وقراءة آية الكرسي عند النوم والتكبير والتسبيح والتمحيد، ونفض الفراش والوضوء والنوم على الشق الأيمن وعند الاستيقاظ يلزم الإنسان أن يقول شيئاً مما كان يقوله: ﷺ وإذا قلق أو تقلّب في فراشة ليلاً فهناك من أقوال رسول الله ﷺ ما يقوله.

---

(١) رواه أبو داود في الأدب باب في نقل الحديث (٤٢٢٥) راجع صحيح سنن أبي داود ٣/ ٩٢(٢ ٤٠٧٥)، وصحيح الجامع١/ ١٤٦(٤٨٦).

(٢) رواه أحمد ٦/ ٤٤٥ (٢٦٢٣٧)

(٣) ابن ملفح المقدسي، مؤلفه السابق ج٢ ص٣٩٠.

فيما يتعلق بآداب النوم فعلى المسلم واجبات إسلامية هي:

١ - إطفاء المصابيح وإغلاق الأبواب وغسل اليدين من الدَّسم قبل النوم:

عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ إِذَا رَقَدْتُمْ وَغَلِّقُوا الْأَبْوَابَ وَأَوْكُوا الْأَسْقِيَةَ وَخَمِّرُوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَأَحْسِبُهُ قَالَ وَلَوْ بِعُودٍ تَعْرُضُهُ عَلَيْهِ)[1].

عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قَالَ إِذَا نَامَ أَحَدُكُمْ وَفِي يَدِهِ رِيحُ غَمَرٍ فَلَمْ يَغْسِلْ يَدَهُ فَأَصَابَهُ شَيْءٌ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ)[2].

٢ - نفض الفراش وإطفاء الضوء والنوم على الشق الأيمن:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ)[3].

عَنْ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ وَقُلْ اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ

(١) متفق عليه رواه البخاري في الأشربة باب تغطية الإناء (٥١٩٣) ومسلم في الأشربة باب الأمر بتغطية ... (٣٧٥٦).

(٢) في المذكرة رواه البخاري و الذي وجدته : رواه الترمذي في الأطعمة باب ماجاء في كراهية ...(١٧٨٣) و رواه ابن ماجه في الأطعمة باب من بات وفي يده ريح غمر (٣٢٨٨) و رواه الدارمي في الأطعمة باب الوضوء بعد الطعام (١٩٧٤) وراجع سنن صحيح الترمذي باب ماجاء في كراهية البيتوتة وفي يده غمر (١٥١٥).

(٣) متفق عليه رواه البخاري في الدعوات باب التعوذ والقراءة عند المنام (٥٨٤٥) و رواه مسلم في الذكر والدعاء .. باب ما يقول عند النوم (٤٨٨٩).

لَـا مَلْجَـأَ وَلَـا مَـنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ فَإِنْ مُـتَّ مُتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ فَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ فَقُلْتُ أَسْتَذْكِرُهُنَّ وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ قَـالَ لَـا وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ) ، لفظ مسلم الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَـيْهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ إِذَا أَخَـذْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْـأَيْمَنِ ثُـمَّ قُـلْ اللَّهُـمَّ إِنِّـي أَسْـلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَـيْكَ رَغْـبَةً وَرَهْـبَةً إِلَـيْكَ لَـا مَلْجَـأَ وَلَـا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّـذِي أَرْسَـلْتَ وَاجْعَلْهُـنَّ مِـنْ آخِـرِ كَلَامِكَ فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مُتَّ وَأَنْتَ عَلَى الْفِطْـرَةِ قَـالَ فَـرَدَّدْتُهُنَّ لِأَسْـتَذْكِرَهُنَّ فَقُلْـتُ آمَـنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ قَالَ قُلْ آمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ)[1].

٣ - قراءة شيء من القرآن الكريم والتكبير والتسبيح وحمد الله :

عَـنْ عَائِـشَةَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَـنْهَا أَنَّ رَسُـولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَخَذَ مَـضْجَعَهُ نَفَـثَ فِي يَدَيْهِ وَقَرَأَ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَمَسَحَ بِهِمَا جَسَدَهُ) عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا قُلْ هُـوَ اللَّـهُ أَحَـدٌ وَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ

في المذكرة رواه البخاري و الذي وجدته :رواه البخاري في فضائل القرآن باب فضل المعوذات (٤٦٣٠) و رواه الترمذي و لفظ الترمذي:عن عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ

(١) متفق عليه رواه البخاري في الوضوء باب فضل من بات ...(٢٣٩) و رواه مسلم في الذكر والدعاء .. باب ما يقول عند النوم (٤٨٨٤).

جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ (١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَصَّ الْحَدِيثَ فَقَالَ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ) (٢)

فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، لم يزل معك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ: "صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان" (٣).

عن ابْنِ أَبِي لَيْلَى حَدَّثَنَا عَلِيٌّ أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَام اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ الرَّحَى مِمَّا تَطْحَنُ فَبَلَغَهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِسَبْيٍ فَأَتَتْهُ تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَلَمْ تُوَافِقْهُ فَذَكَرَتْ لِعَائِشَةَ فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ عَائِشَةُ لَهُ فَأَتَانَا وَقَدْ دَخَلْنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبْنَا لِنَقُومَ فَقَالَ عَلَى مَكَانِكُمَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي فَقَالَ (أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمَا مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ) (٤).

(١)رواه الترمذي في الدعوات باب ماجاء فيمن يقرأ القرآن (٣٣٢٤).
(٢) رواه البخاري في فضائل القرآن باب فضل سورة البقرة (٤٦٢٤).
(٣) رواه البخاري ٥٠١٧.
(٤) رواه البخاري في النفقات باب عمل المرأة في بيت زوجها (٤٩٤٢).

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ قَالَ(بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا وَإِذَا اسْتَيْقَظَ مِنْ مَنَامِهِ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) [1].

عَنْ فَرْوَةَ بْنِ نَوْفَلٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِنَوْفَلٍ(اقْرَأْ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ثُمَّ نَمْ عَلَى خَاتِمَتِهَا فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنْ الشِّرْكِ) [2].

عَنْ حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْقُدَ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ ثُمَّ يَقُولُ(اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ) [3].

وعن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: " الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا ، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي " [4] **وقال ﷺ: " اللهم خلقتَ نفسي وأنت تَوَفَّاها، ذلك مماتهما ومحياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمتها فاغفر لها، اللهم إني أسألك العافية "** [5].عَنْ سُهَيْلٍ قَالَ كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ

---

(١) رواه البخاري في الدعوات باب مايقول إذا أصبح (٥٨٤٨).

(٢) رواه أبو داود في النوم باب ما يقال عند النوم (٤٣٩٦)راجع صحيح سنن أبي داود كتاب النوم باب ما يقال عند النوم٣/ ٩٥٣.(٤٢٢٧).

(٣) رواه أبو داود في النوم باب ما يقال عند النوم(٤٣٨٨). (راجع صحيح سنن أبي داود كتاب النوم باب ما يقال عند النوم٣/ ٩٥١.(٤٢١٨).

(٤) أخرجه مسلم برقم ٢٧١٥.

(٥) أخرجه مسلم برقم ٢٧١٢.

دُونَكَ شَيْءٌ اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنْ الْفَقْرِ وَكَانَ يَرْوِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و حَدَّثَنِي عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَيَانٍ الْوَاسِطِيُّ حَدَّثَنَا خَالِدٌ يَعْنِي الطَّحَّانَ عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُنَا إِذَا أَخَذْنَا مَضْجَعَنَا أَنْ نَقُولَ بِمِثْلِ حَدِيثِ جَرِيرٍ وَقَالَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا)[1]

اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، أقض عنا الدين وأغننا من الفقر[2].

- وفيما يتعلق بما يقوله المسلم عند الاستيقاظ:

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ(بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا وَإِذَا قَامَ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) عَنْ الْبَرَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قَالَ اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا وَبِاسْمِكَ أَمُوتُ وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)[3]

وإذا استيقظ قال: "الحمد لله الذي أحيانا بعدما ما أماتنا وإليه النشور[5]

ولكن الإنسان تعرض له أمور بين النوم والاستيقاظ فقد يتقلب ليلاً وقد يفزع ولكلٍّ دعاء.

عن عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ(مَنْ تَعَارَّ مِنْ اللَّيْلِ فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ

(١)رواه مسلم في الذكر والدعاء... باب مايقول عند النوم ...(٤٨٨٨).
(٢) أخرجه مسلم برقم ٢٧١٢.
(٣) رواه الشيخان: البخاري في الدعوات باب مايقول إذا نام (٥٨٣٧).، مسلم في الذكر والدعاء... باب مايقول عند النوم ...(٤٨٨٦).
(٥) متفق عليه أخرجه البخاري برقم ٥٦٣١٤ ومسلم برقم ٢٧١١.

شَيْءٍ قَدِيرٌ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ)[٦].

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا فَزِعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ فَلْيَقُلْ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ يُلَقِّنُهَا مَنْ بَلَغَ مِنْ وَلَدِهِ وَمَنْ لَمْ يَبْلُغْ مِنْهُمْ كَتَبَهَا فِي صَكٍّ ثُمَّ عَلَّقَهَا فِي عُنُقِهِ[١]

وللنوم آداب ينبغي مراعاتها ، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

١- النوم مبكراً: فذلك يُعين على الاستيقاظ مبكراً بنشاط وهمة وعزيمة، عَنْ صَخْرٍ الْغَامِدِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا قَالَ وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلًا تَاجِرًا وَكَانَ إِذَا بَعَثَ تِجَارَةً بَعَثَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ[١].

٢- عن البراء بْنُ عَازِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ(إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ وَاجْعَلْهُنَّ مِنْ آخِرِ كَلَامِكَ فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مُتَّ

---

(٦) رواه البخاري في الجمعة باب من تعار من الليل (١٠٨٦).

(١) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ رواه الترمذي في الدعوات باب منه ح (٣٤٥١).

(١) رواه أبوداود في الجهاد باب الأبتكار في السفر (٢٦٠٦)، ورواه الترمذي في البيوع ب ما جاء في التبكير(١٢١٢) ، راجع صحيح سنن أبي داود ٢/ ٤٩٤(٢٢٧٠).

وَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ قَالَ فَرَدَدْتُهُنَّ لِأَسْتَذْكِرَهُنَّ فَقُلْتُ آمَنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ قَالَ قُلْ آمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الَّذِي)[1]

٣- يستحسن أن يحاسب المسلم نفسه قبيل النوم ، عما بدر منه من أعمال خلال النهار فإن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

٤- لا ينبغي للمسلم أن ينام قبل أداء الفريضة إذا خشى فوتها ، فإذا علم أنه إذا نام قبل الوقت لا يستيقظ حتى يخرج الوقت ، حرم النوم لأنه يفوت الواجب.

٥- لا ينبغي النوم بحضرة أقوام مستيقظين ، لأنه قد يخرج منه ما يكره الحاضرون؛ ولأن فيه قلة مروءة ، فإن غلب النعاس على شخص فينبغي له التحول إلى مكان آخر.

٦- يكره النوم على البطن لمخالفته قواعد الصحة وإعاقته للتنفس. وأكثر من ذلك، ورد ما يدلّ على أنها (رقدة أصحاب الحجيم) .

٧- إذا رأى النائم حُلماً حسناً فليحمد الله تعالى وليحدث به أصحابه ، وإذا رأى حلما سيئا فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:(إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا فَإِنَّمَا هِيَ مِنْ اللَّهِ فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ عَلَيْهَا وَلْيُحَدِّثْ بِهَا وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ فَإِنَّمَا هِيَ مِنْ الشَّيْطَانِ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا وَلَا يَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ) ، وعَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ كُنْتُ أَرَى الرُّؤْيَا أُعْرَى مِنْهَا غَيْرَ أَنِّي لَا أُزَمَّلُ حَتَّى لَقِيتُ أَبَا قَتَادَةَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الرُّؤْيَا

(١) متفق عليه رواه البخاري في الوضوء باب فضل من بات ...(٢٣٩) و رواه مسلم في الذكر والدعاء .. باب ما يقول عند النوم (٤٨٨٤).

مِنْ اللَّهِ وَالْحُلْمُ مِنْ الشَّيْطَانِ فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلْمًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ[1].

٨- إذا استيقظ المسلم أثناء الليل فيستحب أن يقوم ويتوضأ ويصلّي ما استطاع من التهجد وقيام الليل فله بذلك أجر عظيم.

٩- ينبغي على الوالدين وأولياء الأمور أن يجعلوا لأبنائهم الذكور أسِرَّةً خاصة لكل واحدٍ منهم ، وكذلك للبنات، فلا ينام الذكور مع البنات إذا بلغوا، ولا الذكور مع الذكور ، ولا الإناث مع الإناث ، وإنما نفرق بينهم في المضاجع عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ)[2].

١٠- إذا استيقظ النائم من نومه فليدعُ ربه بهذا الدعاء المأثور: ((الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور)) (رواه البخاري).[3]

تنظيم احترام الأبناء لعورات المسلم في بيته : -

ولعلَّ من عظمة هذه العقيدة الإسلامية الغراء ، تنظيمَ أوقات المسلم وخصوصياته في منزله وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ

(١) أخرجه الشيخان البخاري في التعبير باب الرؤيا من الله (٦٤٧٠). ورواه مسلم في الرؤيا (٤١٩٥)

(٢) رواه أبو داود في كتاب الصلاة ب متى يؤمر الصبي بالصلاة .

(٣) المصدر: أدب السلوك في الإسلام – كمال محمد علي

لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

وكذلك في الآية التي تليها ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة النور، الآية ٥٩).

وقد نزلت هذه الآيات حينما جاء عمر بن الخطاب .. رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ - يشتكي إليه أن الأبناء الصغار يدخلون بلا استئذان في أوقات حرجةٍ ينبغي الاستئذان فيها، فنزلت الآيات تُعلم المسلمين آداب الاستئذان. وتبين هذه الآية الكريمة مزيداً من الآداب العامة في مجتمع الأسرة الواحدة حيث يوجد الخدم والإخوة والأولاد.

فما من شك أن كل شخص له أحواله الخاصة ، ولا يحب أن يُطلع عليها شخص آخر مهما كانت قرابته.

فيأمر الله في هذه الآية بعدم دخول الأقارب بعضهم على بعض ، وعدم دخول المملوكين والخدم على سادتهم وعدم دخول من لم يبلغ من الصبيان، إلى البيوت والغرف ، وعلى هؤلاء أن يستأذنوا في ثلاثة أوقات لا يدخلون إلا بعد أن يستأذنوا لأن تلك الأوقات عورات ، لأنها أوقات نوم واستراحة لا يؤمن معها أن ينكشف الإنسان ، وهذه الأوقات الثلاثة هي :

١- من قبل صلاة الفجر : لأنه وقت القيام من النوم وخلع ثياب النوم وارتداء ملابس اليقظة للسعي والعمل، وكلُّ ذلك منعاً للحرج وخشية التعرض لانكشاف العورة.

٢- بعد وقت الظهيرة : لأنه وقتُ القيلولة والاستراحة والاستجمام من عناء العمل وفيه نفس الحرج والتعرض للتعري.

٣- من بعد صلاة العشاء : لأنه وقت خلع ثياب العمل واليقظة ، وارتداء ملابس النوم.

أما في غير هذه الأوقات فلا حرج، ولا إثم في دخول الأطفال والخدم بغير استئذان، فإنَّ المؤمن في بيته إذا كان في حجرته الخاصة في غير هذه الأوقات لا يؤذيه أن يراه من في البيت من الولد والأهل والخدم، كذلك يبين الله لنا آداب الدين كما بين شرائع الأحكام مراعاةً لمصالح العباد، وأخذاً لهم بأدب السلوك القرآنى، وإذا بلغ الأطفالُ سنَّ التكليف وهو خمسة عشر عاماً أو بالاحتلام، فلا يدخلون عليكم في كلِّ حين إلا بإذن سواءً في أوقات العورات المبينة أو غيرها ، كما يستأذن الكبار في دخول بيوت الغير.

كما أكد سبحانه امتنانه علينا بما شرع من أحكام وما أوضح من آداب لحكمة يعلمها هى ما يصلح عليه أمرنا ونسعد به في حياتنا.[١]

تاسعاً: آداب عيادة المريض في الإسلام وانعدامها في الإتيكيت الغربي

عيادة المريض مشروعة في الإسلام، حتى وإن تعلق الأمر بعيادة مشرك، وعيادة المرأة للرجل جائزة عند أمن الفتنة، وذلك لما لعيادة المريض من فضل عظيم، ومن حق الإنسان أن يقول ما أوصى به رسول الله ﷺ عند رؤية صاحب بلاء، ويحسن النفثُ على المريض ورقيته والدعاء له وإرشاده إلى ما ينفعه. وهذا تفصيل لما تقدم من واقع هديه ﷺ.

١ - فعيادة المريض مشروعة ولو لمشرك، أو من امرأة لرجل:

فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع، أمرنا باتباع الجنائز، وعيادة المريض وإجابة الداعي، ونصرة المظلوم، وإبرار القسم، ورد السلام وتشميت العاطس، ونهانا عن آنية الفضة، وخاتم الذهب، والحرير، والديباج، والقَسيِّ والاستبرق.[٢]

---

(١) المصدر السابق .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ١٢٣٩ ومسلم برقم ٢٠٢٦.

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان غلامٌ يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده ، فقعد عند رأسه فقال له: "أسلم" فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له : أطع أبا القاسم ﷺ ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: "الحمد لله الذي أنقذه من النار" (١)

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى يَقُولُ كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أُقْلِعَ عَنْهُ الْحُمَّى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ يَقُولُ

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ ... وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ

قَالَ اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الْوَبَاءِ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا وَصَحِّحْهَا لَنَا وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ قَالَتْ وَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَهِيَ أَوْبَأُ أَرْضِ اللَّهِ قَالَتْ فَكَانَ بُطْحَانُ يَجْرِي نَجْلًا تَعْنِي مَاءً آجِنًا) (٢).

٢ - وعيادة المريض لها فضل عظيم:

فعن ثوبان رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال: "من عاد مريضاً لم يزل في خُرفة الجنة حتى يرجع" (٣).

عَنْ عَلِيٍّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ أَتَى أَخَاهُ الْمُسْلِمَ عَائِدًا مَشَى فِي خَرَافَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسَ فَإِذَا جَلَسَ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ فَإِنْ

(١) أخرجه البخاري برقم ١٣٥٦.

(٢) متفق عليه رواه البخاري في فضائل المدينة ٤/ ٩٩ الفتح (١٨٨٩)، ومسلم في الحج ب الترغيب في سكنى المدينة ١٣٧٦).

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري برقم ٥٦٥٤ ومسلم برقم ١٣٧٦.

كَانَ غُدْوَةً صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ وَإِنْ كَانَ مَسَاءً صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ "[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله، ناداه منادٍ أن طبت، وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلاً "[2].

٣ - وحق المريض إزاء نفسه ، وواجبه إزاء المريض من نفث ورقية وغير ذلك.

أ - حق النفس: ما يقوله إذا رأى صاحب بلاء:

عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"من رأى صاحب بلاء فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً، إلا عوفي من ذلك البلاء كائناً ما كان ما عاش "[3].

ب - حق المريض: ما يقوله للمريض:

- ما يقال عند المريض والميت:

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه.. وفي الحديث ثم قال: "اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، وفي عقبه في الغابرين، واغفرلنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره ونوِّر له فيه "[4].

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون " قالت: فلما مات أبو سلمة أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات. قال: "قولي، اللهم اغفرلي وله، واعقبني منه عقبى حسنة " قالت: فقلت فأعقبني الله من هو خير لي منه ، محمداً ﷺ[5].

---

(١) صحيح : وقال الألباني (٣٠٩٨) ٢/٥٩٨ رواه أبو داود فيالجنائز باب فضل العيادة (٢٦٥٥) ٢/٥٩٨ في صحيح أبي داود كما موقوف .

(٢) أخرجه الترمذي برقم ٢٠٠٨ وابن ماجه برقم ١٤٤٣.

(٣) أخرجه الترمذي برقم ٢٤٣١ وابن ماجه برقم ٣٨٩٢.

(٤) أخرجه مسلم برقم ٩٢٠.

(٥) أخرجه مسلم برقم ٩١٩.

- النفث على المريض:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي الْمَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ فَلَمَّا ثَقُلَ كُنْتُ أَنْفِثُ عَلَيْهِ بِهِنَّ وَأَمْسَحُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِبَرَكَتِهَا فَسَأَلْتُ الزُّهْرِيَّ كَيْفَ يَنْفِثُ قَالَ كَانَ يَنْفِثُ عَلَى يَدَيْهِ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ) [1].

- رقية المريض:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضًا أَوْ أُتِيَ بِهِ قَالَ أَذْهِبْ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا [2].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ لِلْمَرِيضِ (بِسْمِ اللَّهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا بِرِيقَةِ بَعْضِنَا يُشْفَى سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا) [3].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ فَقَالَ نَعَمْ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللَّهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ) [4].

- وعن إرشاد المريض لما ينفعه:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ) قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَالسَّامُ الْمَوْتُ وَالْحَبَّةُ السَّوْدَاءُ الشُّونِيزُ[5].

---

(١) متفق عليه رواه البخاري في الطب باب الرقى بالقرآن .. (٥٢٩٤) ومسلم في السلام باب رقية المريض بالمعوذات ..(٤٠٦٦).

(٢) رواه البخاري في الطب باب رقية النبي(٥٣٠١) .

(٣) متفق عليه رواه البخاري في الطب باب رقية النبي (٥٣٠٤) ومسلم في السلام باب استحباب الرقية ... (٤٠٦٩).

(٤)رواه مسلم في السلام باب في الطب والمرضى (٤٠٥٦).

(٥) متفق عليه رواه البخاري في الطب باب الحبة السوداء(٥٢٥٥) ومسلم في السلام باب التداوى ب الحبة السوداء(٤١٠٤).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ فِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ أَوْ كَيَّةٍ بِنَارٍ وَأَنَا أَنْهَى أُمَّتِي عَنْ الْكَيِّ) [1].

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ) [2].

-الدعاء للمريض:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَعُودُ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَيَقُولُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ إِلَّا عُوفِيَ [3].

(١) متفق عليه رواه البخاري في الطب باب الشفاء في ثلاث (٥٢٤٩) ومسلم في السلام باب لكل داء دواء (٤٠٨٦).

(٢) رواه مسلم في السلام باب استحباب وضع يده على ...(٤١٨٢).

(٣) قَالَ أَبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ رواه الترمذي في الطب باب ٣٢ ٤/ ٣٥٧(٢٠٨٣) و راجع صحيح سنن الترمذي٢/ ٢١٠(١٦٩٨).

الفصل السابع

الإسلام والغرب في تقديم المرأة

الفصل السابع

الإسلام والغرب في تقديم المرأة

إن نظرة الإسلام للمرأة تختلف في سموها عن النظرة لها في الغرب، فالإسلام لا ينظر إلى المرأة من زاوية جمالها، بل من زاوية الدين والأخلاق والثقافة، لهذا نجد الإسلام يهيب بالمرأة أن تتحجب حتى لا يكون الجمال هو المعيار الحقيقي للتعامل معها.

فالغربُ لا يوظف إلا الشقراء والجميلة، ولا ينشر الإعلانات التجارية إلا بواسطة الحسناوات، ولا يفسح المجال في الإعلام إلا للجميلات. بل إن المرأة أصبحت سلعةً رخيصة لترويج السلع والبرامج في الإعلانات التجارية في الصحف والمجلات والقنوات الفضائية في التلفاز ، وتستخدم وسيلة جذب بجمال وجهها أو جسمها أو صوتها لمثل تلك الوسائل الإعلامية ، لمعرفة أولئك المتاجرين والمُستَخِفِّين بحقوقها بأنها تثير غرائز الرجال، وتجذب أكبر عدد ممكن منهم؛ لترويج السلع أو البرامج الإعلامية المرئية والمقروءة، وهم ينظرون لجسدها لا لروحها ، بل إن تلك الأجهزة الإعلامية أصبحت – مع شديد الأسف - تتنافس على اجتذاب الجميلات لقناعتهم أنها السبب الحقيقي لنجاح تلك البرامج ورواجها، بل إنها تستخدم في الغرب بائعة في المحلات التجارية ، لهذا نجد أن المسلمين يتقدمون على النساء في السَّير خشية انحدار المعايير التقويمية، وهذا ما فعله موسى عليه السلام وهو نبي ورسول من أنبياء بني إسرائيل مع صفورية بنت شعيب عليه السلام.

والغرب يفضل تقديم المرأة، لكن الإسلام يحبذ أن يتقدم الرجل على المرأة ليس لإهانتها، بل لأنه يجب أن يوفر لها الحماية، ويفسح لها الطريق، فالعربيُّ في الصحراء يتلقى الضربات الأولى عن المرأة؛ لهذا آثر أن يتقدم عليها وإذا وجد الطريق مأمونة قدَّمها.

المرأة في الإسلام

شهد القرن السادس للميلاد تحولاً في حياة الإنسان بصفة عامة والمرأة بصفة خاصة ، فقد أنزل الله سبحانه وتعالى تشريعاً سماوياً لإنقاذ البشرية من الظلم والتخبط والضياع.

كانت المرأة تعاني من الظلم والقهر في الحضارات السابقة لحضارة الإسلام، فكانت في اليونان لا تغادر البيت، وكانت محرومة حتى من الثقافة، لكن الإسلام حافظ على عفافها وساواها بالرجل في الحقوق والواجبات، أمّا من حيث الثقافة فقد جعل الإسلام العلم فريضةً عليها كما هو فريضة على الرجل ، فقال رسول ﷺ : طلب العلم فريضة على كل مسلم[1] .

أما في أسبارطة فقد نالت المرأة حريتها إلى حد الإباحية بسبب خروج الرجال إلى الحرب، فنزلت إلى الأسواق تبيعُ كل شيء حتى عرضها، فقال سقراط: إن سقوط أسبارطة كان بسبب خروج المرأة للحياة العامة.

وفي العهد الروماني كانت قوانين الألواح تنص على أن لا سلطة للمرأة لا على مالها ولا على ذاتها، وللرجل إن كان زوجاً أو أباً أو ابناً أن يبيعها أو ينفيها أو يعذبها أو يقتلها، فكانت سلطة الزوج عليها سلطة ملك لا حماية ، أما الإسلام فجعل لها سلطة على نفسها، وعلى مالها فلا تتزوج إلا برضاها، ولها حق الطلاق إذا ظلمت، أو عافت نفسها زوجها، أما من حيث الولاية على المال فلها وحدها الولاية على مالها.

(١) راجع صحيح الجامع الصغير ١/ ٧٢٦(٣٩١٣).

وفي شريعة حمورابي كانت المرأة في عداد الماشية، فقتلها لا يعتبر جريمة بل للقاتل أن يقدم لولي المقتولة ابنته ليقتلها أو يتملكها ، وفي الحضارة الهندية كانت تقتل المرأة بموت زوجها، بل وتحرق إلى عهد قريب مع زوجها إذا مات.

أما الأديان السماوية كاليهودية والمسيحية فقد نزلت هذه شرائعها لمناصرة المرأة ، وبسبب التحريف لهذه الأديان اضطهدت المرأة ، فأصبحت عند اليهود كالخادمة ، وأعطي للأب الحقُّ في بيعها وحرمت من الإرث.

أما المسيحيون فقد خرجوا على الإنجيل ، وأعلنوا أن المرأة باب الشيطان وعليها أن تستحي من جمالها ، لأنه سلاح ابليس . وقال عنها القديس (سوسنام) : إنها شر لابد منه، وآفة مرغوب فيها، وأنها مصيبة مطلية بالمساحيق، وقرر مجمع (ماكون) أن المرأة مجرد جسم لا روح فيه إلا مريم.

لقد كرم الإسلام المرأة فساواها بالرجل، وميزها في بعض الأحيان، وعالج قضاياها الخاصة حتى حقوقها الجنسية التي غفل عنها العصر الحديث ، ألم يقل رسول الله ﷺ: (لا ترتموا على نسائكم كالبهائم ، واجعلوا بينكم وبينهنَّ رسولاً ، فقيل : ما هو الرسول يا رسول الله قال: القبلة) ، أو لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول: قيل وما الرسول؟ قال: القُبلة والكلامْ ، أو لا يقع أحدكم على امرأته كما يقع على البهيمة . اجعل بينك و بينها رسول أي القبلة. لم أقف على تخريجه بهذا اللفظ، ولكن ورد بلفظ : نهى عن المواقعة قبل الملاعبة[1]

(١) رواه الخطيب في تاريخه ١٣/ ٢٢١ترجمة ٨١٨٨، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٦٩٤(٩٤٣٠) وصححه وعزاه للخطيب، وقال الألباني في ضعيف الجامع ص ٨٧٢(٦٠٦٥): موضوع، وكذلك في السلسلة الضعيفة ١/ ٤٣٠(٤٣٢).

ويأمر النبي ﷺ بتجمل الرجال لزوجاتهم ، فكما يتمتع هو بها لابد أن يمكنها من التمتع به ، فقال: خذوا من شعوركم واستاكوا ؛ فإن نساء بني إسرائيل زنت لأن رجالهم يتبعوها).

أما في العلاقة الجنسية فمنع النبي ﷺ أن يقضي الإنسان وطره من زوجته دون أن تنتهي، لأن ذلك يورثها حالاتٍ نفسية تنعكس على الأسرة ، وهو ما أكده علم النفس الحديث وذكره فرويد في كتابه (ثلاث نظريات في الجنس).

فقال رسول الله ﷺ: (إذا جامع أحدكم زوجته فليصدقها ، وإذا سبقها فلا يعجلها) [1] ، ولأن الرجل له القوامة فإن النبي ﷺ حض الرجل على احترام النساء وتكريمهن، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَإِذَا شَهِدَ أَمْرًا فَلْيَتَكَلَّمْ بِخَيْرٍ أَوْ لِيَسْكُتْ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ إِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا[2] .

وحض النبي ﷺ على الرأفة بهن، وعدم الاستعلاء عليهن ، فقال ﷺ (لا يغلبن إلا كريم ولا يغلبهن إلا لئيم).

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه في النكاح ب القول عن الجماع ٦/ ١٩٤.

(٢) متفق عليه رواه البخاري في أحاديث الأنبياء باب خلق آدم وذريته (٣٠٨٤) ومسلم في الرضاع باب الوصية بالنساء. راجع صحيح الجامع الصغير١/ ٢٢٦(٩٦٠).

المرأة المسلمة في هذا العصر:

لا شك في أن المرأة المسلمة في هذا تواجه تحديات عظيمة مثلها مثل الرجل، إن لم تكن أكثر ، وذلك بسبب الضيق المحرمة والإغراءات وقلة أهل الصلاح وضعف الإيمان، وما تعانيه الأمة من غزو ثقافي لا مثيل له ! يراد منه إضعاف عزيمة الأمة، والدخول على مكان قواها من خلال المغريات والفنون، والدعوة إلى السفور والتبرج، ومخالطة الرجال، وغيره من الكثير مما يوهن عزائمهن، ويضعف إرادتهن؛ لجرهن إلى فتنة التغريب التي انتشرت في مجتمعاتنا الإسلامية، وأصبحت داءً عضالاً على كلا الجنسين .

ولكن التحدي الحقيقي والخطير أمام الزوجة المسلمة الآن في هذا العصر هو كثرة المغريات أمام زوجها في المجتمع ووسائل الإعلام والسفر إلى الخارج والاختلاط مع النساء وغيره.

إذ إن تلك المغريات أصبحت تشكل إغراءً للرجل ، لتنظر عينُه إلى أشكال كثيرة وأجناس لا تعد ولا تحصى ، مما يجعل الرجل لا يقتنع بزوجته سواءً بالتعدد الشرعي، أو بعلاقات غير شرعية، مع شديد الأسف – حمانا الله وإياكم منها- ومع هذا لا تزال الزوجات لا يبالين بذلك، ولا يدركن حجم الخطر المحدق بهن أن يَكُنَّ على مستوى التحدي في استمرار بناء المودة بينهن وبين أزواجهن ، بل إننا مع الأسف نلاحظ أن الزوجة لا ترتدي أحسن الملابس وأجملها ولا تتعطر بالروائح الزكية ، إلا إذا أرادت الخروج خارج المنزل ؛ لكي تستعرض بجمالها ، ولكنها في بيتها لا تهتم بزوجها ولا بمظهرها، وأصبح العكس هو الصحيح، وهذا مخالف للسنة النبوية.

كيفية التعامل مع الأم والأب والمرأة

تقدم الكثير من آداب اللياقة مع المرأة (الأم) والأب في الإسلام، ونضيف إلى ما تقدم ما يلي:

(١) الحض على صلة الأرحام تكريماً لها :

أ قال ابو عبدالله لمن طلب تخييره بين العودة وبين صلة الرحم، روي: صلوا أرحامكم ولو بالسلام "[١]

ب وقال مثنى: قلت لأبي عبدالله: الرجل يكون له القرابة من النساء، فلا يقومون بين يديه، فأي شئ يجب عليه من برهم، وفي كم ينبغي أن يأتيهم؟ قال: اللطف والسلام.

ج وفي نهيه عن كل ما يفضي إلى قطع الأرحام قال ﷺ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا وَلَا عَلَى خَالَتِهَا) [٢]

(٢) بر الوالدين :

قال تعالى: وبالوالدين إحساناً " [٣] وقال سبحانه: أن اشكر لي ولوالديك " [٤]

(٣) الأم أولى الناس بالبر :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي قَالَ أُمُّكَ قَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ ثُمَّ أُمُّكَ قَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ ثُمَّ أُمُّكَ قَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ ثُمَّ أَبُوكَ) [٥]

ومن صحيح الأحاديث في ذلك، قوله ﷺ:

---

(١) أخرجه البراز ١٨٧٧ كشف وابن عدى في الكامل ٦/ ٢١٦٨

(٢) رواه مسلم في النكاح باب تحريم الجمع بين المرأة .... (٢٥١٨) راجع أيضا صحيح سنن الترمذي كتاب النكاح باب لا تنكح المرأة على عمتها ١/ ٣٢٨(٨٩٩).

(٣) سورة الإسراء: من الآية ٢٣.

(٤) صورة لقمان: من الآية ١٤.

(٥) متفق عليه رواه البخاري في الأدب باب مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصَحَبَة (٥٥١٤) ومسلم في البرو الصلة... باب بر الوالدين(٤٦٢١)

" إن من أتمّ البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعدما يولي " [1]

وقال عليه الصلاة والسلام:

" من أراد أن يصل أباه بعد موته ، فليصل إخوان أبيه " [2]

وقال عليه السلام.

" ثلاث يطفئن نور العبد " : أن يقطع أهل وُدّ أبيه، ويبدل سنة صالحة، ويرمي ببصره في الحجرات " [3]

(٤) عدم جواز المشي أمام الأب أو الجلوس قبله أو مناداته باسمه :

رأى أبو هريرة رجلاً يمشي خلف رجل فقال : من هذا؟ قال: أبي، قال: لاتدعُه باسمه، ولا تجلس قبله، ولا تمش أمامه [4]

(٥) البنات حسنات ولهن فضائل :

قال محمد بن سليمان: البنون نِعَم، والبنات حسنات، والله عز وجل يحاسب على النعم، ويجازي على الحسنات. وقد دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده بنت فقال: أبعدها الله عنك يا أمير المؤمنين، فوالله ما علمت إلا أنهنّ يلدن الأعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن، فقال معاوية: لا تقل هذا يا عمرو ، فوالله ما مرَّض المرضى ولا ندب الموتى، ولا أعون على الأحزان منهن، ولربَّ ابن أخت قد نفع خاله [5]

(٦) إنزال كبير الأخوة منزلة الأب في الحق :

قال ﷺ:

حق كبير الأخوة على صغيرهم كحق الوالد على الولد " [6]

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٥٢.

(٢) ورد في بهجة المجالس ١/ ٧٥٩.

(٣) المصدر السابق ١/ ٧٥٩.

(٤) ابن مفلح المقدسي، مقوّلفه السابق ج٢ ص ٨٣.

(٥) ابن مفلح المقدسي، المصدر السابق ج ص ٢ ٨٤.

(٦) أخرجه مسلم ٣٠٠٩.

(٧) عدم جواز الدعاء على الولد والأهل بسوء:

صح عن النبي ﷺ نهيه عن الدعاء عليهم بقوله: "... لا تدْعو على أنفسكم، ولا تدْعو على أولادكم ولا تدْعو على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم" (١)

(٨) تشجيع الإسلام على تعليم الإماء وتأديبهن وعتقهن:

فتح الإسلام أبواب العتق وسد منافذ الرق ولم يعد فيه عبد منذ أمد بعيد.

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال:

"ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: عبد مملوك أدَّى حق الله وحق مواليه، ورجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي، ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها فتزوجها" (٢)

(٩) حياء المرأة لا يجب أن يمنعها عن التفقه في الدين:

عن عائشة قالت:

رحم الله نساء الأنصار، لم يمنعهنَّ الحياء أن يسألن عن أمر دينهنَّ وأن يتفقَّهن في الدين (٣)

(١٠) حياة المرأة والرجل رسالة أخلاقية ونفسية ودينية قبل أن تكون حسية والاعتدال مطلوب:

فالناس على ضربين، عالم يغلبه هواه فيتوانى عن العمل ، وجاهل يظن أنه على الصواب، وهذا الأغلب على الخلق، فالأمير يراعي سلطنته ولا يبالي بمخالفة الشرع... والفقيه همته ترتيب الأمور ليقهر الخصم، والقاصُّ همته تزويق الكلام ليعجب السامعين، والزاهد مقصوده تزيين ظاهره بالخشوع لتُقبل يدُه ويتبرك به، والتاجر يمضي عمره في جمع المال كيف اتفق ، ففكره مصروف إلى ذلك عن النظر إلى صحة العقود، والمغرم بالشهوات منهمكٌ في تحصيل غرضه تارة بالمطعم وتارة بالوطء وغير ذلك، فإذا ذهب العمر في هذه الأشياء، وكان القلب مشغولاً بالفكر في تحصيلها، فمتى تتفرغ

---

(١) أخرجه مسلم ٣٠٠٩.

(٢) أخرجه البخاري ٣٠١١ ومسلم ١٥٤ وابن حبان ٢٢٧.

(٣) أخرجه مسلم ٣٣٢ وأبوداود ٣١٦ وابن ماجة ٦٤٢.

لإخراج زيّف القصيد من خالصه، ومحاسبة النفس في أفعالها، ودفع الكدر عن باطن السر، وجمع الزاد للرحيل، والبدار إلى تحصيل الفضائل والمعالي.

إذا صح هذا فإن اللذة الكاملة تكون في الأمور التالية ، وهي:

- العلم.
- والإدراك لحقائق الأمور.
- والارتفاع بالكمال على الناقصين.
- والانتقام من الأعداء.
- إلا أنه قد تكون لذة العفو أطيب؛ لأنها لا تقع إلا في حق ذليل قد قهر.
- والصبر على نيل كل فضيلة وعن كل رذيلة.
- والملاحظة لعواقب الأمور.
- وعلو الهمة فلا تقصر عن بلوغ غاية تراد بها فضيلة.

ومن علم أن الدنيا تزول ، وأن مراتب الناس في الجنة على قدر أعمالهم في الدنيا، نافس أولئك قبل أن يصل إلى هناك ؛ ليقدم على مفضولين له . ومن تفكر عَلِمَ أنَّ كثيراً من أهل الجنة في نقص بالإضافة إلى من هو أعلى منهم، غير أنهم لا يعلمون بنقصهم ، قد رضوا بحالهم وإنما اليوم نعلم ذلك.

ومن هنا فإن اللذات بين حسيٍّ ومعنوي، فأما الحسيات فليست بشيء عند النفوس الشريفة، إنما تراد لغيرها كالنكاح للولد ولزوال الفضول المؤذية، والطعام للتغذي والتداوي، والمال للإعداد وللحوائج والاستغناء عن الخلق، وإنما جعلت اللذات في تحصيل هذه الأشياء.. وإن طلب منها شيء لنفس الالتذاذ فإن للطبع خطا، إلا أن كل لذة حسية تلازمها آفات لا تكاد تفي باللذة، فإن النكاح لذة ساعة فيلازمه - عاجلاً - ذهاب القوة ، وتكلف الغسل ، ومداراة المرأة ، والنفقة عليها وعلى الأولاد، فاللذة خطفة كخطف البرق وما لازمها صواعق... وعلى هذا جميع اللذات الحسية فينبغي أن يتناول منها الضروري ، أما اللذات المعنوية فهنيئاً لمن ظفر بها[1]

(١) في كل ما تقدم وغيره انظر ابن مفلح المقدسي، المرجع السابق ج ٢ ص ص ٣٤٨.

(١١) آداب الإسلام بشأن مصافحة المرأة وتقبيل البنت:

قال البراء: فدخلت مع أبي بكر على أهله، فإذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها حمى، فرأيت أباها يقبل خدها وقال: كيف أنت بُنَيَّة.[١]

وقال المروذي: سألت أبا عبد الله عن قبلة اليد فقال: إن كان على طريق التدين فلا بأس، قد قبّل أبو عبيدة يد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وإن كان على طريق الدنيا فلا، إلا رجلاً يخُاف سيفه أو سوطه.

وقال الحسن البصري: قبلة يد الإمام العادل طاعة. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قبلة الولد رحمة، وقبلة المرأة شهوة، وقبلة الرجل أخاه دين[٢]

وتقبيل يد العالم والكريم لرفده ، والسيد لسلطانه جائز، فأما إن قبل يده لغناه فقد روى : من تواضع لغني لغناه فقد ذهب ثلثا دينه. وقال الشيخ وجيه الدين أبو المعالي أيضاً: التحية بانحناء الظهر جائز، وقيل: هو سجود الملائكة لآدم ... ولما قدم ابن عمر الشام حياه أهل الذمة كذلك فلم ينههم، وقال: هذا تعظيم للمسلمين[٣].

ولكن روى الترمذي وحسنه: عن أنس قال: قال رجل: يا رسول الله، الرجل منا يلقاه أخوه أو صديقه، أينحني له؟ قال: لا قال : أفيلزمه ويقبله؟ قال : لا . قال : فيأخذ بيده ويصافحه؟ قال نعم[٤].

وقد قال ابن منصور لأبى عبدالله: يقبل الرجل ذات محرم منه؟ قال: إذا قدم من سفر ولم يخف على نفسه، وذكر حديث خالد بن الوليد، قال إسحاق بن راهويه: كما قال. وقد فعل النبي ﷺ حين قدم من الغزو فقبل فاطمة[٥]، ولكن لا يفعله على الفم أبداً، الجبهة أو الرأس وقال بكر بن محمد : عن أبيه، عن أبي عبدالله وسئل عن الرجل يقبل أخته؟ قال: قد قبل خالد بن الوليد أخته.[٦]

---

(١) أخرجه البخاري ٣٩١٧ وأبوداود ٥٢٢٢.

(٢) انظر فيما تقدم، ابن مفلح المقدسي، مؤلفه السابق ج٢ ص ص ٣٧٨ – ٣٧٩.

(٣) المرجع السابق ص ص ٣٨٠ – ٣٨١.

(٤) رواه أحمد ٣/١٩٨ وابن ماجه ٣٧٠٢ والترمذي ٢٧٢٨ وإسناده ضعيف عده الإمام أحمد من منكرات حنظلة بن عبدالله السدوسي

(٥) أنظر مصنف ابن مفلح المقدسي، سالف الإشارة ج ٢ ص ٣٨٨.

(٦) انظر مصنف ابن مفلح المقدسي، سالف الإشارة ج٢ ص ٣٨٨.

سير النساء في وسط الطريق:

رواه أبو عمرو بن حماس، عن النبيﷺ مرسلاً.

- وقد أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، أنبأنا عبدالله بن جعفر، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا عبدالله بن مسلمة، ومحمد بن عثمان التنوخي، أنبأنا عبدالعزيز بن محمد، عن أبي اليمان، عن شداد بن أبي عمرو بن حماس، عن أبيه، عن حمزة بن أبي سيد الأنصاري، عن أبيه، أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول وهو خارج من المسجد، فاختلط النساء مع الرجال في الطريق فقال رسول الله ﷺ للنساء:

((...ليس لكن أن تحققن بالطريق، عليكن حافات الطريق)).

فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق [بالشيء](*) في الجدار من لصوقها به)).

- وروينا عن ابن عمر، مرفوعاً في: ((نهي الرجال [عن المشي](*) بين المرأتين)).

آداب المعاشرة الزوجية:

لقد خلق الله جلت قدرته الإنسان من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، ومنذ أن انفصلا إلى جزءين يحنُّ كلُّ جزء للآخر.

فعلى الرجل أن يعرف أن المرأة خُلقت من ضلع من أضلاع آدم ، لتكون جزءاً منه تكمل به ويكمل بها، والضلع أقرب ما يكون من القلب وهو المكان الطبيعي للزوجة، فعليه أن يعامله بقلبه منبع العواطف، والرباط المتين الذي يربط الرجل بالمرأة الحب -الحنان- العطف- المودة. وكذلك على المرأة أن تعرف مكانها من زوجها فتقترب إليه من خلال قلبه ومشاعره. هذا وقد أوصى الصادق ﷺ الرجال بنسائهم قال - ﷺ - (فإنكم استحللتم فروجهن بكلمة الله وسنة رسوله لا تضربوا الوجه ولا تقبحوه)) (رواه الترمذي).

(*) ما بين المعقوفتين: سقطت من الأصل، وكتبت على الهامش.

(*) ما بين المعقوفتين: سقطت من الأصل، وكتبت على الهامش.

فعلى الزوج أن يعتنى دائماً بتغذية امرأته جسداً وروحاً، وتغذية الجسد فيه الأجر والثواب ، لقول الرسول ﷺ: ((حتى ما تجعل في فيّ امرأتك)) (رواه البخاري).

أما تغذية الروح فتكون بالكلام الجميل الطيب الذي يداعب أحاسيسها المرهفة، والمرأة لا تمل من سماع كلمات الحب والإعجاب مهما بلغت من العمر[1].

ولا شك أن النية الصالحة مطلوبة في الزواج، وذلك بأن ينوى العروسان العفة والتحصن من الوقوع في الحرام.

المعاشرة الزوجية لها آداب فلا يصح للزوج أن يأتى امرأته دفعة واحدة دون تمهيد ودون إعداد ، فتلك فطرة وغريزة نراها حتى في الطيور والحيوانات ، فالطاووس مثلاً ينفش ريش ذيله ويهزه ويمشي مختالاً أمام الأنثى قبل أن يأتيها وهكذا.

فكيف بالإنسان؟ وعلى الزوج أن يتزين ويتعطر لامرأته كما يحب أن تفعل هي ذلك له. هذا وليس من الأدب وكمال الوقار أن يجامع امرأته وهما عريانان لقول النبي ﷺ: ((ولا يجامع أحدكم امرأته وهما عريانان كشيطانين)) (ابن ماجه).

وكذلك من آداب المعاشرة أن يأتي الرجل زوجته في الموضع المخصص لذلك فلا يجامعها من دبرها ، لما في ذلك من امتهان للمرأة بل يأتيها من قبلها وهو موضع الحرث المخصص لذلك كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ (البقرة:٢٢٢).

وعلى الرجل كلما أراد أن يأتي امرأته أن يذكر الله ، وأن يستعيذ بالله من الشيطان لقول الرسول الكريم: ((أما لو أن أحدهم يقول حين يأتي امرأته : بسم الله

(١) التربية في الإسلام –ياسين رشدي.

اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإن قدر لهما ولد في تلك الليلة لا يمسه الشيطان)) (رواه البخاري).

هذا ومن آداب اللياقة في هذا الشأن ألا يتكلم الزوج مع أحد عن علاقته بزوجته أو يشكوها لأهله أو لأهلها أو لأصدقائه ، فالشكوى ضعف لشخصيته ، وكذلك النتائج المترتبة على هذه الشكوى وشعور امرأته بالإهانة والاحتقار؛ لذا وجب التفاهم لإزالة مثل هذه الأمور.

وعلى المرأة أن تراعى التطهر بعد المحيض ، وأن تكون دائماً في أجمل وأبهى صورة ، وتحرص على ألا يرى زوجها منها ما يكره أو يشمُّ منها ما يؤذى ، أو يسمع منها ما ينفر، ولتعلم أن أعظم القربات إلى الله تعالى هو حسنُ طاعة المرأة لزوجها كما نبه لذلك نبينا ﷺ.

وعلى الزوج أن يمدح زوجته ويحدثها بكلام الحب واللطف والمودة ، حتى ولو كان مجاملاً في ذلك غير صادق، ففي مثل هذه الحالات يجوز قولُ غير الحقيقة لتطييب خاطر الزوجة وإسعادها.

كما يحظر على الرجل أن يبخل على امرأته فأشدُّ ما تكرهه الزوجة هو بخلُ زوجها عليها – كما تكره الزوجة أن يراها الزوج على غير زينة ، لذلك قال ابو القاسم ﷺ: ((لا يطرق أحدكم أهله ليلاً ، حتى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة))، وهذا معناه إذا سافر الزوج فلا يصح له أن يفاجئ زوجته بالحضور ليلاً وهي غير مستعدة لاستقباله ، بل عليه أن يخطرها بموعد حضوره حتى تمشط وتتجمل وتتزين له فيراها في أبهى صورة وأحلاها[1].

تفصيل الإسلام للتعامل مع الزوجة: وهو ما لم تتطرق له التشريفات الأخرى والتنظيمات الاجتماعية ، فلقد علمنا الدين الإسلامي على لسان الرسول ﷺ هذه الآداب.

(١) المصدر: آداب السلوك في الإسلام – كمال محمد عليه

روى النسائي عن عبدالله بن سرجس أن رسول الله -ﷺ- قال: ((إذا أتى أحدكم أهله فليلق على عجزه (٥٧/ ب) شيئاً ، ولا يتجردان تجرد العيرين)).

ويتصل هذا الحديث من جهة صدقة بن عبدالله، وليس بقويٍّ عن زهير بن محمد، وهو ضعيف.

وروى أبو أحمد بن عدي من حديث عباد بن كثير عن محمد بن جابر بن طلق عن أبيه أن رسول الله -ﷺ- قال:

((إذا جامع أحدكم أهله فلا يُعجلها حتى تقضي حاجتها ، كما يحب أن يقضي حاجته)).

عباد بن كثير الواقع في هذا السند هو شامي، وهو ضعيف، وأما محمد بن جابر فروى عنه الأئمة كشعبة والثوري وأيوب وغيرهم.

قال الغزالي في كتاب الإحياء: من آداب النكاح التي حَضَّ رسول الله -ﷺ- عليها إذا قضى الرجل وطره من الإنزال أن يمهل المرأة حتى تقضى أيضاً هي وطرها، فإنَّ إنزالها قد يتأخر عنه، فالقعود عنها إذ ذاك إيذاء لها.

قال: والاختلاف في وقت الإنزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقاً، وإن سبقت هي فذلك لا يضره، أعني الزوج.

قال: والتوافق في وقت الإنزال ألذ للمرأة ليُشغل الرجل بنفسه عنها ، فإنها ربما تستحى.

وذكر الغزالي أن من آداب الجماع أيضاً أن ينحرف عن القبلة فلا يستقبلها إكراماً لها، وأن يقدم قبل الوقاع الملاعبة والتلطف بالكلام والتقبيل.

وذكر في ذلك حديثاً عن النبي -ﷺ-:

((لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة، ليكن بينهما رسول)) قيل: ما هو يا رسول الله؟ قال: ((القبلة والكلام)).

وروى أن رسول الله -ﷺ-:

((ثلاث من العجز في الرجل: أن يلقى من يحبُّ معرفته فيفارقه قبل أن يعرف اسمه، وأن يكرمه أخوه فيرد عليه كرامته، وأن يقارب المرأة فيصيبها قبل أن يحادثها ، ويؤانسها فيقضى حاجته منها قبل أن تقضى حاجتها منه)).

قال: ويُكره الجماع في ثلاث ليالٍ من الشهر: الأولى والوسطى والأخرى، فإنه يقال إن الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي.

قال وقد رويت كراهة ذلك عن علي -رضي الله عنه- ومعاوية وأبي هريرة رضي الله عنهم.

- وذكر أن من العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة تحقيقاً لأحد التأويلين لقوله ﷺ: ((من غسل واغتسل....)).
- مسلم عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-:
- ((إن من أشر الناس منزلة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ، ينشر[1] سرها)).

- وفي رواية:

((إن من أعظم الأمانات عند الله يوم القيامة ، الرجل يُفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر[2] سرها)).

---

(١) ، (٢) ، في الأصل ((يفشى)).

٢٥٢- إتحاف السادة المتقين (٥/ ٣٧٣).

٢٥٣- أخرجه مسلم (٢/ ١٠٦٠).

٢٥٤- أخرجه مسلم (٢/ ١٠٦١).

٢٥٦- أبو داود (٢١٧٤).

٢٥٧- النهاية في غريب الحديث (سبع) وقال ابن الأثير هو الفخار بكثرة الجماع.

٢٥٩ - كتاب النقائض لأبي عثمان سعدان بن المبارك الضرير الكوفي (إيضاح المكنون).

وأخرجه مسلم من طريق عمر بن حمزة العمري، وقد ضعفه ابن معين، وقال ابن حنبل: أحاديثه مناكير.

-قال عياض- رحمه الله- في الإكمال: وقد جاء في النهي عن ذلك أحاديث كثيرة ووعيد شديد، قال: وإنما المنهى عنه أن يصف ما تفعله من ذلك ويكشف الحال فيه، إذ هو من كشف العورة بالنظر أو بالوصف، وأما ذكر مجرد المجامعة والخبر عنه على الجملة فغير منكر إذا كان لفائدة ولمعنى كما قال عليه السلام:

((إني لأفعله أنا وهذه)).

وذكره لغير فائدة ليس من مكارم الأخلاق، ولا من فعل أهل المروءات.

- وروى أبو داود عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: صلى رسول الله -ﷺ- في المسجد ، ومعه صفان من رجال وصف من نساء ، أو صفان من نساء وصف من رجال (١/ ٥٩). فلما قضى صلاته أقبل على الرجال وقال:

((هل منكم الرجل إذا أتى أهله فأغلق عليه بابه وأرخى عليه ستره واستتر بستر الله ؟)) قالوا: نعم، قال: ((ثم يجلس بعد ذلك فيقول فعلت كذا وفعلت كذا)) قال فسكتوا. قال ثم أقبل على النساء فقال: ((هل منكن من تحدث ؟)) فسكتن ، فجثت فتاة كاعب على إحدى ركبتيها وتطاولت لرسول الله -ﷺ-: ((تدرون ما مثل ذلك؟ إنما مثل ذلك كمثل شيطانة لقيت شيطاناً في السكة فقضى منها حاجة والناس ينظرون إليه)). وذكر بقية الحديث.

-الخطابي في غريب الحديث عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- نهى عن السباع.

قال الخطابي السباع المفاخرة بالجماع وإفشاء الرجل ما يجرى بينه وبين زوجه فيه، مأخوذ من قولك سبعت الرجل أي اغتبته وذكرت فيه ما يكره ، لأن أمر الجماع مما يكره (٥٩/ ب) ذكره. ويستر عن الناس أمره. انتهى كلام الخطابي.

- وفي الحديث تأويل آخر نذكره بعد إن شاء الله. ولا بأس أن يسأل الرجل صبيحه بنائه : كيف وجد أهله ؟ فقد جرت العادة بذلك. وقد سأل مالك بن الحارث الأشتر عليًا - رضوان الله عليه- عن ذلك فأجابه وأخبره بالصفة التي وجدها عليه ، غير أنه يستحب له إن وجد عيباً من قبح أو غيره أن يستره ويخبر بأمر عام إن لم يرضها. أو أنها لم توافق أخلاقه. وإن وجد جمالاً فائقاً أو حسناً بارعاً و أدباً بالغاً فلا يفرط في وصفه ويبالغ في ذكره كما يفعله كثير من السخفاء. فإن ذلك ضعف ودناءة،، ثم قد تنشأ عن ذلك مفاسد كثيرة.

-حكى أبو عثمان في كتاب النقائض قال: كانت لمعبد السليطى امرأة تسمى حميدة وهي من بنى رزام بن مالك بن حنظلة، وكانت فائقة الجمال، وكان زوجها معبد قد أخرجه الحجاج في بعث خراسان فكان يحدث جلساءه بجمالها ويظهر التشوق إليها، حتى هم أن يعصي ويرجع، فوقعت محبتها في قلب خوط بان أحد بنى العتيك (١/ ٦٠) فقال لمعبد: إني أحب أن ألحق بالبصرة، فقال له معبد فإني أكتب معك كتاباً إلى حميدة، فلما قدم عليها أتاها بكتاب زوجها معبد، وقال: لا أدفعه إلا إليها ، فكلمها وأوقع إليها شيئاً مما بقلبه من محبتها ، ولم يزل يختلف إليها ويخدعها حتى هربت إليه فاختبأت عنده حولاً ، فدلَّ عليها أهلها وقد حملت، فأتي بها إلى عبد الرحمن بن عبيد العبسي، وكان على شرطة الحجاج فرجمها.

والمرأة إن كانت عفيفة، ولم تكن ممن يخشى عليها مثل هذا ، وكان السامع لوصفها كذلك فقد يبقى في نفسه شيء من أمرها يحمله على تربص الدوائر بها ، وانتظار ما يمكنه التوصل به إليها على الوجه المشروع: من موت زوجها أو تطليقه، فيثب عليها ويتزوجها بوصف زوجها، فليحُذر كل الحذر من ذلك، والله الموفق[1].

(١) المرجع السابق .

الفصل الثامن

آداب الإسلام في السلوك الدبلوماسي

الفصل الثامن

آداب الإسلام في السلوك الدبلوماسي

إن آداب الإسلام في السلوك الدبلوماسي هي جزء لا يتجزأ من آداب اللياقة العامة في الإسلام، والإسلام ينظر إلى عمل الدبلوماسي من الناحيتين الشكلية والموضوعية ، فالمظهر والجوهر لا يتجزآن في الإسلام، ويمكن القول : إن أهم آداب اللياقة ومقتضياتها في الشريعة الإسلامية تدور حول أمور كثيرة من أهمها:

١ - الاهتمام بمظهر الدبلوماسي :

إن الموهبة الشخصية لا تكفي الدبلوماسي، وإنما يجب أن يكون مظهره معبراً تعبيراً صادقاً عند الذهاب إلى المساجد لقوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ [1] إلا أن أخذ الزينة واجب دائماً قدر الطاقة وهو للدبلوماسي أوجب:

قال تعالى: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ [2].

ويقول الباحثون : إن رسول الله ﷺ كان يبعث بسفرائه من صالحي أهله، ومن حسني الشكل والصورة فاختار دحية الكلبي سفيراً له لدى قيصر الروم ، وكان من أكثر الناس وسامة وحسن منظر [3].

---

(١) سورة الأعراف: من الآية ٣١.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٣٢.

(٣) السفير عبدالقادر سلامة، قواعد السلوك الدبلوماسي المعاصر ط ١-١٩٩٧م دار النهضة العربية، ص١٣٦.

ويقول أهل العلم: "يستحب في الرسول، تمام القد، وعبالة الجسم (أي ضخامته) حتى لا يكون قميئاً ولا ضئيلاً، فأعينُ الملوك تسبق ذوي الرداء من الرسل، فاجتهدوا في أن يكون ذلك الواحد وسيما قسيماً.."[1].

وكل ما تقدم من أقوال يجد سنداً له في السنة المطهرة.

أيضاً بجانب القرآن الكريم، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَى رَجُلًا شَعِثًا قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ فَقَالَ أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ وَرَأَى رَجُلًا آخَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ فَقَالَ أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ[2].

٢ - الاهتمام بالجوهر:

ويحظى الجوهر، لاسيما الأمور المعنوية باهتمام الإسلام، بالنسبة للكافة ونكتفي الآن بما يسري على الدبلوماسي من باب أولى.

١- الكياسة وطيب الكلام:

لعلَّ أولى أدبيات العمل الدبلوماسي أن يكون الدبلوماسي ذكيّاً، يجعل التعقل والحكمة والذكاء والفطنة أهم سماته الغالبة ، فلا يشط في قول ولا يسمح لخفة أن تعتريه أو تسرع أن يتحكم فيه، وإنما يكون دائماً طلق الوجه طيب الكلام.

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾[3].

---

(١) ابن الفراء (ابو علي الحسن بن محمد..) كتاب رسل الملوك ومن يصلح للسفارة تحقيق صلاح المنجد، دار الكتاب الجديد ١٩٧ ص٤٧.

(٢) رواه أبوداود في اللباس باب غسل الثوب ..(٤٠٦٢) وصححه الألباني كما في صحيح أبي داود ٢/ ٧٦٦(٤٠٦٢).

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: (لاَ تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ) [1].

٢ـ حسن معاشرة الغير:

مسلماً أم غير مسلمٍ، والمسلم أولى الناس بحسن المعاشرة، وقضاء الحاجة وتفريج الكربة، وستر الزلة، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرجَّ عن مسلم كربة فرَّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة " [2].

٣ - العلم:

قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [3].

وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم، والله يعطي، ولن تزال هذه الأمةَ قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله " [4].

٤ - الصبر:

يحتاج العمل الدبلوماسي إلى الصبر؛ لأن الدبلوماسي يواجه كثيراً من المشكلات وما لم يستجمع هذه الصفة فإنه قد يضر بلده وعقيدته.

---

(١) رواه مسلم في البر باب استحباب الوجه الطلق(١٦٧٧). وتقدم في ص ١١٧ ورواه الترمذي راجع صحيح سنن الترمذي٢/ ١٩٥(١٦٣٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم ٢٤٤٢، ومسلم برقم ٢٥٨٠.

(٣) سورة المجادلة: ١١.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم ٧١، ومسلم برقم ١٠٣٧.

٥ - الصدق:

وفي فضل الصدق يقول الله تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" (٢).

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً" (٣).

قد يقال : إن الدبلوماسي يحتاج أحياناً إلى الكذب (الفني) الذي تقتضيه الظروف، ونعتقد أن الصدق مفهوم مطلق وفضله مطلق، فقد قال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٤).

٦ - الرفق:

لعل الرفق ألزم صفات الدبلوماسي، وقد بين رسول الله ﷺ أهمية الرفق.

---

(١) سورة المائدة: الآية ١١٩.
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم ٦١١٤، رقم ٢٦٠٩.
(٣) أخرجه مسلم برقم ٢٦٠٧.
(٤) سورة المائدة: الآية ١١٩.

فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه"[1].

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه"[2].

٧ - والكرم:

وهو كرم محسوب في العلاقات الدولية، ولكن هذا الكرم له مردود كبير لمصلحة الدولة، إذ إنه ليس سفها ولا ترفاً ولا إنفاقاً دون حساب ، ولكنه تعارف لاجتلاب المواقف لمصلحة الدولة، فالكرم المقصود هو الذي يوضع في موضعه ويكون في أداء واجب أو تحقيق التعارف أو تكوين صداقات أو رد على مجاملات.

والكرم في العمل الدبلوماسي يختلف عن الكرم الذي أمر الإسلام باتباعه نحو الآخرين في أن الكرم الدبلوماسي هو كرم دنيوي الهدف والغاية ، فهو لا يهدف إلا لتحقيق مصلحة عاجلة للدولة، في حين أن الكرم في الإسلام هو في الأصل إنفاق في سبيل الله وفي وجوه الخير ، ومع ذلك فإنَّ خدمة الدولة المسلمة قد تؤدي إلى خدمة الدعوة الإسلامية وتثبيت مواقف الدولة وهي مصلحة جديرة بالاعتبار ، وعموماً فإن القرآن الكريم دعانا للكرم في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾ [3]، وفي قوله سبحانه: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [4].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم ٦٩٢٧، ومسلم برقم ٢٥٩٣.
(٢) أخرجه مسلم، برقم ٢٥٩٤.
(٣) سورة سبأ: الآية٣٩.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٧٣.

٨ - تجنب الكبائر:

(هناك تصرفات غير سوية، يجدر بالشخص العادي والعضو الدبلوماسي تفاديها مثل شرب الخمر) [١] التي يحرمها الدين ، وغير ذلك من الأمور التي قد تفضي أيضاً إلى مشكلة خاصة في المجال الدبلوماسي ، وهي قدرة الآخرين على الحصول على معلومات عن الدولة ممن يغشى هذا الداء الوبيل، والخمر هو السبيل الأول للعب القمار وإضاعة المال وهو مهلكة للصحة وإتلاف للمال ، ومخالفة للشرع حيث أمر الله تعالى باجتناب الخمر وغيرها في قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [٢].

٩ - صفات أخرى عامة:

مثل الحرص واليقظة وإتقان العمل وطاعة الرؤساء والعدل بين الرعايا في واجب الحماية ، وتوخي العدالة في أداء الوظيفة وبين الزملاء ، وكلها تعبر عن مبادئ مستقرة في الشريعة الإسلامية، وقد سبق بيان ذلك في الآداب الإسلامية، ونشير إليها بإيجاز فعن الحرص واليقظة، نقول : إن الكتمان هو جوهرهما وأساس فاعليتهما ، وقال ابن عبدالبر عن رسول الله ﷺ قال: (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود) [٣].وأما اتقان العمل، فإن القرآن الكريم حث عليه وحض على نيل ثوابه من الله سبحانه وتعالى، فقال جل شأنه: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم

(١) السفير عبدالقادر سلامه، مؤلفه السابق، ص١٦٤.

(٢) سورة المائدة : الآيتان ٩٠-٩١.

(٣) أخرجه ابن حيان في روضة العقلاء ص١٨٧ والسهمي في تاريخ جرجان ص٢٢٣ أورده ابن مفلح المقدسي، المرجع السابق ج٢، ص٢٨٣.

بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (١).

وطاعة الرؤساء في الحق مطلوبة، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (٢).

وأما توخى العدالة العامة، ففيها قول الله سبحانه وتعالى: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ (٣).

وهذه الصفات الإسلامية ليس لها سند في الأمور الوصفية ولا ضوابط، كما هو الأمر في الإسلام، ولذا يحسن بالدبلوماسي أن يمتثل هذه الأمور وأن يعلم الغير بها وليس ذلك على سبيل الدعوة إلى الله فقط ، بل أيضاً لتحقيق الخير العام للناس من جراء فهمهم لحقائق الإسلام فهماً حقيقياً يستند إلى نصوص شرعية لا سبيل إلى النيل منها وهي نصوص تتسم بسمات أساسية من أهمها:

١- إنها ذات مصدر رباني، فالقرآن الكريم هو كلام الله تعالى المنزل على نبينا محمد ﷺ ، والمبتدأ بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس والمتعبد بتلاوته والمتحدي به الإنس والجن.

والسنة المطهرة ترد للوحي كذلك ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾.

وعلى ذلك فإن آداب الإسلام في المجال الدبلوماسي تفوق الآداب العرفية والوضعية ، ليس فقط من حيث سمو مصدر آداب الإسلام ، بل أيضاً من حيث شمول

(١) سورة الكهف: الآيتان ١٠٣-١٠٤.
(٢) سورة النساء: الآية ٥٩.
(٣) سورة النساء: الآية ١٣٥.

هذه الآداب ، ولكونها تتسم بالحق دائماً والعدل ، وتستهدف تحقيق المساواة بين الناس دون النظر إلى ظروفهم الخاصة أو أوضاعهم الاجتماعية، بل بالنظر لعقيدتهم ، لا تفرقة ولا تمييز.

١٠ - عدم التماس رضا الناس بسخط الله :

ذلك أن الدبلوماسي ربما يُطلب منه شرب الخمر إرضاءً للبعض أو احتراماً للتقاليد أو الآداب الوضعية المرعية في السلك الدبلوماسي ، أو مجالسة النساء ، والتودد إليهن لا سيما إذا كنَّ من علية القوم، فهذا كله من التقاليد الفاسدة التي لا يجوز أن تخالف لها الشريعة، فقد كتب معاوية إلى عائشة - رضي الله عنه - (اكتبي لي كتاباً توصيني فيه ولا تكثري عليّ) فكتبت إليه، (سلام عليك: من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله عز وجل إلى الناس)[١].

وقال علي رضي الله عنه: (الملك والدين أخوان، لا غنى بأحدهما عن الآخر، فالدين أسٌّ، والملك حارس، فما لم يكن له أس فمهدوم، وما لم يكن له حارس فضائع)[٢].

١١ - الوفاء بالوعد :

وذلك لما هو ثابت من ثناء الله سبحانه على إسماعيل - عليه السلام - فقال: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ ﴾[٣].

وقد قال ابن عبدالبر: وقد روى عن النبي ﷺ أنه انتظر رجلاً وعده في موضع من طلوع الشمس إلى غروبها[٤].

١٢ - اتباع الحق مهما كانت الظروف :

لما احتضر أبو بكر أرسل إلى عمر رضي الله عنهما فقال: يا عمر إن وليت على الناس فاتق الله، والزم الحق، فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٤١٤) وابن حبان رقم ٢٧٦.
(٢) ابن مفلح المقدسي، الآداب الشرعية، مرجع سابق ج١، ص٢٤٣.
(٣) سورة مريم: الآية ٥٤.
(٤) أخرجه أبو داود برقم ٤٩٩ والبيهقي في الكبرى ج١٠، ص١٩٨.

وثقله عليهم ، وحق الميزان إذا وضع فيه الحق غدا أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم، وحُقَّ لميزان وضع فيه الباطل أن يكون خفيفاً، واعلم أن الله تعالى وضع عملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدَّي الفريضة... وكتب عمر إلى معاوية رضي الله عنهما: (أن ألزم الحق ، ينزلك الحق في منازل أهل الحق يوم لا يقضى إلا بالحق) ، وأول كتاب كتبه علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خلافته: (أما بعد، فإنه هلك من كان قبلكم فإنهم منعوا الحق حتى اشتُرِى، وبسطوا الباطل حتى اقتدى) ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (من كان على الحق فهو جماعة وإن كان وحده)[1].

ومن المعالم البارزة في مراعاة الإسلام للحق، المعاملات الراقية للأقليات في الدولة الإسلامية والمجتمع المسلم، فالإسلام يحفظ الأقليات غير الإسلامية ويكفل لها حقوقها وحياتها وأمنها.

الأجانب في الإسلام ثلاث فئات:

الأولى: ذميون ومعاهدون والثانية: متسأمنون والثالثة: محاربون.

والذميون لهم عهد الله وميثاقه، وهو أن يعاملوا كما يعامل المسلمون به، والمستأمنون هم ممن يقيمون في الدولة الإسلامية دون الانضواء فيها، ولهم عهد وقتي، ودماؤهم وأحوالهم مصونة إذا أوفوا بعهودهم. والذميون والمستأمنون هم الذين يطلق عليهم لأن لفظ الأجانب. وأما الحربيون ، فهم أشخاص لا توجد معاهدة معهم ولا يقيمون في دولة الإسلام، وقد جعل لهم الإسلام – كما سيأتي لاحقاً – حقوقا تجب رعايتها[2].

١٣ - عدم قطع الطريق على الصلح:

فالدبلوماسي يتعرض لمواقف تختلف فيها استجابته مع استجابات غيره، والواجب عليه عند ذلك أن يبلغ من الحكمة حداً لا يجهز فيه على طرق العودة والصلح، وأكثر الناس حاجة لذلك هو الدبلوماسي.

(١) ابن مفلح المقدسي، ج١ نفس المرجع السابق، ص٨٤-٨٦.

(٢) المرجع: سمير عالية، نظرية الدولة وآدابها في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٥٢.

قال ابن عبد البر: وكان يقال: الغالب في الشر مغلوب ، شتم رجل أبا ذر فقال له: (يا هذا، لا تغرقَنَّ في شتمنا، ودع للصلح موضعاً، فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه)[1].

وصايا ونصائح عامة في التشريفات الإسلامية

* في إطار التقاليد الشرقية وخاصة الإسلامية ، ففي كل المناسبات الاجتماعية الرسمية وخاصة حفلات الاستقبال ومآدب الغداء والعشاء ، ينبغي التزام الاحترام الكامل والوقار الواجب اتباعه ، وعدم الإخلال بالقواعد الشرعية الواجب اتباعها خلال المناسبات، ويعد رفض شرب (النخب) أكثر احتراماً وخاصة عند تقديمه (المنكر) من خمور وخلافه ويمكن استبدال العصائر به إذا لزم الأمر.

* احترام شعور الآخرين بألا تتعرض لهم ولا لذويهم بإهانة ولا تجريح، ومن احترام الشعور ألا نأكل أمام صائم ، ولا نضحك أمام حزين، ولا نمزح مع جاد لا يرغب في المزاح، ولا ندخن أمام مريض، أو رفيق سفر يتضايق من التدخين، ولا نشتم أحدا ولا نلعنه.

الحياء خلق حميد وصفة طيبة ينبغي التحلي بها.

الحياء والإيمان قُرنا جميعاً فإذا رُفع أحدهما رفع الآخر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَيَاءُ مِنْ الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَالْبَذَاءُ مِنْ الْجَفَاءِ وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ قَالَ أَبُو عِيسَى وَفِي الْبَاب عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَأَبِي بَكْرَةَ وَأَبِي أُمَامَةَ وَعِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ الحياء من الإيمان[2].

وقد يكون خلق الدبلوماسي المسلم مرتباً في النقاط الآتية:

(١) البشاشة : الوجه الطلق – الابتسامة فإن الرسول ﷺ أوصى بها وهي من المعروف.

(١) المرجع السابق، ج٢، ص٩٦.

(٢) رواه الترمذي في البر باب ما جاء في الحياء (١٩٣٢) راجع صحيح سنن الترمذي٢/ ١٩٥(١٦٣٤).

(٢) السلام : (إلقاء التحية) وهي خصلة حميدة من خصال الإسلام ، وقد ذكر كثير من علماء الاجتماع أن السلام تغلب على كثير من العلاجات النفسية في كسر حواجز الجفاء بين المتقابلين والمجتمعين ، وهذه هي الحكمة الإسلامية في إفشاء السلام للتواد والرحمة والطمأنينة – كما أنها دليل على تواضع من ألقى السلام لمن يعرفه ولا يعرفه والكبير والصغير والغني والفقير.

(٣) المصافحة: عند حصول الفرح والسرور للتعبير عن فرح المؤمن بفرح أخيه والمباركة له أو تحيته إذا كان قادماً من السفر . ويستحب للابن أو البنت أن يقبل رأس أبيه وأمه ، ويقبل أيديهم كذلك – ويفعل مثل ذلك بأخيه الأكبر أو عمه أو خاله أو من له حق عليه ويكبره في السن ، كلما ، كان له مناسبة للبر بهم، والتقرب به إلى الله منهم.

(٤) إن من التقاليد الإسلامية والعربية الأصيلة أن يجلس كبير القوم في رأس المجلس ليتصدر الحضور ، لأنه أعلاهم شأنا في مجالس الحكام والأمراء ، وإذا حضر في تلك الجلسة وزراء لهم مناصب معينة في الدولة فإن الجهة المعينة بالمراسم تقوم بتقسيم ذوي الشأن منهم على يمين وشمال تلك الشخصية حفاظاً على إعطاء كل قدره ومكانته.

(٥) إن الأنظمة العسكرية في التشريفات والمراسم تعد من أكثر النظم دقةً وانتظاماً من حيث الرتب والأقدمية في الرتبة ، وما تنص عليه الأنظمة العسكرية في السلم والحرب ، يعد مرجعاً هاماً للباحثين في هذا المجال متى ما جرى البحث عن تعظيم معين.

(٦) إن الخلط بين اللغة الأم (العربية) واللغات الأجنبية تصرف لا يتفق مع العمل الدبلوماسي الإسلامي ؛ إذ إنه يضعف اعتزاز الدبلوماسي بدينه وعروبته – إذا كان المتلقي يتحدث بنفس اللغة ، ولا يجوز تطعيم اللغة الأم بمفردات أجنبية

للتباهي والتظاهر ، ليظهر أنه يتحدث لغات أخرى إلا إذا كان الموقف يستدعي ذلك.

(٧) يجب على الدبلوماسي المسلم خلال الاحتفالات الرسمية في الدول التي يمثل بها بلاده أن يرتدي الزي الرسمي لبلاده ، ولا يجوز له تغيير لباسه الوطني الذي يشكل مصدر اعتزاز بدينه ووطنه ؛ لأننا لا نرى دبلوماسيي الدول الأخرى يغيرون ملابسهم في بلداننا الإسلامية ، بل إنَّ كثيراً من الشعوب والأقليات نراها في بلاد الغرب متمسكة بزيها التقليدي وتسير في الشوارع والأسواق.

(٨) إن سلوك الأجانب في الحفلات التي تعد للتعارف ويختلط فيها الحابل بالنابل من تقبيل النساء والرقص والمخاصرة والاختلاط بين الرجال وزوجات الآخرين لمن يتشدقون بممارسة الحرية على أوسع نطاق لا يمت إلى خلق الدبلوماسي المسلم بشيء ، ولا إلى المروءه والشيم العربية الأصيلة بشيء.

(٩) ما جرت به العادة في كثير من دول الغرب من تقبيل أيدي النساء عند مصافحتهن، ليس من عاداتنا العربية والإسلامية ، فلا يلزم الدبلوماسي المسلم به لأنه لا يتفق مع تقاليد الإسلام ، وعدم ممارسته لذلك لا يعني بأيّ حال من الأحوال إخلالاً بالقواعد الدبلوماسية ، أو عدم احترام للجنس الآخر الذي يكرمه الإسلام بطريقة أخرى .

يضاف إلى ما سبق :

كلمة عفواً كلمة جميلة تغسل القلوب وتزيل ما قد يغلفها من حقد، والعفو الفعلي عمن أساء إليك خلقٌ جميلٌ يغرس الحب في قلوب الجميع.

- توسط في معاملتك مع الآخرين، وإذا أبغضت شخصاً فدع مجالاً للعتاب والعودة والمودة، ولا تقطع كل الحبال بينكما، وقد قيل أحبب حبيبك هوناً ما

عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما.

- إذا عطست فعليك أن تمسك منديلاً وتضعه على أنفك وفمك لئلا يتطاير الرذاذ على الآخرين فتؤذيهم، كما يحسن أن تحول وجهك عن الناس وعن الطعام إن كان أمامك، وليخفض الإنسان صوته أثناء العطاس ثم يقول بعدها: "الحمد لله" وعلى الحاضرين أن يقولوا: "يرحمك الله" فيجيبهم "يهديكم الله ويصلح بالكم".
- إذا غلب التثاؤب عليك فضع يدك على فمك ولتحاول منعه ما استطعت ولا تصدر به صوتاً.
- عدم المبالغة في مديح النفس أمام الرئيس للدعاية الشخصية على حساب بقية الزملاء ، لأن الرئيس سرعان ما يتبين الحقيقة وغالباً ما تكون وبالاً على الشخص نفسه، والترفع عن اتباع أسلوب النفاق والمداهنة أو المبالغة في المديح للرؤساء ؛ فقليل جداً من الرؤساء من يظهر لك الرضا عن هذا الأسلوب ولكنه رضا موقوت ، والنهاية دائماً أن كل الرؤساء يطبعون شخصيتك بطابع من الصغار وهوان الشأن.
- ولا تسأل شخصاً عن خصوصياته مثل مرتبه الشهري أو عمره أو ثمن هدية معينة أو أسماء ضيوفة.
- ولا تتدخل بالنصيحة في الخلافات العائلية إلا إذا طلب منك.
- ولا تفشِ أسرار عائلتك سواء كانت طيبة أو سيئة للآخرين.
- عامل زوجتك أمام الآخرين بلطف مهما كانت درجات الخلاف.
- ولا تغتب رئيسك ولا تتحر عن أصله العائلي أو الوظيفي.

تفادَ الاصطدام والتقابل مع الشخص النازل على السلم أو الداخل إلى الباب لأنّ له الأولوية.

عادات وتقاليد سعودية مستمدة من الآداب الإسلامية

- دعوة من يقف على باب البيت بأن يتفضل بالدخول.
- تقديم القهوة العربية،ومعها التمر،لدى عامة المواطنين.
- البخور وتطييب الضيف.
- إكرام الضيف،وتقديم وجبة كافية،وعادة ما تُذبح الضأن (الغنم) ،أو صغار الإبل،زيادة في إكرامه،وتمسكًا بالتقاليد الإسلامية والعربية.
- من العادات القبلية ألا يجلس المُضَيِّفُ مع الضيْف،وإنما يقوم على خدمته.
- من العادات السعودية تقديم الكبير على الصغير في المجلس،وعدم الجلوس في صدر المجلس قبل كبار السن.
- ومن العادات السعودية:عدم أخذ فنجان الشاي أو القهوة أو كأس الماء قبل الضيف أو الوالد أو الأخ الأكبر سنًا،والإيثار على النفس.
- عدم التدخين أمام الوالد والأعمام وكبار السن وكبار الشخصيات.
- عدم تقديم فنجان القهوة،أو قدح الشاي باليد اليسرى،وكذلك عدم استعمالها في استلام الفنجان أو أي شيء آخر في التعامل بين الناس؛احترامًا وتقديرًا.
- عدم الانفراد بالطعام،أو سبق الجماعة،إذا كان الفرد في جماعة سفرًا أو حضرًا، ومن يفعل ذلك فقد ارتكب عيبًا في حق نفسه.
- عندما يكون السعوديون في سفر أو في البر(الصحراء)،فإن العُرف عند قضاء الحاجة:الابتعاد عن المجلس، وعن الحضور،بحيث يكون الرفاق والجلوس بينه وبينهم مهب الريح،وليس العكس.
- من المعيب عند السعوديين:فتح زراريْ الثوب العلويين أمام الناس،ولبس الملابس الإفرنجية،والتجول مكشوفي الرأس دون لبس الغُترة.
- من آداب احترام الشخصيات لدى السعوديين لبس المشالح(البشوت) لدى مقابلتهم كبار الشخصيات والمسؤولين،وكذلك في الأعياد والمناسبات الاجتماعية،وحضور صلاة الجمعة.

- من آداب السعوديين:عدم التدخين في الأماكن العامة،وفي المناسبات،وعند كبار الشخصيات والمجاهرة بذلك.

ـ من آداب السعوديين تقبيل يد الوالد والعم،أو تقبيل الرأس والمتن(الكتف)؛احترامًا لهم،واعترافًا بفضلهم،وكذلك الأخ الأكبر سنًّا،وأصحاب المكانة من طلبة العلم وولاة الأمر.

ـ من آداب السعوديين عدم مقاطعة المتحدث في المجلس،والإصغاء إليه ، وعدم إحداث الصخب أو الفوضى في المجلس بتحدث عدد من المجموعات بمفردهم في وقت واحد،لما في ذلك من تشتت هيبة المجلس والحضور.

ـ من الآداب السعودية عدم جلوس الأطفال مع الضيف على المائدة.

- ومن عادات السعوديين دعوة الجيران للوليمة،وكذلك زيارة الجيران،وتفقد أحوالهم،وقضاء حوائجهم،كما أوصى بذلك الدين الإسلامي في القرآن الكريم،وفي سنة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

ـ من عادات السعوديين عون ومساعدة ابن السبيل ، وصاحب الحاجة المحتاج والمسافر المنقطع عن أهله والغريب.

ـ من عادات السعوديين عدم مدِّ الأرجل في المجلس أو وضع رِجْلٍ على الأخرى .

ـ من عادات السعوديين إعانة ذويهم وأقاربهم في قضاء حوائجهم،مثل الزواج أو بناء البيت،أو وقت الضائقة المالية،مثل الدية أو الدين المترتب على العائلات، ولقد عملت الكثير من الأسر والعائلات والقبائل على تأسيس صناديق خيرية لإعانة ضعفاء أسرهم،ويقوم بتمويلها الموسرون المقتدرون والأثرياء منهم.

ـ من عادات السعوديين:إرسال (نزالة)لأقاربهم أو جيرانهم عندما يسكنون بيتًا جديدًا،كلٌّ يبذل ما في وُسعه.

-من عادات السعوديين عدم مشاركة الوالد أو الأخ الأكبر أو الضيف أو من يحترمه في الاستناد على المركى ، أو مَدّ الأرجل إذا كانوا جالسين على الأرض .

الفهرس

فكرة الكتاب ٩
مقدمة حول أهمية الحديث عن المراسم وآداب السلوك في الإسلام ١١
دعوة خاصة ١٥

الفصل الأول

أسس الدبلوماسية في الإسلام

المبحث الأول : المقومات العامة للدبلوماسية الإسلامية ١٩
المبحث الثاني : الأساليب التطبيقية للدبلوماسية الإسلامية ٢٥
المبحث الثالث : الضوابط المنظمة للعلاقة مع غير المسلمين ٣٧

الفصل الثاني

المراسم والسفارات في الإسلام

المبحث الأول : إيفاد الرُّسل والسفراء ٤٦
المبحث الثاني : استقبال الرّسل والوفود ٦٩
المبحث الثالث :حصانات السُّفراء في الإسلام ٧٣

الفصل الثالث

أدوات الدبلوماسية في الإسلام

المبحث الأول : المحررات الدبلوماسية ٨١
المبحث الثاني : تعليم اللغات الأجنبية ٨٨
المبحث الثالث : استخدام الشفرة ٨٩
المبحث الرابع : تقديم الهدايا ٩٠

الفصل الرابع

البروتوكول وآداب السلوك في الغرب

المبحث الأول : البروتوكول : لغة واصطلاحاً في المفهوم الغربي ٩٩

* المطلب الأول : معنى الدبلوماسية ١٠٠
* المطلب الثاني : الدبلوماسية عبر التاريخ ١٠١
* المطلب الثالث : الدبلوماسية المعاصرة ١٠٤
* المطلب الرابع : امتيازات الدبلوماسيين وحصاناتهم في القانون الدولي ١٠٧
المبحث الثاني : أسس البروتوكول أو المراسم والتشريفات ١١٠
* المطلب الأول : التعريف بالمراسم ١١٠
* المطلب الثاني : إدارة شؤون المراسم في كل دولة ١١١
المبحث الثالث : آداب السلوك وقواعد البروتوكول في الغرب ١١٥
* المطلب الأول : قواعد البروتوكول وآداب السلوك ١١٥
* المطلب الثاني : الأسبقية ١١٦
* المطلب الثالث : التعارف والمصافحة ١١٦
* المطلب الرابع : إعداد الولائم ١١٩
* المطلب الخامس : مراسم رفع وتنكيس الأعلام ١٢٠

الفصل الخامس

المقومات الأساسية لمراسم السلوك الإسلامي

المبحث الأول : عموميات ١٢٥
* المطلب الأول : السلوك الاجتماعيّ جزء من الآداب الشرعيّة ١٢٥
* المطلب الثاني : متابعة الرسول ﷺ هي قاعدة السلوك الاجتماعي الأخلاقي في الإسلام ١٢٨
المبحث الثاني : خصوصاً تتعلق ببعض اخلاقيات النبي ﷺ وآدابه ١٣٩
* المطلب الأول : حسن خُلقه ﷺ ١٣٩
* المطلب الثاني : تواضعه وحياؤه وكرمه ١٤١
* المطلب الثالث : رفقه وعفوه ورحمته وشفقته ١٤٢
* المطلب الرابع : حلمه وصبره ١٤٤
* المطلب الخامس : ضحكه وبكاؤه وغضبه لأمر الله ١٤٥
* المطلب السادس : شجاعته وعدله ١٤٦
* المطلب السابع : أسلوبه في الإقناع ١٤٧
* المطلب الثامن : أسوته الحسنة ودلالتها ١٤٧

الفصل السادس

آداب دبلوماسية التعامل الإسلامي

أولاً : آداب السفر ١٥٥
ثانياً : أصول التعامل خارج الوطن ١٥٨
ثالثاً : فنُّ التعامل في الاستئذان عند الدخول ١٦٠
رابعاً : التواضع ومكارم الأخلاق علامة مقارنة بالتشريفات الغربية ١٦٤
خامساً : السلوك الإسلامي في المأكل والمشرب ١٦٧
سادساً : فن التعامل في الاستئذان واحترام الآخرين ١٨٨
سابعاً : فن التعامل وتقدير خصوصية الغير في التناجي وحفظ الأسرار ١٩٧
ثامناً : آداب إسلامية عند النوم والاستيقاظ ١٩٨
تاسعاً : آداب عيادة المريض في الإسلام وانعدام في الاتيكيت الغربي ٢٠٨

الفصل السابع

الإسلام والغرب في تقديم المرأة

المبحث الأول : المرأة في الإسلام ٢١٦
المبحث الثاني : المرأة المسلمة في هذا العصر ٢١٩
المبحث الثالث : آداب التعامل مع الأم والأب ٢١٩
المبحث الرابع : آداب المعاشرة الزوجية ٢٢٥

الفصل الثامن

آداب الإسلام في السلوك الدبلوماسي

المبحث الأول : الاهتمام بالمظهر الدبلوماسي ٢٣٥
المبحث الثاني : الاهتمام بالجوهر ٢٣٦
المبحث الثالث : وصايا عامة في التشريفات الإسلامية ٢٤٤
المبحث الرابع : عادات وتقاليد سعودية مستمدة من الآداب الإسلامية ٢٤٨

الكتب التي تم نشرها لمؤلف بفضل الله تعالى وتوفيقه : -

١ - التطور السياسي في المملكة العربية السعودية وتقييم لمجلس الشورى (قدم له صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء) . (وتمت ترجمته للغه الإنجليزية بالولايات المتحدة الأمريكية وكتب مقدمته نيلسون مانديلا) .

٢ - المجالس المفتوحة والمفهوم الإسلامي للحكم في سياسة المملكة العربية السعودية (قدم له صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض) .
وتمت ترجمته للغة الانجليزية ونشره بواسطة مركز الخليج للدراسات الإستراتيجية - لندن .

٣- رسائل أئمة دعوة التوحيد - (بعض رسائل حكام الدولة السعودية في حقباتها الثلاث منذ أكثر من قرنين) .
(ترجم إلى اللغتين الأوردية والفارسية) .

٤ - سر دوام النعم - (ترجم إلى اللغة الأوردية) .

٥- الأمان الثاني - (ترجم إلى اللغة الأوردية) .

٦ - غراس جنة الخلود من دعاء وأذكار الملك سعود .

٧ - الدبلوماسية والمراسم الإسلامية (دراسة مقارنة مع التشريفات الغربية) ١٤٢٦ هـ وسيتم ترجمته قريباً إلى الإنجليزية بإذن الله تعالى .

ردمك : ٥ - ٨٢٥ - ٤٩ - ٩٩٦٠